إحسان عبد القدوس

أنف وثلاث عيون

الناشر : مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي "الفجالة"

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

العين الأولى

- ١ -

لا ... ليس هناك شيء اسمه : الحب .

انى أضحك على البنات العبيطات اللاتى يهمن وراء تأوهات عبد الوهاب ، ونحيب عبد الحليم حافظ ، ويسكبن صباهن بين سطور القصص والأفلام العاطفية .. ثم يعلقن أوهامهن فوق أول شاب يلتقين به ، ويمزقن قلوبهن بأظافرهن ، ويصرخن : لقد وقعنا فى الحب ..

لا يا بنات ..

لا يا واهمات ..

ليس هناك شيء اسمه : الحب ..

صدقونى ...

انى أعرف ... انى خبيرة .. انى صاحبة تجربة كبيرة ، مريرة ..

ان ما يسمى حبا ليس .. ليس الا ... ماذا أقول .. انه .. انه مجرد تعود .. نعم ، مجرد تعود .. تتعودين على رجل ، وتتأصل فيك العادة ، حتى تظنين انها الحب .. أو تسمينها حبا .. تماما كما نقول ان هذا الرجل يحب الويسكى . هل يعقل أن يقع رجل فى حب الويسكى .. ولكننا نستعمل كلمة « الحب » بالنسبة للويسكى ، كما نستعملها بالنسبة للعلاقات الانسانية ... لان العنصر الأساسى الذى تقوم عليه العلاقة التى تجمع بين الرجل والويسكى ، هو نفس العنصر الذى تقوم عليه العلاقة

التى تجمع بين الرجل والمراة .. وهو العادة .. التعـــود .. وعندما نقول ان فلانا يحب الويسكى . انما نقصد أن فلانا تعود على الويسكى .. وعندما نقول أن فلانة تحب فلانا ، انما نقصد ان فلانة تعودت على فلان ..

اذن ا لو كان هذا الكلام صحيحا ، فلماذا احبت فلانة هذا الرجل بالذات ، ولم تحب غيره .. أو على الاصح .. لماذا تعودت فلانة على هذا الرجل بالذات ، ولم تتعود على غيره ؟

مسألة اذواق ...

ان هناك رجلا يتعود على الويســكى ، وآخر يتعود على الكونياك ، وثالثا يتعود على النبيذ .. و .. و .. وكذلك البنات .. بنت يعجبها الشاب الأسمر .. وبنت يعجبها الشاب الأشقر .. وبنت يعجبها الشــاب الضــخم .. وأخرى يعجبها الشـــاب النحيل .. و .. و ..

ورغم ذلك فليس هناك بنت بدأت حياتها العاطفية بشـــاب واحد .. انها تبدأ دائما بتقليب عينيها بين الشبان ، كمـــا تقلبهما بين صفحات مجلة الأزياء .. ويعجبهـــا أكثر من ثوب .. عشرة أزياء .. عشرون زيا .. ويعجبها أيضا أكثر من شاب .. عشرة شبان .. عشرون شابا .. وتطل فى كل منهم وتتمنى ان تلمسه ، وتتمنى أن تسمع صوته فى التليفون ، وتنظر الى شفتيه وتتمنى أن تذوق طعمهما بشــفتيها .. وقـــد تذوق طعم كل الشـــفاه او بعضها .. الى أن تقف عند الشفتين اللتين ساعدتها الظروف على أن تتعود عليهما ..

ليس هناك فارق بين قبلة شاب من الشبان العشرة الذين أعجبت بهم ، وأخـــرى .. نفس المذاق .. ونفس ارتعاشـــة الشفتين ... ونفس الريق الذى نشربه فى صمت وعيوننا مغلقة

.. ولكن هناك فارقا بين قبلة تعودت عليها ، وقبلة لم أتعود عليها .. ولو تعودت على قبلة اى واحـــد من العشرة الذين تمنيتهم لأسميت هذا التعود حبا .. كما أسميت تعودى على هاشم حبا ..

لا يمكن أن يكون ما كان بينى وبين هاشم اكثر من هذا .. مجرد تعود ..

لم احبه .. لا يمكن أن يكون هذا حبا .. لا اريد أن يقال انى احببته .. انى أجن كلما سمعت من يقول انى أحببته .. فقط تعودت عليه .. وكل هذا العـــذاب لأنى تعـــودت عليه .. والتعود له أحكام قاسية .. انه يســيطر عليك .. يخضعك .. بذلك .. يمحو شخصيتك .. ان الرجل الذى تعود على الويسكى قد يجن اذا حرم من الويسكى .. يحطم كل ما حوله .. ثم يحطم نفسه ... ينتحر ... وقد حدث كل هذا لى لأنى تعودت على هاشم ..

كيف سمحت لنفسى أن اتعـــود عليه وهو مر .. فظيع .. وكنت أعلم منذ اليوم الأول انه مر وفظيع ..

لا ادرى ..

ان الويسكى أيضا طعمه مر ، وفظيع ..

وقد تعودت على الاثنين ..

تعوت على هاشم ..

ثم تعودت على الويسكى ..

و ..

انى أضحك .. أضحك على نفسى .. أضحك على خيبتى .. على عذابى . انى أحاول ان ابدو فى هذه السطور التى أكتبها كأنى فيلسوفة .. ها .. ها .. ها .. ليس هذا كلام حسن .. قاله لى مرة ليجفف به دموعى ، ثم أخذ شفتى بين شـــفتيه ليعـــودنى

عليهما ، لعلى اتخلص من تعودى على شفتى هاشم .. وانى اذكر ليلتها .. لقد تركت حسن يأخذ أكثر من شفتى .. تركته يأخذنى كلى .. لأساعد نفسى على التخلص من تعودى على هاشم .. فقد آمنت يومها بكلامه .. آمنت أن الحب ليس سوى .. عادة !!

ولكنى لم اكن أعرف حسن عندما عرفت هاشم ..

لم اكن فيلسوفة ..

ولم يقل لى أحد كلاما يجعل منى فيلسوفة ..

كنت بنتا كبقية البنات .. أهيم وراء تأوهات عبد الوهاب ، ونجيب عبد الحليم حافظ . وأسكب صباى بين سطور القصص والأفلام العاطفية ..

وكنت حلوة .. جميلة .. شعرى فى لون البندق .. طويل .. يصل الى كتفى .. وعيناى واسعتان .. عسليتان .. عندما ينسكب فيهما ضوء الشمس ، يشعان بلون أصفر ، لن اقول انهما كعينى غزال ، فقد رأيت عيون الغزلان وكرهتها .. وفمى صغير .. شفتاى مكتنزتان .. شفتى السفلى أكثر امتلاء من العليا .. ولى سنة أمامية نصفها مكسور .. دمها خفيف .. عندما تنكشف عنها شفتاى يخيل اليك انى أبتسم ، ولا تملك الا أن ترد ابتسامتى .. وبشرتى بيضاء .. فى لون اللبن الحليب .. وقوامى .. يجنن .. اننى طويلة .. لست طويلة جدا .. فقط ١٧٠ سنتى .. وساقاى رائعتان .. كأنهما قالبان من نور .. انى أحب ساقى .. أحبهما لدرجة انى ـ وأنا فى السادسة عشرة ـ علقت فى ساقى اليمنى سلسلة ذهبية رفيعة تتدلى منها خرزة زرقاء .. ومنذ كنت فى السادسة عشرة وأنا ألبس حذاء

بكعب عال .. بسبعة سنتى .. ان الكعب العالى يظهر جمال الساقين ..

ونهداى كزهرتين من زهور عباد الشمس ، معلقتان فوق صدرى .. وخصرى نحيل .. لا يزيد عن ٥٥ سنتى .. ولى « حسنة » فى لون الشيكولاتة فوق كتفى .. و « حسنة » اخرى .. لن اقول أين ..

وكنت مفتونة بجسدى .. كنت اقفل باب حجرتى بالمفتاح ، واقف عارية أمام المرآة .. اتأمل كل قطعة منه .. كل خط فيه .. كل ثنية .. وأتمنى أن تسمن ذراعاى قليلا ، فقد كانتا نحيفتين .. وأن يرتفع نهداى قليلا ، حتى يقل بروز العظمتين اللتين ترسمان كتفى .. ثم أرقص .. أرقص أمام المرآة .. وأبتسم لخصرى وهو يتثنى .. وصدرى وهو يرتعش .. وساقى وهما تتأرجحان .. فى نعومة ، وهدوء كأنى أسبح فى الهواء .. انى احب الرقص .. ولكن أحدا لم يرنى أرقص الا مرآتى .. حتى أمى ، لم ترنى ..

ولم يكن يخطر على بالى صورة اى رجل وانا واقفة أمام المرآة أتأمل جسدى .. أبدا .. لم أكن أفكر فيمن أعطيه هذا الجسد .. أبدا ... أبدا .. كل هذا كان بعيدا عنى .. كنت ألمح عيون الرجال والأولاد تلاحقنى .. وكنت أزهو بملاحقة هذه العيون ، ثم أنفضها عن احساسي كأنى أهش الذباب .. دون أن أترك ذبابة واحدة تحط على ، أو تلتصق بى .. حتى فى خيالى .. لم يكن هناك رجل معين .. رجل أسعى اليه . أو يسعى الى .. كان كل ما فى خيالى نجوم السينما .. روك هدسون .. جريجورى بيك .. دين مارتن .. ليسوا رجالا .. مجرد خيال .. ومجرد أحلام .. لا تثير فى جسدى اى احساس

. .كان هذا الجسد لى وحدى .. وكنت احس انى وحدى صاحبة الحق فى التمتع به .. بالنظر اليه .. وتأمله .. واكتشاف اسراره .. كنت كالبخيلة التى تحتفظ بكنزها .. لا تفتحه الا أمام مرآتها .. وكنت اتمتع فعلا بتأمل جمالى أكثر من متعتى بأن يتأمله غيرى .. كنت مفتونة بنفسى ...

هل اطلت فى وصف جمالى ..

عذرا ..

فهكذا تبدأ قصتى .. تبدا يوم بدا احساسى بأنى جميلة .. يوم فتنت بنفسى ..

ورغم هذا فجمالى له خاصية غريبة .. انه يبهر بعض العيون ، كما يبهرنى .. وعيون أخرى لا تراه .. تمر به دون ان تأبه .. كأنى لست جميلة .. بل ان النـــاس يرون بشرتى البيضاء صفراء .. وزميلاتى فى مدرسة الفرنسسكان يسموننى « البنت الصفراء » .. وبعض النـــاس يرون عينى الواسعتين جاحظتين بارزتين .. وبعضهم يرى صدرى وظهرى ممسوحين .. نهداى صغيران ، وظهرى ليس فيه بروز .. ولكنى لا أعرف هؤلاء الناس .. ولا أريد أن أعرفهم .. انى أكرههم .. أكرههم .. وانا جميلة رغم أنوفهم .. جميـــلة .. جميلة .. وكل من أعرفهم يعرفون انى جميلة .. أمى تزهو بى .. وخالاتى الخمس يستشهدون بجمالى .. وأنا أجمـــل من ريرى ابنـــة خالتى .. وأجمل من فريدة ابنة عمى .. وأجمل بنت فى شارع صـــلاح الدين بمصر الجـــديدة .. والخطاب يطرقون بابى منذ كنت فى الخامسة عشرة من عمرى .

ومن يدرى ..

ربما كان اختلاف النـــاس حول جمالى ، هو الذى جعلنى

ازداد تعلقـــا به .. وأتأمله كل لحظة .. كأنى أتعلق بشئ أخشى أن يضيع منى ..

الى ان خطبت ..

كنت أيامها فى السادسة عشرة ، أقيم مع أمى وزوجها ، واخوتى منها .. ولدان وبنت .. وأمى سيدة طيبة .. تصلى وتصوم .. ولها فى كل شهر نذر لأحد الأولياء .. نذر لسيدنا الحسين ، ولو نجح ابنها .. ونذر لسيدى أبو العباس ، لو شفيت بنتها من الحصبة .. ونذر .. ونذر .. وتقرأ الفنجال .. وتفتح الكوتشينة .. ولكنها رغم كل هذه الأوهام التى تسـيطر على رأسها ، سيدة مرحة .. لا يخـلو يوم من أيامها من اجتماع بصديقاتها .. وصديقاتها نصف سيدات القاهرة .

وكانت أمى تدللنى وتهتم بى أكثر من أخوتى .. ربما لأنى أقيم معها بعيدا عن أبى .. وكانت تدارى أخطائى وتتستر عليها حتى لا يدرى بها زوجها .. فى الوقت الذى تشكو فيه أخوتى اليه .. تشكو اليه كل خطأ ، ولو صغيرا .. فيضربهم ..

وزوجها رجل من هذا الصنف من الرجال الذى يدعى القسوة والحزم ، وهو عبيط تستطيع أن تضـحك عليه ، وتخـدعه ببساطة ..

وكنت أنا وأمى خارجتين من محل الصالون الأخضر عنـدما رآنى رجل .. وسار وراءنا .. وجرى وراء سـيارتنا بسـيارته .. الى أن وصلنا الى البيت .. وسـأل عنا البواب .. وفى اليوم التالى جاء ليخطبنى ..

ولا أدرى كيف أقنع أمى بالموافقة على خطبتنا .. انه فى السادسة والثلاثين من عمره .. بينى وبينه عشرون سـنة .. وقد سبق أن تقدم لخطبتى شبان أصغر منه .. وهو ليس من

عائلة كبيرة ، وقد سبق أن تقدم لى أبناء عائلات كبيرة .. وهو ليس مثقفا ثقافة عالية ، وسبق أن تقدم الى حملة دكتوراه ... وهو غنى .. يعمل مقاولا فى السويس ، ولكن سبق أن تقدم الى اغنى منه .. ورغم ذلك قبلته أمى .. انه من هذا الصنف من الرجال الذى يستطيع أن يأكل عقل النساء العجائز ..

ووافق زوج امى .. وافق بسرعة .. ربما ليتخلص منى .. ليستريح من تدليل امى لى ..

أما أبى فقد عارض .. ولكن معارضته لم تكن تساوى شيئا جادا .. ابى كله ليس شيئا جادا ، ولا ينظر اليه أحد نظرة جادة .. انه انسان لاه .. لا مسئول .. يعيش لنفسه .. ويتزوج كثيرا .. وكان أيامها يعيش مع زوجته الرابعة .. وكانت أمى تقول عنه ان له شقة خاصة يلتقى فيها بامرأة أخرى ستكون يوما ما زوجته الخامسة ..

واستسلمت لأمى .. وفرحت بدبلة الخطوبة ... دبلة من قطع الماس المستطيلة « الباجت » .. والشبكة .. خاتم سوليتير حجمه خمسة عشر قيراطا .. والثوب الجديد .. والحفلة .. واهتمام خالاتى الخمس بى .. وأول مرة أنزع الشعر الخفيف من فوق ذراعى وساقى .. وفرحت أكثر لأنى خطبت قبل ريرى ابنة خالتى ، وقبل فريدة ابنة عمى .. كانت فرحتى أيامها طاغية ، أنستنى كل شىء حتى خطيبى نفسه .. كنت أراه كما أرى باقى الرجال .. أراه فى نظرات عابرة .. لم احاول أن أدقق فى ملامحه .. لم أر أيامها هذه الثقوب الصغيرة التى تنتشر فوق طرف أنفه ، والتى لا تراها الا اذا دققت النظر .. ولم أر هذه السنة الذهبية فى جانب فكه الأيمن ، والتى تطل عليك كلما ضحك

.. ولم أر أن كل سراويله واسعة من الخلف ، كأن الترزى كاد يصنعها جلبابا ثم غير رأيه فى آخر لحظة .

وسافر خطيبى فى اليوم التالى من اعلان الخطبة الى السويس .. وأصبح يتردد على القاهرة كل اسبوع ليبقى فيها ثلاثة أيام .. الجمعة ، والسبت ، والأحد .. وكل خالة من خالاتى الخمس تقيم لنا وليمة غداء .. وأبى دعانا مرة على العشاء .. وأحسست يومها أنه يقوم بواجب ثقيل يكاد يخنقه .. لقد كاد يطردنا أنا وخطيبى بعد العشاء مباشرة .. ولكنى لم اغضب من أبى .. انى أعرفه .. وأحبه ..

ولم يتركونا أنا وخطيبى وحدنا أبدا . كانت أمى معنا دائما .. وعندما تغيب لحظات تحرص على أن تترك مكانها لزوجها أو لأخى الصغير وخطيبى لم يحاول أن ينفرد بى .. بل لم يحاول ن يهمس فى أذنى همسة لا تسمعها أمى .. او يضغط على يدى .. او اى لفتة من هذه اللفتات التى كنت اقرأ عنها فى القصص .. كان كل ما يحرص عليه أن يصلى الفروض فى موعدها .. وكانت كل أمنيته أن أصلى مثله .. وأمى تطمئنه الى انى بعد الزواج لابد أن أصلى !

وبدأت فرحتى بالخطبة تخف ..

الدبلة والخاتم رآهما كل افراد عائلتى وكل صديقاتى .. وثوبى أصبح قديما .. والحديث أصبح معادا .. ثم ..

عندما وقفت مرة أمام المرآة أرقص عارية كعادتى ، وباب غرفتى مغلق بالمفتاح ، شعرت لأول مرة أن هذا الجسد لم يعد لى وحدى .. لقد أصبح لى شريك فيه .. ورأيت فى صفحة المرآة صورة وجه شريكى .. خطيبى .. ولأول مرة أعى ملامحه ، التى كنت التقطها بعينى دون أن أعيها .. دون أن أهتم بها .

رايت الثقوب الصغيرة فوق مقدمة انفه . ورايت سرواله المهدل .. واختفى خيالى الذى يحمل صورة روك هدسون ، وجريجورى بيك .. لم يعد امامى الا هذا الواقع الذى يحمل صورة خطيبى .. وسرت قشعريرة فى بدنى .. ولم استطع يومها أن أرقص .. بل لم استطع أن أظل عارية .. جريت وأخفيت جسدى خلف ضلفة الدولاب ، كأنى أخفيه عن عينى خطيبى المتوفتين ..

ومن يومها بدأ جسدى يقلقنى .. بدأت احس أن الكنز الذى حرصت العمر كله على أن أخفيه الا عن مرآتى ، اصبح على وشك أن يكشف .. بدأت أحس بالمعاول تحفر فوقه لتصل اليه .. معاول من احساسى بأن شيئا يقترب من شفتى .. من عنقى .. من صدرى .. من خصرى .. من ساقى .. وتأكدت يومها أن كنزى لابد أن يكتشف يوما .. لا حيلة لى .. لا استطيع أن أخفيه بقية عمرى .. شخص ما لابد أن يصل اليه .. ولكنى لا أريد أن يكون هذا الشخص هو خطيبى .. لا اريده .. لا أريده .. انى أنفر منه .. انه يقززنى .. يده فى يدى كقطعة العجين الملساء .. ونظراته تسيل من عينيه كقطرات الزيت .. وكلماته تقع من شفتيه كقطع الطوب .. ليس فيها حنان .. ليس فيها معنى يبهرنى .. ليست فيها مهارة المكتشف .. مكتشف الكنز ..

هل استطيع أن أفسخ الخطبة ؟

ربما لو حاولت أيامها لاستطعت ان افسخها .. ولكنى لم أحاول .. كنت ضعيفة الشخصية .. كنت أضعف من أن أقف امام أمى ، وأطلعها على حقيقة شعورى نحو خطيبى .. وفى الواقع لم اكن اعرف ماذا اريد .. لم اكن استطيع أن أفهم حقيقة عواطفى .. وكان ما افهمه اشك فيه .. كنت مترددة .. أحيانا اعتقد أن نصيبى هو نصيب كل البنات .. واحيانا أحس أنى

مظلومة .. واحيانا احس كأنى بنت خاطئة لمجرد تفكيرى فى فسخ خطبتى .. كأنى بهذا التفكير اتحدى الله .. اتبطر على النعمة .. واحيانا احس بالثورة تملأ صدرى ، وتكاد تقتلعنى من فوق سريرى ، ولكنى أطفىء ثورتى ، واهز راسى فوق الوسادة ، واهمس لنفسى .. يا بنت اعقلى !

وانتهى بى هذا التردد ، الى الاستسلام ..

ولكن هذا الاستسلام دفعنى الى نوع من التحدى .. تحدى ضعفى .. وتحدى ترددى .. وتحدى أمى .. وتحدى نصيبى .. وكان نوعا من التحدى المكبوت الخفى .. لا أصارح به نفسى .. ولكنه يدمغنى .. يدمغ تفكيرى .. يدمغ انفعالاتى .. ويدمغ تصرفاتى ..

ودفعنى هذا التحدى الى أن ابحث عن مكتشف آخر لجسدى .. شخص آخر غير خطيبى عبد السلام ، يكون أول من يلمس شفتى ..

وبدأت عيناى تدوران حولى ..

ولم اعد أهش الذباب فى كبرياء .. كعادتى .. بل اخذت ابحث عن الذباب ، وارتاح كلما حطت ذبابة على .. وتعلمت كيف انظر من طرف عينى .. كيف أرى كل شاب ، دون أن يلحظ انى اراه .. ودون أن تلحظ امى او عبد السلام انى انظر الى احد .. وبدأت جمع المعلومات عن كل شاب من شبان مصر الجديدة .. وارتاح لصديقاتى وهن يتحدثن عن مغامراتهن .. وادفعهن دفعا الى هذا الحديث ..

ثم .. بدأت العب لعبة التليفون .

كان صديقاتى يجتمعن عندى فى البيت ، ونشترك جميعا فى

معاكسة الشبان بالتليفون .. وامى بعيدة عنا فقد خفت رقابتها على منذ خطبت ، كأنها بدأت ترتاح منى ..

ولم يحدث شىء اكثر من هــذا لفترة طويلة .. كنت فقط انظر الى كل شاب واقارن بينه وبين خطيبى ، وأتصوره مكتشفا لجسدى .. واستمع الى صوت الشبان فى التليفون .. واقارن بين صوت كل منهم وصوت خطيبتى . فأجده اكثر حياة ، واكثر حنانا ، واتصور هذا الصوت يملأ بيتى ..

الى أن ابتسمت مرة لمحمد ..

لم أختر محمد بالذات لأبتسم له .. ولكنى كنت جالســة فى نادى مصر الجديدة مع بعض صديقاتى .. وأمى جالســة مع صديقاتها على مائدة أخرى .. ومحمد جالس على حافة حوض السباحة ، يحلق فى وجهى بعينين مبهورتين .. وكنت زهقانة .. صديقاتى يتحدثن حديثا مملا .. فابتسمت لمحمد .. وتعلق محمد بابتســامتى .. جرى وراءها .. أصــبح يلاحقنى .. انه يدور بسيارته حول بيتى .. سيارة شيفروليه بيضاء رقم ٢١٨٨٣ ، وهو خلفى فى النادى .. وفى السينما .. حتى وأنا مع خطيبى .. لا يكف عن ملاحقتى .. وملاحقته تملؤنى غرورا ، وتملأ فراغى .. وان لم يكن يمثل صورة المكتشف الذى أحلم به .. انه فى العشرين من عمره .. طالب فى الجامعة .. وبطل فى السباحة .. حلو التقاطيع .. ومن أشهر شبان مصر الجديدة .. انه حلم كثير من صديقاتى .. ولكن ينقصه شىء .. لا أدرى ما هو .. انه كالطعام الذى طهى على نار حامية .. لو طهى على نار هادئة لازداد طعامة ودسامة !

وبدأ جرس التليفون يرن فى بيتى .. وترفع أمى السماعة فلا يرد أحد .. ويرن مرة أخرى .. ويرفع زوج أمى السماعة .

فلا يرد أحد .. استمر الرنين .. ولا احد يرد .. اياما كثيرة .. وبدأت التعليقات .. وبدأت أمى تواجهنى بعينين متسائلتين .. وخفت من هذا التساؤل .. خفت منها .. ومن زوج أمى .. وفى مرة رن جرس التليفون ، ورفعت انا السماعة .. وأمى بجانبى .. وسمعت صوت خالتى وأخذت ارد : الو .. الو .. الو .. وانا اضغط السماعة على اذنى ، حتى أخفى فيها صوت خالتى وهى تهتف هى الأخرى .. الو .. الو .. ثم وضعت السماعة .. والتفت الى امى ، وقلت فى براءة :

ـ ما حدش بيرد ..

فقط لاقضى على شكوكها ..

وحرصت على أن ابقى بجانب التليفون الى ان تكلمت خالتى مرة ثانية ، وسمعتها تصيح :

ـ انتم تليفونكم خسران ولا ايه ؟

واجبت :

ـ ابدا يا طنط .. ازيك .. وازاى ريرى ..

ثم بعد ايام رن جرس التليفون .. وكنت بجانبه ، وأمى بعيدة .. وسمعت صوت محمد .. كيف عرفت صوته ، وأنا اسمعه فى التليفون لأول مرة .. لا أدرى .. ولكنى عرفته .. وقال محمد فى عبط المغرور بمجرد أن سمع صوتى :

ـ انا محمد ..

وقلت فى حدة هامسة ، وأنا التفت الى الحجرة المجاورة لأرقب أمى :

ـ انت اللى بتضرب تليفون ولا تردش ..

قال كأنه يتباهى :

ـ أيوه ..

قلت :

ـ تانى مره أوعى تضرب تليفون .. فاهم .. انت حاتتسبب لى فى مصيبة ..

قال :

ـ اذا ما كنتيش عايزانى أضربلك .. اضربيلى انت ..

قلت :

ـ طيب .. حاضربلك .. مع السلامة دلوقت ..

واعدت سماعة التليفون .. وانا أبتسم .. وكثير من الزهو يملؤنى .. كأنى أميرة تحكم الرجال ..

وبدأت أحادث محمد فى التليفون ..

لم يكن وحده الذى أحادثه فى التليفون .. كنت لا زلت اتسلى بالحديث مع غيره .. ولكن محمد وحده هو الذى يعرف من تحدثه ..

وبعد ثلاثة أسابيع او أكثر .. خرجت الى اول لقاء معه .. اول لقاء لى مع شاب .. كانت أمى قد سمحت لى بزيارة صديقتى هدى .. وحدى .. واتصلت بمحمد ، وطلبت منه أن ينتظرنى بسيارته فى شارع البارون . وركبت بجانبه ..

لم اتردد .. ولم أحس برجفة .. ولا بارتباك .. جلست بجانبه ، كأنى أجلس فى مقعد السينما .. ونظرت اليه كأنى أنتظر بداية العرض .. ودبلة الخطوبة فى اصبعى ..

وربما كان محمد يومها اكثر ارتباكا منى .. انه لا يعرف من أين يبدأ العرض الذى أنتظره .. وحديثه متقطع .. ينتقل من موضوع لموضوع دون أن ينسق حديثه فى موضوع واحد .. ويتكلم بسرعة ، كأنه يلهث ..

وقال خلال حديثه :

ـ ده خطيبك اللى كان معاكى انت ومامتك اول امبـارح ؟
قلت وانا أنظر من خلال نافذة السيارة :

ـ أيوه ؟ ..

قال :

ـ بس ده كبير ..

والتفت اليه وفى عينى نظرة متحفزة وقلت فى حدة :

ـ مالكش دعوه بيه ..

وكنت مستعدة ساعتها أن أضرب محمد بالقلم لو استمر فى الحديث عن عبد السلام .. لقد شعرت ساعتها أن كل خلجة منى تتحفز للدفاع عن خطيبى .. لا ادرى لماذا .. ان محمد لم يخطىء .. ان عبد السلام « كبير » .

فعلا .. وأكثر من ذلك .. ان على طرف أنفه ثقوبا صغيرة .. وفى فكه سنة ذهبية .. وسرواله مهرول .. ولكنى لا اقبل أن أسمع هذا الكلام من أحد .. انى أقوله لنفسى فقط .. و .. ماذا اقول .. ربما لم اكن أدافع ساعتها عن عبد السلام .. كنت أدافع عن نفسى .. عن نصيبى .. عن شخصيتى الضعيفة .. عن استسلامى .

وقال محمد وهو يبتلع ريقه:

ـ أنا آسف ..

ثم مد يده وامسك بيدى وضغط عليها .. وتركتها له لحظة ليحتفظ بها فى يده .. ثم عدت وسحبتها منه بسرعة .. لماذا .. لأنى تذكرت عبد السلام وخشيت أن أقارن بين يده ويد محمد .. اليد الطرية كقطعة العجين الملساء واليد الساخنة المتماسكة التى تضغط على يدى فى قوة ، تكاد تخنق اصابعى ..

ولم يدم لقائى بمحمد اكثر من ربع ساعة .. ذهبت بعدها

الى زيارة صديقتى .. ثم عدت الى البيت ، كأنى عائدة من السينما .. لا شىء بقى من كل ما فعلته أكثر مما يبقى من ذهابى الى السينما .. ووقفت أخلع ثيابى فى المرآة ، وأتأمل الكنز العزيز .. ولم أتذكر ساعتها محمد .. ولكنى عدت اتذكر عبد السلام ، ووجهه يطل على من المرآة .. وانقلبت شفتى رغما منى .. فى قرف .. ثم اقحمت فى خيالى صورة محمد .. أخذت اتخيله كأنه صاحب هذا الكنز .. مكتشفه .. لا .. ان محمد ينقصه شىء .. لا أدرى ما هو .. ولكن يخيل الى انه لا يعرف الطريق الى كنزى .. ولكن .. لابد أنه يعرف أكثر من عبد السلام ...

ونمت ليلتها ، ولست سعيدة .. ولست شقية .. ولست نادمة .. ولا شىء .. فارغة ..

هل انبنى ضميرى لأنى ذهبت الى لقاء شاب وانا مخطوبة لغيره .. ابدا ..

ولم اقابل محمد مرة ثانية الا بعد شهر .. ربما لان ظروفى ورقابة امى لم تكن تتيح لى لقاءه .. وربما لانى لم أكن متحمسة للقائه ، الى حد محاولة التغلب على ظروفى ، ورقابة امى ..

وربما لأنى كنت لا زلت أتسلى بالتحدث فى التليفون مع شبان غيره .

وكان لقاؤنا الثانى سريعا ايضا .. حاول خلاله ان يقبلنى .. ولكنى لم أعطه الا خدى .. ثم فتحت باب السيارة وجريت ..

وبعد اربعة ايام ، حدد موعد كتب كتابى الى عبد السلام .. وانشغلت فى اعداد ثوب الفرح ، وفى اعداد الحفل الكبير الذى اقيم لى فى فندق سميراميس .. انشغلت كلى .. امتلأ مرافى حتى قمته .. لم أعد أفكر فى محمد .. ولا فى خطيبى

عبد السلام .. ولم أعد أعاكس أحدا فى التليفون .. بل نسيت كنزى الغالى .. نسيت جسدى .. انى مشغولة منذ أن أفتح عينى ، حتى أنام منهكة متعبة .. تعب لذيذ ..

ربما كان كل القصد من هذه الضجة التى تقام استعدادا ليوم القران ، هو شغل وقت العروس .. حتى لا تفكر .. حتى لا تحس .. حتى لا تخلو الى نفسها .. انه من نوع سلب الارادة .

ثم ..

وأنا فى « الكوشة » بدأت عيناى تدوران حولى من جديد .. بدأت أفيق من الاستعدادات التى أخذتنى كلى .. الثوب ارتديته والطرحة البيضاء فوق رأسى .. وثريا سالم زفتنى .. ونجاة الصغيرة غنت .. والخاتم أصبح فى يدى اليسرى .. وكلمات التهنئة أصبحت معادة مملة .. وخالاتى الخمس القين بأنفسهن على المقاعد فى استرخاء .. وأمى هدها التعب ، وعيناها تغفوان بين الحين والحين .. انتهى كل شىء .. وافقت لنفسى .. عدت الى احساساتى .. عدت أحس وأنا فى الكوشة بشفتى .. بعنقى .. بصدرى .. بساقى .. ويمتلىء خيالى بصورة زوجى ، دون أن أن التفت اليه .. وارى الثقوب على أنفه .. وسرواله المهدل .. وتنقلب شفتى السفلى رغما عنى .. وأشعر بالسخط لأن هذا الرجل هو الذى تقرر أن يتشفنى .. يكتشف كنزى .. وتدور عيناى فى وجوه الشبان الآخرين .. ترى .. من منهم أحق باكتشافى .. وأنا .. لا زلت فى الكوشة .. والورد حولى .. والمدعوون سكارى ..

وعدت الى البيت ..

لست سعيدة ..

ولكنى متعبة ..

وكان الزفاف سيتأجل كثيرا .. فان عبد السلام يبنى فيللا فى السويس لم تتم بعد ، ولا نستطيع أن نشترى الجهاز قبل أن تتم ..

كل ما حدث بعد عقد القران ، أن أمى أصبحت تتركنى مع عبد السلام وحدنا .. ولكن عبد السلام لا يحاول شيئا .. انه يقبلنى على خدى عند لقائنا .. ويقبلنى على خدى عند افتراقنا .. ويقبل يدى أحيانا .. وفى مرة قبلنى فوق شفتى قبلة سريعة .. مرت كلمسة من الهواء البارد .. ارتبك بعدها .. واحمر وجهه .. وادعيت أنا الخفر والحياء .. وحاول أن يقبلنى قبلة أخرى .. فقلت وأنا أنفر من جانبه :

ـــ احنا اتفقنا على ايه ! ؟ مافيش حاجه قبل ما نروح بيتنا ..

واستسلم الرجل الطيب ..

وبقيت عروسا عذراء ..

والواقع ن عبد السلام كان يفضل أن يجلس مع أمى وزوج أمى .. على أن ينفرد بى .. كان يجد معهما نفسه .. ويضيع معى عن نفسه ..

والفراغ يحيط بى ..

وعدت أملأ فراغى بمعاكسة الشبان فى التليفون .. والتحدث مع محمد .. وقد أصبحت أكثر حرية من قبل .. أمى تركتنى افعل ما أشاء .. كأنها انتهت منى .. ورغم ذلك لم أفكر فى لقاء محمد مرة أخرى .. كان يلح على كثيرا .. ولكنى كنت أرفض .. لا أدرى لماذا .. ربما لأنى كنت اتعالى عليه بعد أن عقد قرانى .. احسست انى أصبحت اكبر منه .. أصبح فى نظرى .. عيل .. وانا كبيرة .. زوجة .. أريد شيئا كبيرا ..

وفى الأيام التى كان عبد السلام يبقى فيها فى القاهرة .

كنت اصر على ان يصحبنى للعشاء فى الخارج كل ليلة .. وكنت انتقى المحال التى تعودت أن أقرأ عنها دون أن أراها .. الهيلتون .. مينا هاوس .. روف سميراميس ..

وفى روف سميراميس ، رأيت هاشم لاول مرة ..

الدكتور هاشم .. على سن ورمح .

رأيته طويلا .. عريضا .. عيناه منتفختان كأنه مستيقظ لتوه من النوم .. فيهما نظرات معلقة فى الهواء ، لا تدرى أينظر بهما اليك ، أم أنه لا يراك .. وشفتاه غليظتان ، منفرجتان دائما نصف انفراجة .. لا تدرى ما بينهما .. ابتسامة .. أم تأوه .. وانفه اقنى .. قوى .. ان كل ما فيه قوى .. انه يشبه المثل الأمريكى روبرت ميتشام ، ولو أنه اقل طولا ، واقل عرضا .. ونظرت اليه طويلا .. انه من هذا الصنف من الناس الذين تضطر بمجرد أن تراهم ، أن تنظر اليهم طويلا ، لأن فيهم شيئا يميزهم عن بقية الناس .

ولا ادرى هل كان ينظر الى بعينيه المنتفختين أم أن عينيه كانتا متجهتين نحوى ، بلا قصد .. ولكنى شعرت أن نظرتى اليه تنقل أحاسيس عجيبة الى جسدى .. الى جسدى .. لا الى قلبى ولا الى فهمى .. وبحركة غير ارادية وجدت نفسى أشد ثوبى فوق ركبتى ثم أرفع كفى وأغطى بها ذراعى .. كأنى احمى نفسى منهى ..

وداومت ليلتها النظر اليه .

نظرات مختلسة لا يلمحها زوجى الجالس بجانبى .. ولا أدرى ، لماذا تعمدت أن تكون نظراتى اليه بصراحة ، دون أن أخشى زوجى .. فأنا لا أعرفه .. وليس بينى وبينه شىء .. ولكنى أعود وانظر اليه .. واغتاظ .. اغتاظ من نفسى ،

ومنه ويشتد غيظى .. ان منظره يثيرنى .. يجعلنى افكر ان اقوم واضربه بالقلم .. وأشد أنفه الكبير .. انه يبدو مغرورا .. متعاليا .. كأنه يملك الدنيا كلها .

ورآه زوجى ، فهمس فى صوت مبهور كأنه راى شيئا رائعا .. كأنه رأى نابليون بونابرت ، أو روبرت ميتشام ..

ــ ده الدكتور هاشم ..

وكانت اول مرة أسمع اسمه .. سمعته من زوجى عبد السلام ..

واغتظت ساعتها من عبد السلام .. اغتظت منه أكثر من غيظى من منظر الدكتور هاشم .. لماذا انبهر كل هذا الانبهار .. لماذا لا تكون له شخصية قوية لا تنبهر بأمثال الدكتور هاشم .. وشعرت به صغيرا ، تافها .. شعرت بالسخط عليه ، والقرف منه .

وعاد يقول وهو لا يزال مبهورا وعيناه معلقتان بالدكتور هاشم ، وكأنه يبتهل اليه :

ــ ده دكتور شاطر قوى ، مع انه لسه صغير .. تصورى ان ابن عمى غلب مع دكاترة مصر .. ما حدش عرف يخففه الا الدكتور هاشم ..

ولم أرد عليه .. هززت كتفى ، وقلبت شفتى .. كأنى لا أبالى ..

ورفع زوجى عنقه فى زهو ، كأنه يتباهى بأنه يجلس فى نفس المكان الذى يجلس فيه الدكتور هاشم .. ثم قال والبهرة تطل من عينيه :

ــ اقوم اسلم عليه .. ده مؤكد عارفنى من أيام ما كان بيعالج ابن عمى .

وصرخت فيه صرخة هامسة حادة :

— لا .. اذا كان عارفك يجى هو يسلم عليك ..

ونظر الى فى دهشة .. وسكت ..

ولم يتعرف الدكتور هاشم على زوجى ، ولم يأت لمصافحته .. بل لم أر فى نظراته المعلقة فى الهواء ، انى اثرت انتباهه ، أو لفت نظره .. وعدت الى البيت وانا احس بالفشـــل .. لم اكن انسب فشلى الى الدكتور هاشم .. لا .. فأنا لا اعـــرفه .. ولا يعرفنى .. ولكن لابد انه هـــو الذى أثار فى الاحســـاس بالفشل ..

وقبلنى زوجى فى السيارة أمام البيت .. قبلنى على خـــدى .. ثم عاد الى الفندق الذى تعـــود أن يقيم فيه ، كلمـــا جاء الى القاهرة .. وجلست مع أمى أروى لها أخبارى .. قلت لها كل شىء .. وبين كل كلمة وأخرى أهم أن أخبرها انى رايت ضـــمن من رأيت الدكتور هاشم .. ولكنى أؤجل الخبر .. وأخيرا .. فى آخر نشرة الأخبار ، قلت لها بلا مبالاة :

— وشفنا الدكتور هاشم ..

وانبهرت أمى كما انبهر زوجى عبد السلام ، وقالت :

— والنبى جـــد .. وكان مع مين ؟

قلت وأنا مندهشة من انبهارها :

— مع شوية رجاله وستات .

وعادت أمى تقول وبهرتها لا تخفت :

— تعـــرفى انه هو اللى عالج ســـوسو بنت حســـنيه هانم .. واعادها للحياة .. ده بيقولوا عليه انه معجزة .

وحنيت رأسى فى يأس .. كأنى صدمت لأن أمى لا تريد أن تغتاظ معى من الدكتور هاشم ..

واستطردت أمى وهى تمصمص شفتيها :

— أنا عارفه الراجل ده ما بيتجوزش ليه .. ده ما فيهش حاجه ناقصه على الجواز ابدا ..

وقمت من جانبها وأنا اتنهد .. دون أن أرد عليها .

ووقفت أمام مرآتى ، وقد خلعت ثيابى ، اتأمل جسدى .. وأحدق فيه أكثر من كل يوم .. واتأمل كل خط .. كل ثنيـــة .. وتقفز الى ذهنى تســـاؤل مفاجىء كأنه انطلاقة برق شقت ظلام فراغى !

هل يمكن أن يكون الدكتور هاشـــم هو زوجى ، بدلا من عبد السلام ؟

— ٢ —

.. ومن يومها لم أســـتطع أن انزع صورة الدكتور هاشم من رأسى .. والسؤال يعود ويتردد فى صدرى .. لماذا لا اتزوج هاشـــم بدلا من عبد الســـلام .. وأحس أن هذا التساؤل نوع من الخيال .. نوع من أحلام اليقظة البعيدة .. كأنى أحلم بالزواج من روك هدسون ، أو روبرت ميتشام .. ولكن .. لماذا يكون زواجى بالدكتور هاشم مجرد حـــلم .. لماذا أعتبره شيئا كبيرا بعيدا كروك هدسون ، أو روبرت ميتشام ، انه رجل عادى .. مجرد طبيب ناجح .. وأى فتاة يتزوجها لن تزيد عنى فى شىء بل أنا أجمل من أى بنت يمكن أن يتزوجها .. كل ما هنـــاك انى قليلة البخت ، ليكون نصيبى من الرجال ، رجلا كعبد السلام .. وأمى عبيطة لتتركنى أتزوج عبد السلام .. انها لا تستطيع

أن تقدر قيمة جمالى .. لا تستطيع أن تقدر قيمة الكنز الذى سيكتشفه الرجل الذى يتزوجنى ..

وأقفز من فراشى واقف أمام مرآتى لأطمئن على كنزى .

وفجأة . .بدأ يداخلنى شك فى قيمة هذا الكنز .. بدأت اتذكر رأى الناس الذين لا يعجبهم جمالى .. وأبحلق فى المرآة لأتأكد أن لون بشرتى ليس أصفر ، كما يقولون . أبيض كاللبن الحليب .. وأن عينى ليستا جاحظتين .. ورفعت صدرى بكفى . كأنى أزن ثقله لأتأكد من أنه ليس صغيرا .. واستدرت أمام المرآة لأتأكد من أن ظهرى ليس ممسوحا .. والشك يفتك بى .. انها المرة الأولى التى افقد فيها ثقتى بنفسى الى هذا الحد .. ثقتى بجمالك .. والدكتور هاشم هو السبب .. هو الذى أثار فى نفسى الشك .. هو الذى يقلقنى .. ولكن .. الدكتور هاشم ليس له ذنب .. انه لا يعرفنى .. بل لعله لم يرنى .. ولكنه خيالى .. طموحى .. انى اكره أن أصف نفسى بالطموح .. لست طموحة .. ان الفتاة الطموحة ، هى التى ينقصها شىء .. وأنا لا ينقصنى شىء .. ثم من هو الدكتور هاشم ، ليثير طموحى .. انه رجل كبقية الرجال .. باشارة واحدة يسقط تحت قدمى .. وكل ما احتاج اليه هو أن اتخلص من خيالى .. واحمد الله على نصيبى ، واسكت ..

ولكنها لم تكن المرة الوحيدة التى رأيت فيها هاشم .. لقد رأيته بعدها مرة أخرى عندما ذهبت أنا وزوجى لنتناول عشاءنا فى الهيلتون .. ومرة ثالثة عندما ذهبنا الى مينا هاوس .. كل مكان أذهب اليه أراه فيه .. كأن القدر يشد أحدنا الى الآخر .. بل أن زوج خالتى أوصانا مرة أن نذهب .. زوجى وأنا .. لنتناول عشاءنا فى مطعم « الجريون » .. ولم أكن قد ذهبت

الى هذا المطعم ولا سمعت به .. وعندما ذهبت .. رأيته .. هاشم .. واقفا مستندا الى حافة البار ، يتناول كأسا من الويسكى .. وكدت أبكى من الغيظ .. انى لا أريد أن أراه .. انه يثير خيالى ، وخيالى يقلقنى .. ورغم ذلك فانى لم أتوقف عن اختلاس النظر اليه .. ولم أر منه الا هذه النظرة المعلقة فى الهواء التى تطل من عينيه المنتفختين ، والتى لا أدرى أيرانى بها ، أم لا يرانى .. وهاتان الشفتان المنفرجتان ، واللتان لا أدرى ، أبينهما ابتسامة ، أم تأوه .. وزوجى بجانبى ينظر اليه مبهورا ، وابتسامته سائلة على شفتيه ، كأنه لم يفقد الأمل فى أن يتعرف عليه هاشم يوما ، ويتقدم لمصافحته ..

وليلتها عدت الى البيت ، وأنا أعانى الاحساس بالفشل .. الاحساس الذى يلازمنى دائما كلما عدت بعد أن أرى هاشم .. احساس بأنى لم أستطع أن الفت نظره .. لم أستطع أن ادخل حياته ، حتى ولو من خلال نظرة عابرة .. ولكنى فى هذه الليلة تعذبت أكثر .. عذبنى سخطى .. وحيرتى .. وضعفى ..

وفى اليوم التالى قمت متعبة .. والغيظ يهدنى .. وأخذت أطوف بحجرات البيت ، وليس لى طاقة لأبدل قميص النوم .. أو امشط شعرى .. أو انظر الى وجهى فى المرآة .. وصورة هاشم تلاحقنى فى كل غرفة .. وتقفز أمام عينى فى كل خطوة والغيظ منه يشد أعصابى ، ويثيرنى .. أريد أن أضربه .. أن أشد أنفه الكبير .. أن أسخر منه .. أن أمرمطه ..

وفى الساعة الواحدة والنصف .. رفعت سماعة التليفون ، وأدرت رقم عيادة الدكتور هاشم ، وصرخت فى التومرجى الذى رد على :

— من فضلك ادينى الدكتور قوام .

وقال التومرجى المؤدب :

— مين حضرتك ؟

قلت :

— احنا عندنا حاله مستعجله . وعايزين الدكتور قوام .

وقال التومرجى المؤدب :

— دقيقه واحده ، من فضلك ..

و .. وسمعت صوت هاشم الأول مرة .. غليظا ، عميقا ، بطيئا . كأنه يتثاءب .. وقلت فى حدة بمجرد ان سمعت صوته :

— تسمح تقول لى ، حاتسهر فين الليله ؟ ..

وقال دون أن تبدو عليه الدهشة :

— اقدر اعرف ، ليه ؟ ..

قلت وأنا اشد حدة :

— علشان ما استهرش فى الحته اللى تسهر فيها ..

قال ببساطة :

— طيب ما تسهريش الليلة فى سميراميس ..

ثم وضع سماعة التليفون ..

المجرم ، السافل ، لقد وضع سماعة التليفون قبل أن أضعها .. انها غلطتى .. كان يجب أن القى السماعة فى وجهه قبل أن أسمع رده على سؤالى .

وعاودنى الاحساس بالفشل .. اقسى ، وامر .. والغيظ يفرينى ..

وعندما جاء زوجى ليتناول طعام الغداء ، عندنا ، قلت له فى اصرار لا داعى له ، اننا سنتعشى الليلة فى مينا هاوس .. قلتها بصوت عال ، كأنى أريد أن يسمعنى الدكتور هاشم .

وليلتها .. عندما وقفت أمام المرآة لأستعد للخروج ، وجدت نفسى اغير من تسريحة شعرى .. تركته يتهدل على عينى .. انه هكذا أكثر اثارة ، وأكثر اجتذابا للأنظار .. ثم تعمدت أن اضع « سوتيان » محشوا بالقطن ، كنت قد اشتريته قبلها بأسبوعين .. وأخذت فى أصبعى مسحة من قلم الروج ، ودعكت بها وجنتى حتى أتأكد من انهما ليستا صفراوين كما يقول البعض .. وأكثرت من وضع الكحل فوق جفنى حتى يقلل الظل من اتساعهما .. حتى لا يبدوان بارزتين كما يقولون .. وارتديت ثوبى الأبيض .. انه ثوب ضيق .. مثير .. واستدرت أمام المرآة .. هل حقيقة أن ظهرى ممسوح .. لا .. انى لا اراه ممسوحا ..

ولكن .. من يدرى .. وعدت وخلعت الثوب وجئت بشال من الحرير . ولففته اسفل ظهرى .. كما تفعل الراقصات .. ثم ارتديت فوقه الثوب .. ان البروز واضح الآن .. والثوب أصبح أكثر اثارة ..

وكنت افعل كل ذلك ، وانا انكر على نفسى انى افكر فى هاشم ، أو أتخيله .. كنت مستجمعة كل ارادتى حتى لا أنساق الى خيالى .. كنت مستجمعة كل ارادتى لأكذب على نفسى ..

وركبت بجانب زوجى فى سيارته ، واتجهنا الى مينا هاوس كما اتفقنا فى الصباح .. وانا صامتة .. احاول ان أؤكد لنفسى انى فعلا اريد أن أذهب الى مينا هاوس . لن اغير رأيى ..

ابدا .. لن اغير رأيى .. و .. ولكن ، قبل أن نصل الى كوبرى قصر النيل ، التفت الى زوجى وقلت مبتسمة :

— ايه رايك نروح سميراميس .. اقرب ..

وابتسم زوجى ابتسامة كبيرة كشفت عن سنته الذهبية فى جانب فكه ، وقال :

— زى ما انتى عايزه .. اللى تأمرى بيه .. انتى الليلة تتاكلى أكل ...

وقلت فى يأس :

— متشكرة ..

لماذا سمع كلامى .. لماذا لا يعاوننى على اجتياز ازمتى .. لماذا لا يحمينى من نفسى .. ولكنه لا يدرى .. لا يدرى أنى منطلقة وراء خيالى .. وفى خيالى زوج آخر غيره ..

وذهبنا الى سميراميس .. وجاء هاشم متأخرا ، وجلس على مائدة مزدحمة بالرجال والنساء ، وادار رأسه على بقية الموائد بمجرد أن جلس .. وخيل الى انه يبحث عنى .. غرور .. ان رأسه لم يتوقف عندى .. وليس فى عينيه سوى هذه النظرة المعلقة فى الهواء .. وشفتاه منفرجتان هذه الانفراجة التى لا تدل على ابتسام ولا على تأوه ..

ومن يومها يئست من الهروب من خيالى .. استسلمت له .. واعترفت أنى أتمنى لو كان الدكتور هاشم زوجى بدلا من عبد السلام .. واعترفت أن هذه الأمنية تستبد بى .. لا ادرى كيف احققها .. ولا ادرى كيف اتخلص منها .. وأصبحت اخرج مع زوجى فى الأيام التى يقيم خلالها فى القاهرة ، كأنى ذاهبة الى لقاء هاشم .. أو ذاهبة للبحث عنه .. وكنت دائما أجده .. كأنى اعرف خطواته .. شىء غريب .. ولكن هذا هو ما كان

يحدث .. وفى مرة ذهبت الى الهيلتون ، وانتظرت الى الساعة الحادية عشرة ، ولم يظهر هاشم .. فقلت لزوجى :

— أنا متضايقة .. الناس الليله دى دمها تقيل .. تعالى نروح مينا هاوس .. عايزه أشم هواء ..

وذهبنا الى مينا هاوس .. ورأيت هاشم هناك ..

وأصبحت أستثقل الأيام التى يعود فيها زوجى الى السويس . لانى لا أخرج ولا ارى هاشم .. وأصبحت أنتظر عودته من السويس ، كأنى أنتظر هاشم .. والح عليه أن يطيل بقاءه فى القاهرة .. والمسكين سعيد .. يظن انى أزداد تعلقا به ..

وفى كل ليلة أعود لأجلس مع امى وأدفعها دفعا الى التحدث عن هاشم .. بل انى كنت أجر الحديث عن هاشم فى كل مجتمع يضمنى .. مع صديقاتى .. مع خالاتى .. أريد أن أعرف عنه كل شىء .. وعرفت انه يقيم مع أخته وزوجها فى فيلا بالمعادى .. وانه أعلن خطبته منذ خمس سنوات ، ثم فسخها بعد شهرين . .لا أحد يدرى السبب ، على وجه التحديد .. وأن سيدة مشهورة اسمها ناهد ، أحبته منذ عامين .. ثم انفصلا ، ولا أحد يدرى لماذا .. ربما لأنها كانت أكبر منه .. و .. و .. كل ما يعرفه الناس ، عرفته . .وخيالى يتجسد أمامى .. ويتجسد أكثر .. انى اكاد أحس بهاشم ينام فى سريرى .. وانفاسه فوق وسادتى .. وأتقلب فى نومى ، وأجذب الملاءة معى ، فأحلم بأنى جذبتها من فوقه وهو راقد بجانبى .. فأصحو من نومى .. وأبتسم .. ابتسم له .. كأنى أعتذر بابتسامتى الانى جذبت الملاءة من فوقه ..

وكل شىء يبدو سهلا امامى .. انى أستطيع أن أصل اليه .. وأستطيع أن اتزوجه .. ربما كانت غلطتى وغلطة أمى .

اننا لم نختر عبد السلام ، ولكن عبد السـلام هو الذى اختارنى .. لو اننى انتظرت حتى اختـار انا .. حتى التقى بالرجل الذى اريده واقرر الزواج به ، فربما تزوجت الدكتور هاشم .. وأصبحت احمل الاسم الكبير .. حرم الدكتور هاشم .. كل البنات يفعلن هذا .. يخترن الرجل ، ثم يضعن خطة ليدفعنه الى الزواج ..

ولكنى لم اضع خطة ..

صدقونى انى لم اضع خطة ..

تصرفت تلقائيا ، بلا تفكير ..

اتصلت بعيادته فى الصباح ، وطلبت تحديد موعد لكشـف خاص .. وحدد لى التومرجى موعدا فى الساعة الواحدة بعد الظهر .. وحاولت وانا واقفة امام المرآة ان أعتنى بزينتى اعتناء خاصا .. ولكنى لم استطع .. كنت مرتبكة .. لا .. لم أكن مرتبكة .. كنت ساهمة .. ولم اجد صعوبة يومها فى الخروج من البيت وحدى .. انى متزوجة .. وأمى لم يعد لها حق على .. وذهبت وليس فى راسى كلمة واحدة مما سأقوله لهاشم .. ليس فى راسى شىء .. سـاهمة .. كل ما فعلته وانا ادخل العمارة التى تقع فيها العيـادة هو انى خلعت دبلة الزواج من اصبعى والقيت بها فى حقيبتى .. لم يكن هذا جزءا من الخطة ، ابدا .. ولكن فعلته لانى خجلت ان تظل دبلة الزواج فى اصبعى وانا فى طريقى الى الرجل الذى اريده .

وجلست فى غرفة الانتظار المخصصة للسـيدات .. انهـا مزدحمة .. نساء وبنات كثيرات .. ولا ادرى لماذا خيـل الى انهن كلهن أصحاء .. ليست بينهن مريضة واحـدة .. ولكنهن مثلى جئن ليتعرفن بالدكتور هاشـم .. فقط ليتعـرفن به .. وكرهتهن جميعا .. وكانت بينهن فتاة فى مثل سنى .. ماذا تفعل

هذه الفتاة هنا .. انها لا تبدو مريضة .. وجنتاها فى لون الطماطم .. وعيناها وقحتان .. وجسدها ممتلىء بالعافية .. تستطيع أن تهد جبلا .. ونظرت اليها كأنى احاول أن أخنقها بعينى .. لا بد أنها من البنات المائعات ، الفارغات ، اللاتى يترددن على عيادات الأطباء لقطع الوقت .. وابتسمت .. ابتسمت ساخرة من نفسى .. انى أنا أيضا من البنات المائعات الفارغات ..

وأدرت عينى عن الفتاة .. وابتسامتى التى أسخر بها من نفسى لا يزال طعمها بين شفتى .. وسقطت عيناى فوق أصبعى الذى خلعت منه خاتم الزواج .. وداهمنى احساس مفاجىء بأنى عارية .. فغطيت اصبعى بكفى ، بسرعة ، كأنى أغطى نفسى ..

وحاولت ان اهدأ .. حاولت ان اجمع ذهنى المشتت لأفكر فيما أفعله .. ربما كنت مجنونة .. ربما كان من الأسلم لى ان اطرد كل هذه الخيالات من راسى واعود الى بيتى . والى زوجى الرجل الطيب ..

ولكنى لم اهدأ .. وجاء التومرجى واخذ منى جنيهين أجر الكشف .. وأعطانى ايصالا .. ونظرت الى الايصال ، وعدت أبتسم ساخرة من نفسى .. انها المرة الأولى التى تدفع فيها فتاة ثمن لقائها مع رجل .. جنيهان لأرى رجلى .. لأرى خيالى .. انه احساس مهين .. احساس أذلنى .. وحاولت أن أقنع نفسى بأنى أدفع ثمن تذكرة سينما .. كأنى فى طريقى لأرى فيلما لروبرت ميتشام .. ان روبرت ميتشام أيضا يملأ خيالى .. كل ما هناك أن تذكرة الدكتور هشام اغلى قليلا من تذكرة روبرت ميتشام .. ولكن .. لا .. انى لا أحس بهذه الرجفة ، ولا بهذا الارتباك وانا ذاهبة الى السينما ، حتى لو كان البطل هو روبرت

ميتشام .. وعاودنى الاحساس المهين .. احساس بأنى أدفع ثمن لقائى بالرجل الذى اخترته .. كأنى اشتريته بالفلوس ..

وحاولت أن أطرد هذا الاحساس ، لأعود وأفكر فى هدوء .. ولكنى لم أستطع .. السيدة العجوز التى تجلس بجانبى مالت على بكل جسمها ، وسألتنى :

ـ وانتى يا حلوه بتشتكى من ايه ؟

وترددت برهة .. لم أكن قد قررت نوع المرض الذى أدعيه .. كأن الموضوع قد غاب عنى حتى هذه اللحظة .. وقلت فى تلعثم :

ـ بادوخ .. وعندى صداع مستمر ..

وقالت السيدة العجوز وهى تبتسم واثقة كأنها تعلم كل شىء :

ـ يبقى عندك مصران اعور .. اصل بنت أختى كان عندها .. و ..

وانقذنى منها التومرجى المهذب .. جاء دورى :

ـ اتفضلى يا افندم ..

وخيل الى انى تشبثت بمقعدى برهة .. لا اريد ان اذهب اليه .. أريد أن أعود الى بيتى .. ولكنى تمالكت نفسى وقمت والرجفة تسرى فى دمى .. وسرت وراء التومرجى ، وأنا أشعر بعيون المنتظرات تلسع ظهرى ، كأنهن يرين رجفتى ويعرفن سرها ، وكأنهن يحسدننى لأنى سبقتهن الى الجنة .

ووجدت نفسى معه ..

مع الدكتور هاشم ..

لأول مرة ..

فى غرفة مكتب هادئة .. غامقة اللون .. خافتة الضوء

.. ينطلق فيها هواء رطب ، من مكيف الهواء .. وفوق المكتب آلتان للتليفون ، احداهما بيضاء .. وهو واقف .. طويلا .. عريضا .. أنفه قوى .. ويرتدى حلته كاملة ، وليس فوقها معطف أبيض . كما تصورت .. كأنه واقف ليستقبل مدعويه فى بيته ..

وانطلقت من بين عينيه المنتفختين نظرة بارقة .. كأنها نظرة دهشة .. كأنه فوجىء .. ثم أرخى عينيه عنى سريعا ، وابتسم ابتسامة خفيفة مرت بين شفتيه المنفرجتين بسرعة .. ثم اشار الى مقعد عريض بجانب المكتب ، وقال فى صوت خفيض :

— اتفضلى ..

ولف حول المكتب وجلس على كرسيه ..

وجلست انا على حافة المقعد .. والرجفة لا تزال تسرى فى دمى .. حائرة اين اضع نظرات عينى .. هل انظر اليه .. هل أنظر امامى .. هل انظر الى حذائى .. ولا ادرى ماذا كان لون وجهى ساعتها .. هل كان أحمر ، ام أصفر .. ولم ادر هل أتكلم ام اسكت .. ولكننى .. فجأة .. وجدت نفسى انطلق بالكلام كأنى أفر به من ارتباكى :

— انا يا دكتور بأحس بدوخه .. ودايما عندى صداع .. وماليش نفس للأكل .. ولما بقوم من النوم بابقى دايخه .. ولما ..

وقاطعنى ، وهو يخرج ورقة مطبوعة من درج المكتب ، وكأنه لم يسمع كلمة واحدة مما قلت :

— الاسم من فضلك ؟ ..

وقلت وأنا مستطردة فى الكلام :

— ميتو ..

ورفع الى عينيه فى دهشة ، وابتسامة كبيرة تملأ شفتيه ..

واستدركت قائلة :

— امينة .. أمينة سالم ..

قال وهو يكتب ؟ ..

— السيدة ؟ ..

وترددت قليلا ثم قلت :

— آنسة ..

انى لم أكذب .. انى آنسة فعلا ، لم ازف بعد الى زوجى .. واسترحت لأنى أقنعت نفسى بأنى لست كاذبة ..

وعاد يسألنى ، وقد سحب ابتسامته من بين شفتيه . واكتسى وجهه بمظهر الجد :

— السن ..

— تسعتاشر ..

ورفع الى عينيه فى نظرة سريعة ، كأنه اكتشف كذبى .. لا .. لا يمكن أن يكون قد اكتشف كذبى . انى طويلة ، وكل من يرانى يقدر عمرى بأكثر من سبعة عشر عاما ..

وعاد يسألنى :

— عملتى عمليات قبل كده ..

قلت وأنا أنتهز فرصة احناء راسه وهو يكتب ، لاملأ عينى منه :

— المصران الأعور .. واللوز ..

قال :

— اتحصبتى وانتى صغيره .. فاكره عيبتى بايه ؟

وبدأت اشعر بالضيق .. انه يسألنى كأنى فتاة صغيرة .. وطريقة سؤاله تسد فى وجهى كل الأبواب .. كأنه صدق انى مريضة .. وكدت اصرخ فى وجهه انى لست مريضة ..

ثم أقوم واضربه بالقلم .. واشد انفه الكبير .. ولكنى تمالكت نفسى ، وقلت :

ـ عييت بالحصبة .. ومش فاكره أكثر من كده ..

واعتدل فى مقعده ، ونظر الى نظرة جادة ، وقال :

ـ قوليلى بأه .. ايه اللى تاعبك ..

ولم أتحمل نظراته الجادة ، أرخيت عينى ، واخذت اعدد له كل ما خطر لى من مظاهر المرض .. صداع .. دوخه .. مغص .. ضعف الشهية .. امساك .. اسهال .. قلبى .. جنبى ..

ونظر الى فى حيرة ..وقال وهو يتنهد كأنه يلعن مهنته :

ـ نشوف ..

وضغط على جرس بجانبه ، وانحنى يكتب شيئا فى الورقة التى أمامه ..

وفتح باب فى داخل الغرفة ، واطلت منه ممرضة سمينة يبدو عليها انها فى الأربعين من عمرها .. اجنبية .. ربما كانت يونانية .. واشارت الى ، وقالت بلكنتها المكسرة :

ـ اتفضلى ..

وخفت ..

لا ادرى لماذا ..

ولكنى خفت ..

وبقيت فى مقعدى .. ونظرت الى هاشم كأنى استغيث به .. وكان هاشم لا يزال يكتب .. ورفع رأسه ، واتسعت عيناه كأنه دهش لأنى لا زلت فى مقعدى .. وقال هو الآخر وهو يشير الى الباب الذى فتح :

ـ اتفضلى ..

وقمت ، وركبتاى ترتعشان .. ونظرت اليه نظرة أخيرة كأنى استحلفه أن يكون رفيقا بى .. أو يعذر جنونى .. ودخلت حجرة الكشف ، وأغلقت الممرضة الباب وراءنا .. ثم أشارت الى « بارفان » موضوع فى جانب الغرفة وقالت بلهجتها العربية المكسرة :

ـ اتفضلى اقلعى ..

قلت وأنا ابتلع ريقى بصعوبة :

ـ ضرورى ..

قالت دون أن يهتز لها رمش :

ـ ضرورى يا مدام ..

قلت والدموع تقفز الى عينى :

ـ مش ممكن الدكتور يكشف على من فوق الفستان ..

قالت :

ـ لا .. مش ممكن يا مدام ..

ووقفت أمامها مبهوتة كأنى سمرت فى الأرض .. وعادت تقول فى ضيق ..

ـ اتفضلى ..

قلت وانفاسى تتلاحق فى صدرى :

ـ اقلع ايه ؟

قالت :

ـ كله .. كله ..

وحنيت راسى .. وخطوت وراء البارفان كأنى أحتمى به .. احتمى به .. احتمى به من الممرضة ومن الدكتور ، ومن نفسى .. ووقفت برهة وأنا لا اتحرك .. لماذا أعرض نفسى لكل هذا الهوان .. انى لم افكر فى أن كل هذا يمكن أن يحدث

لى .. و .. ولكنى لا استطيع ان اتراجع .. كذبتى كبرت الى حد انى لم اعد استطيع ان أهرب منها ..

ثم ماذا لو خلعت ثيابى أمام الطبيب .. كل النساء يخلعن ثيابهن أمام الأطباء .. ومنذ خمس سنوات ذهبت الى الطبيب مع أمى ، وكشف على .. انى لا أفعل شيئا أكثر مما تفعله أى بنت تذهب الى طبيب ..

وكنت احاول ان اقنع نفسى .. أن اضحك على نفسى .. ولكنى لم استطع .. ربما لأنى لم اذهب الى الطبيب لأنى مريضة ؛ بل لأنى امرأة .. ولم اذهب اليه كطبيب ، بل ذهبت اليه كرجل ..

وبدأت اخلع ثوبى فى بطء .. وخجل .. خجل ينطلق فى صدرى كصاروخ النار ، ويصهر وجنتى .. اكثر من خجل .. انه احساس بالفضيحة .. والدموع تتجمع فى عينى .. دموع فضيحتى .. ودموع ذلى .. وفى وسط كل هذه الأحاسيس الصارخة ، تذكرت انى أرتدى قميصا داخليا عاديا من الجرسية .. ان عندى قميصا داخليا ابيض من « البرلون » الطبيعى ، مطرز بالدانتيل ، على جنبيه ، وفى ذيله ، لماذا لم البسه .. يا ربى !

والدموع المحبوسة لا تزال تحرق عينى ..

واطللت برأسى من خلف البارفان لأطمئن الى أن الدكتور لم يدخل الحجرة بعد .. ثم خطوت نحو المرضة ، ووقفت أمامها صامتة خجلة ..

وقالت المرضة بمجرد أن رفعت عينيها الى :

— لسه يا مدام .. السوتيان .. والجرتيير كمان .. خليك بالكوملزون بس ..

قلت فى حدة :

— لا .. كفايه كده ..

قالت وهى تبتسم كأنى لست الفتاة الأولى :

— مش ممكن يا حبيبتى .. عايزه الدكتور يكشف، عليك ازاى ..

ثم مدت يدها بسرعة فى ظهرى ، وفكت مربط السوتيان .. وانحنت تحاول أن تفك الجرتير ، ولكنى سبقتها اليه ..

ثم سحبتنى من يدى ، وأرقدتنى فوق أريكة الكشف ، وغطتنى بملاءة بيضاء ..

وجذبت الملاءة حتى عنقى ، وتشبثت بها ، بكل اصابعى العشر .. وفى عينى نظرات خائفة مذعورة ..

وذهبت المرضة ، وفتحت الباب ، ليدخل هاشم ..

لم ينظر الى ..

لم ينظر الى قطعة منى ..

جلس على مقعد موضوع بجانب الأريكة التى ارقد عليها .. وناولته المرضة سماعته فعلق طرفيها فى أذنيه ، ثم حاول أن يجذب الملاءة من فوق صدرى .. ولكنى تشبثت بها .. ونظرت اليه بعينى الخائفتين .. ارجوه .. اتوسل اليه .. استغيث به ..

ونظر الى نظرة جامدة ملأت عينيه المنتفختين ، وقال فى لهجة حازمة صارمة :

— ارجوكى ..

ونظرت اليه مليا .. والدموع تكاد تقفز من عينى .. ثم أدرت رأسى عنه ورفعت ذراعى وغطيت بها عينى .. لا اريد ان أراه .. لا .. لا اريد أن أرى نفسى .. وكل قطعة من جسدى متوترة ، كأنها تتحفز للدفاع عن نفسها ..

احسست بأصابعه تقترب من صدرى .. هل هى اصابعه

ام نوهة السماعة .. لا ادرى .. ولكنى احس بطرقات عنيفة على باب الكنز .. انى اكتشف .. لأول مرة احس انى اكتشف .. وانا خائفة .. خائفة .. اموت من الخوف ..

وسمعت صوته يأمرنى :

ـ خدى نفس طويل ..

كيف أستطيع ان اتنفس .. انى لا استطيع .. نفسى مقطوع .. مزق .. مزقه الخوف .. والخجل .. والرهبة .. وانت ..

وعاد يأمرنى :

ـ اتنفسى ..

وتنفست كأنى اشد نفسى من بئر عميقة .. وصدرى منتفض .. ثائر .. حساس .. يحس بكل حركة من أصابعه .. ربما كان يتخيل حركات لم تحدث .. فينتفض اكثر .. وذراعى فوق عينى المغمضين .. وفجأة احس كأنى سأهيم .. كأنى سأرتاح .. سأستسلم .. فأرفع ذراعى ، وافتح عينى .. حتى ارى النور .. لأفيق .. كأن النور دش يفيقنى .

وسمعته يقول :

ـ اتفضلى اقعدى ..

ثم مد يده وأمسك بذراعى ، ليساعدنى على ان اعتدل من رقدتى .. وجلست فوق الأريكة ، وانا الف الملاءة فوق صدرى وأرتجف ..

ووضع سماعته فوق ظهرى ، من تحت قميصى .. وكل ما احس به أنفاسه الساخنة تلفح ظهرى .. واصابعه الباردة تصطدم بلحمى .. ويقول :

ـ اتنفسى من فضلك ..

يا لك من قاس .. اعفنى من التنفس .. لم يعد فى شىء يتنفس .. انى أتصبب عرقا .. الا ترى ..

ولكنى تنفست .. لأنه يريدنى أن أتنفس ..

وعاد وأرقدنى .. ونظرت اليه نظرة سريعة .. ان وجهه صارم ، جاد . كأنه لم يكتشف شيئا .. كأن ليس بين يديه كنز .. كأنى مجرد كيس من القطن ، لم تشعر أصابعه بسخونته .. برجفته .. بتحفزه ..

ومد يده من تحت الملاءة .. وضغط على بطنى ، وهو يقول :

ـ حاسه بوجع ..

يا مجنون .. الا تكفى اصابعك لتؤلمنى .. انها تؤلم كل قطعة منى .. انها تشعل النار فى أعصابى .. فى راسى .. انى احس بها تحت جلدى ..

وعدت أغمض عينى ، وأضع ذراعى فوقهما ، واجبت هامسة :

ـ لا ...

ونقل أصابعه ، يضغط بها فوق كل بطنى ، كأنه طفل يلهو بكرة منفوخة نصف انتفاخة .. ثم قاس النبض .. وقاس ضغط الدم ..

ثم قام فجأة من جانبى .. هو يقول :

ـ متشكر ..

واختفى فى الحجرة المجاورة ..

وساعدتنى المرضة على القيام من فوق الأريكة .. وانا تعبة .. منهوكة .. هدنى الخجل .. وهدتنى المقاومة .. مقاومة أحاسيسى التى اثارتها اصابع الدكتور ها... ..

وارتديت ثيابى ، وانا اشعر بدوار يكاد يوقعنى على الأرض ..

وفتحت لى الممرضة الباب ، وخرجت اليه ..

وكان واقفا بعيدا عن مكتبه ، واستقبلنى وظل ابتسامة خفيفة يلمع فوق أسنانه البيضاء القوية .. وقال :

— انتى ما عندكيش حاجه .. وانا كتبت لك دوا للأعصاب .. حبه واحده قبل النوم .

ومد لى يده بورقة العلاج ..

وتناولتها منه بيد مرتعشة .. وظللت واقفة ابحلق فى وجهه بكل عينى .. لم اتحرك .. لا استطيع .. لا يمكن أن ينتهي كل ما فعلته عند هذا الحد .. لابد أن يحدث شيء آخر .. لا ادرى ما هو .. ربما اردت ساعتها أن يسألنى عن عنوان بيتى ليأتى ويخطبنى .. لم لا .. لقد طرق ابواب كنزى .. وزوجى عبد السلام رآنى فى الشارع ، وتتبعنى الى أن عرف البيت ، وجاء وخطبنى فى اليوم التالى .. فلماذا لا يفعل مثله .. وربما كنت أريد اقل من ذلك .. كلمة .. اى كلمة ..

ولكنه صامت .. ينظر فى عينى المعلقتين بعينيه .. ولا يتكلم .. ولا كلمة .. فقط اتسعت ابتسامته ..

ووجدت نفسى اقول له بصوت مرتعش :

— انا شفتك قبل كده كتير يا دكتور ..

وقال وابتسامته تقفز الى عينيه :

— وأنا كمان شفتك كتير ..

ثم سكت ..

وابتسمت .. الحمد لله .. لقد كان يرانى كلما رايته .. وقد كنت أعتقد انى لم الفت نظره ..

ولكنى لا اريد ان اتحرك ..

لا يمكن أن يكون هذا هو كل شيء .

وأنا واقفة أمامه كالصنم البارد .. وعيناى معلقتان فى عينيه .. وشفتاى ترتجفان .. بينهما كلام كثير لا أستطيع ان احدده ، ولا أن انطق به ..

واتسعت ابتسامته ..

وجذب ورقة العلاج من يدى ، ثم انحنى على مكتبه ، وكتب عليها رقما ، ثم أعادها الى وهو يقول ، مبتسما :

— لو حسيتى بتعب مرة تانية .. أتصلى بى فى النمرة دى .. مع السلامة .

ونظرت اليه متسائلة ..

ثم سحبت نظرتى ..

وخرجت ..

ساهمة ..

وبصمات أصابعه فوق جسدى ..

غريبة .. غريبة هذه الثقة التى تشعر بها فى انفسنا ، ونحن فى هذا العمر .. ثقة هائلة ضخمة .. ثقة التفاؤل ، والحيوية الدافقة .. اننا نسير فى الحياة كمياه الجدول الصغير ، تقفز فرحة فوق الصخور التى تعترضها وهى لا تعلم أن هناك .. فى نهاية الطريق .. سيبتلعها البحر الكبير ..

ونحن لا نرى البحر الكبير .. لا نسمع به .. نتدفق فرحات .. ساخرات .. واثقات من انفسنا .. الى أن يبتلعنا .. هذا البحر الكبير ..

وقد خرجت من عيادة الدكتور هاشم وانا احس احساسا جارفا بالثقة فى نفسى .. احس بالقوة .. لم أحس بالقوة قدر

ما احسست بها فى هذا اليوم .. صحيح أن الرجفة كانت لا تزال تسرى تحت جلدى .. ولكنها رجفة لذيذة .. الرجفة التى تعقب المغامرة الناجحة .. كأنى قفزت من فوق سور عال ، ووقعت سالمة .. وضحكت ساعتها .. ضحكت فى سرى ضحكة كبيرة ملأت كل صـــدرى .. كأنى انتصرت .. انتصرت على الدكتـــور هاشم .. خدعته .. ووصلت اليه ..

وعدت الى البيت ..

ووقفت فجأة أمام الباب ، قبل أن امد يدى واضـــغط على الجرس ..

لقد كدت أنسى ..

وفتحت حقيبتى ، واخرجت منها خاتم الزواج ، واعدته الى اصبعى .. ولم اشعر انى غطيت اصبعى العارية .. لم أشـــعر بأنى كنت عارية ، كما شعرت عندما خلعته .. بل شعرت أنى وضعت فى اصبعى شيئا ثقيلا ..

ودخلت الى أمى .. وجلست بجانبها اكذب عليها . لم اقل لها طبعا أنى كنت عند الدكتور هاشم .. قلت لها أنى كنت أطوف بالدكاكين .. واكتشفت ساعتها أنى أستطيع أن أجيد الكذب .. وانى أجيد تجنب الدخول فى التفاصيل حتى لا يكتشف كذبى ..

وتسللت من جانب امى بسرعة .. تسللت الى مرآتى .. ووقفت أمامها انظر الى نفسى بعينين ملهوفتين ، كأنى ســأرى شيئا جديد حدث لى .. حدث لجســـدى .. ربما كنت انتظر ان أرى بطنى منفوخا .. أو صدرى وقد كبر وامتلأ .. وابتسمت وهذه الخيالات تدور فى راسى .. ثم بدأت اخلع ثيابى ، وبين كل لحظة واخرى انظر الى مرآتى وابحث فى جسدى عن شىء ..

عن آثار أصابعه .. لا .. لم يترك أثرا .. ولكنى أحس بأصابعه كلها .. أحس بها فوق بطنى وصدرى .. وظهرى .. وصورته تملأ رأسى .. عيناه المنتفختان .. وأنفه الكبير القوى .. وشفتاه المنفرجتان نصف انفراجة .

وارتديت قميصى ، ورقدت فى فراشى أحـــلم .. وعينـــاى مفتوحتان .. انه قريب منى جدا .. أراه فى عيادته .. فى غرفة المكتب .. وفى غرفة الكشف .. انه يفكر فى .. لابد أن يفكر فى .. لعل تفكيره فى يلهيه عن تركيز عقـــله فى الكشـــف على مرضاه .. لا .. انى أعفيه من التفكير فى ليتفرغ بكل عقـــله لمرضاه . ثم أرى فى خيالى هـــذه الفتاة التى رأيتها فى غرفة الانتظار ، وقد دخلت غرفة الكشف .. أراها وهى تخلع ملابسها كما خلعتها .. وترقد على الأريكة الطويلة .. وأصابعه تصطدم بصدرها .. وقلبى يتلوى .. ولكن .. لا .. هذه الفتاة شىء آخر .. وأصدق بسرعة أنها شىء آخر .. لا يمكن أن يكون قد ابتسم لها هذه الابتسامة التى ابتسمها لى .. ولا يمكن أن يكون قد كتب لها رقم التليفون الذى كتبه لى .. وأجرى الى حقيبتى وأفتحهـــا ، وأخرج ورقة العـــلاج التى أعطاها لى ، وأقرأ رقم التليفون .. انه رقم غير الرقم المكتوب فى الدفتر .. لعـــله رقم التليفون الآخر .. التليفون الأبيض ..

وأهم بأن أجرى الى التليفون وادير الرقم ..

لا .. يا بت اتقلى ..

وتقلت ..

ودرت فى أنحاء البيت بخطوات راقصة ، وفى عينى ضحكة كبيرة ، وفى قلبى زغرودة .. وكل شىء أحبه .. أحب أمى .. وأخوتى .. وزوج أمى .. والمقاعد .. والستائر .. والجدران

.. السعادة تكاد تطير بى .. ويشق سعادتى بين الحين والآخر ، خط من الحياء ، كلما تذكرت نفسى وأنا عارية معـــه فى غرفة الكشف .. ثم اضحك .. أضحك على نفسى .. سعيدة بنفسى ..

هل تذكرت زوجى ..

أبدا .. نسيته .. كأنه ليس شيئا فى حياتى . كأنه ليس عقبة فى طريق احلامى ..

وعندما جاء من السويس فى نفس المساء .. لم أصـــدم به .. لم أفق من احلامى .. كأنه شيء موجود فى حياتى ولا شأن له بى .. كأخى من أمى .. كابن عمى .. واستقبلته بابتسامة أكبر من الابتســـامة التى تعودها منى .. واهتممت به أكثر من كل يوم .. الشيء الوحيد الذى تغير هو أنى لم أطلب منـــه أن نخرج لنتناول عشاءنا فى الخارج .. لم أعد أريـــد أن أبدو به امام الناس .. لا أريد أن يرانى هاشم معه .. انه لا يعـــلم أنى متزوجة ..

وذهبت مع زوجى ليلتها الى الســـينما ثم خرجنا واشـــترينا قطعا من الساندويتش تناولها فى الســـيارة .. والدكتور هاشم معنا .. فى خيالى .. فى السينما .. وفى السيارة .. وتفكيرى فيه يتطور بسرعة .. بدأت افكر فى المشكلة التى ستواجهنى عندما يطلبنى للزواج .. سأضطر للطلاق من زوجى .. كيف .. لا ادرى .. ولكن .. لا يهم .. لابد أن أمى ستساعدنى يومها ، على الطلاق .. انها لن تتردد فى مساعدتى خصوصا اذا كنت سأتزوج رجلا كالدكتور هاشم ..

ولم أنم ليلتها ..

أنام لحظات ، واصحو لأفكر من جديد ..

ولكنى لم أكن متعبة .. فى الصباح .. لم أفقـــد شيئا من حيويتى واندفاعى ..

وقاومت التليفون حتى الساعة الثانية عشرة ..

ثم لم أستطع ..

أدرت الرقم ..

لا أحد يرد ..

ربما كان فى غرفة الكشف ..

وبعد ربع ساعة أدرت الرقم من جديد ..

وسمعت صوته ..

وارتجفت .. هذه الرجفة .. التى تسرى تحت جلدى ..

وقلت والرجفة تقفز الى حلقى :

ــ صباح الخير يا دكتور ..

ورد فى عجلة :

ــ صباح النور .. مين ..

قلت وأنا اجلس على المقعد الموضوع بجانب التليفون :

ــ مش عارفنى ؟ ..

وفكر برهة سريعة ، ثم قال :

ــ آه .. ازيك دلوقت ..

قلت :

ــ أنا باتكلم علشان أشكرك .. أنا فعلا استريحت .. و ..

قال مقاطعا :

ــ العفو ..

قالها بسرعة كأنه فى عجلة لانهاء الحديث ..

قلت :

انت مشغول ؟

قال فى لهجة أرق :

ـ فعلا .. العيادة مليانه .. ولغاية دلوقت ما شفتش الا اتنين ..

قلت بسرعة كأنى ادارى خجلى :

ـ طيب أضرب لك بعدين ..

قال :

ـ مش قبل الساعه تلاته ..

قلت :

ـ ان شاء الله . مع السلامة ..

ووضعت سماعة التليفون قبل أن يضعها ..

وأحسست بالضيق .. كأنه أهاننى .. ربما كنت انتظر منه ساعتها أن يترك مرضاه ويتفرغ للحديث معى فى التليفون .

ولم أتصل به فى الساعة الثالثة .

تعمدت ألا أتصل به ..

ولا زلت أشعر بالضيق ..

ولكن مع مرور الساعات بدأت أهدأ .. بدأت التمس له العذر .. أن مرضاه أحق به منى .. لو كان طبيبا يهمل مرضاه ، لما أصبح مشهورا الى هذا الحد .. و .. و .. كلام كثير قلته لنفسى .. الى أن صالحت نفسى عليه ، كأنى كنت قد خاصمته ..

وفى اليوم التالى ، اتصلت به .. فى الساعة الثالثة ..

لا حد يرد ..

انتهى من مرضاه وانصرف ..

واتصلت به فى المساء .. فى موعد العيادة ..

انه مشغول ..

يتكلم بسرعة ..

كأنه يلقى كلماته ليسد بها فمى ..

ومرت عشرة أيام ، وأنا لا أستطيع أن أعيش معه فى حديث يدوم أكثر من دقيقة .. واليأس يزحف على .. وأحلامى تتبدد .. تكاد تتبدد كلها .. ولم تعد فكرة الزواج به تراودنى بنفس الثقة .. بل أصبح الزواج به هو آخر ما أفكر فيه .. ان كل ما أفكر فيه الآن هو أن أصل اليه من جديد .. انه أصعب مما كنت أتصور .. ولكن .. لا شىء سهل ..

ورفعت سماعة التليفون ، وأدرت الرقم ، وقلت بمجرد أن سمعت صوته :

ـ أنا تعبانه قوى يا دكتور ..

وخيل الى أنه ابتسم ..

لا أدرى لماذا .. انى لم أر ابتسامته .. ولم أسمعها .. ولكنى متأكدة أنه ابتسم ..

وسمعته يقول فى ثقة ، وفى نفس العجلة التى تعود أن يحادثنى بها :

ـ أشوفك ..

قلت بسرعة كأنى أخاف أن يعود ويجرى منى :

ـ فين ؟

ولم يبد عليه أنه اندهش من سؤالى .. ولم يضحك .. بل انى لم أتخيله مبتسما فى هذه اللحظة .. وقال وكلماته تقفز بعضها فوق بعض :

ـ تعرفى شارع حسن صبرى بالزمالك .. نمره اتنين وتلاتين .. شقة أربعتاشر ..

قلت :

ـ بس .. و ..

قال مقاطعا وبسرعة :

— الساعة اربعه كويس ؟

وسكت برهة .. أفكر .. كأنى انتبهت الى ما أفعله .. ثم قلت بصوت محتد كأنى أتحداه :

— كويس ..

والقيت سماعة التليفون ، دون أن اقول له مع السلامة .. كأنى أقذفه بها فى وجهه ..

وجريت الى غرفتى ، والقيت نفسى على الفراش منكفئة على وجهى ، وأخذت أضرب الوسادة بكلتا يدى .. مغتاظة .. مغتاظة .. احس أنه قهرنى .. انتصر على .. أنى لن أذهب . لن أذهب .. ماذا يعتبرنى هذا الرجل .. واحدة كبقية البنات ؟ . ثم ..

خف غيظى .. لماذا أغتاظ .. انى لا يمكن أن انتظر من هاشم أن يسير ورائى فى الشارع الى أن يعرف عنوان بيتى ، ثم يأتى ليخطبنى كما فعل عبد السلام .. أن هذا الصنف من الرجال لا يمكن أن يتزوج هكذا .. لابد أن يسبق زواجه قصة حب كبيرة .. ولا يمكن أن يكفى ما حدث بينى وبينه حتى الآن ليكون قصة حب ..

ولكنه يريدنى أن القاه فى شقة خاصة .. وماله ..

ان صديقتى هدى تقابل حبيبها فى شقته .. وسميرة .. ومحمد عنده شقة خاصة يستأجرها هو وبعض أصدقائه وحاول أن يدعونى اليها عندما كنت أحادثه فى التليفون .. وفى مصر الجديدة عمارة فيها شقة خاصة يستأجرها بعض شباب النادى ، يعرفها كثير من صديقاتى وكنت أمر من أمامها وأرفع عينى اليها

فى تردد كأنى انتظر أن أرى فى شرفاتها رجلا عاريا ، أو فتاة عادية .. لا .. من الطبيعى أن يمتلك هاشم شقة خاصة .. ومن الطبيعى أن يقابلنى فيها ، فهو رجل مشهور لا يستطيع أن يبدو معى فى السيارة ، وأنا متزوجة ، لا يصح أن أبدو مع رجل غير زوجى ..

ولكن ، لماذا اذهب اليه ؟

وخيل الى ساعتها أن فكرة الزواج به ليست سوى وهم .. ليست سوى حجة أبرر بها اندفاعى وراء أزمتى التى يسببها فراغ حياتى .. اندفاعى وراء البحث عن شىء أشبع به غرورى ، وافتتانى بنفسى ..

يجب أن أقاوم ..

لن أذهب ..

ولكن جسدى كله يؤلمنى .. وبصمات أصابعه تحرقنى .. انى لا زلت أحس بها منذ كشف على فى عيادته ..

وكل عروقى تجذبنى اليه ..

والحيرة تعذبنى ..

انى لا أستطيع أن أتخذ قرارا .. وخرجت من غرفتى كأنى أفر من نفسى .. وجلست بجانب أمى كأنى أحتمى بها .. وفكرت مائة مرة أن أقول لها كل شىء .. لماذا لا أصارحها .. ربما لو صارحتها ، حتى لو اضطررت أن أخفى بعض التفاصيل ، لساعدتنى على نفسى .. لانتشلتنى من أزمتى .. لأنقذت حياتى كلها ..

ولكنى لم أقل لها شيئا ..

وبقيت أعانى أزمة التردد .. وعروقى كلها منتفخة ، تشدنى الى هاشم ..

وفى الساعة الثالثة والنصف ، لم اعد أستطيع أن اقاوم .

خرجت ..

اليه ..

والرجفة تسرى تحت جلدى ..

ودرت أبحث فى شوارع مصر الجديدة عن « تاكسى » .. وخطواتى سريعة ملهوفة كأنى هاربة من بيتها ..

وتنبهت وأنا فى « التاكسى » الى أنى لم أقف أمام مرآتى طويلا .. فأخرجت مرآتى الصغيرة ، وغرزت عينى فيها .. ان لونى ممتقع .. وخط الكحل تحت عينى ، مرتعش .. والأحمر فوق شفتى متماوج ، ناحية ثقيلة ، وناحية خفيفة .. وبدات أصلح من زينتى .. وأقرص وجنتى حتى يحتقنا بدمائى .. ولم أكن ساعتها معجبة بنفسى .. لم أكن أعى احساساتى .. كأن عقلى الذى أعيش به ، متوقف .. أنا التى أوقفته .. لا أريد أن أفكر .. لا أريد أن أعى .. لا أريد أن أفهم شيئا مما حولى ، أو مما فى داخلى ..

كل ما تذكرته ساعتها أن خلعت خاتم الزواج من أصبعى وألقيت به فى حقيبتى ..

ونزلت من التاكسى أمام باب العمارة .

لم يبذل السائق جهدا فى معرفة العنوان .. كأن كل سائقى التاكسى يعرفون أين تذهب البنات .. يذهبن الى شقة الدكتور هاشم !

ونظرت فى ساعتى .. الخامسة الا ربعا .. ياه تأخرت كثيرا ..

أحسن !! .

ودخلت المصعد ، وأنا اشعر كأنى أسير بزمبرك .. كأنى

عروسة من خشب .. كل شىء فى صامت .. عقلى صامت .. قلبى صامت .. أعصابى صامتة .. جسدى صامت .. صمت الرهبة فى انتظار الحدث الكبير ..

ولم أبحث عن رقم الشقة .. كأنى أعرفها .. أول شقة رفعت عينى الى رقمها .. كان الرقم أربعة عشر ..

ولم ترتعش يدى وأنا أضغط على جرس الباب .. يدى قطعة من الخشب .

وفتح لى الباب .. مرتديا القميص والبنطلون .. وياقة القميص مفتوحة ، تبدو من خلالها حافة فانلته الداخلية .. وعقدة رباط عنقه مدلاة على صدره .. وقال وعلى وجهه سحابة من الزهق :

— انتى اتأخرت قوى ..

وابتسمت .. دون أن أرد .. وربما شعرت فى ابتسامتى بطعم الشماتة .. الشماتة فيه لأنى استطعت أن الطعه فى انتظارى ..

— انتى عارفه انى لازم أكون فى العيادة الساعه خمسه ونص .. كنت أحب اقعد معاكى أكتر من كده ..

ولم أرد ..

وهو واقف فى فتحة الباب كأنه لن يسمح لى بالدخول ..

وأنا واقفة أمامه .. صامتة .. وعيناى معلقتان فى عينيه ..

وأخيرا تنبه .. وأزاح نفسه عن فتحة الباب .. وسحابة الزهق لا تزال فوق وجهه .. وقال كأنه نادم على دعوتى :

— اتفضلى ..

وتقدمته الى الداخل .

ولا أدرى لماذا شعرت وأنا أتقدمه أنه نظر الى ساقى ، كأن عينيه لسعتها ..

واستقبلتنى الصالة الخارجية للشقة .. خافتة الضوء كغرفة مكتبه .. النافذة الخشبية مغلقة .. والأثاث كله « ستيل » غامق .. شىء آخر غير ما تصورته .. انه أثاث بيت عائلة ، لا أثاث شقة خصوصية .. شقة أعزب ..

وجلست على مقعد عريض .. تعمدت أن أجلس على المقعد لا على الأريكة .. وفوق المائدة الصغيرة الموضوعة أمامى ، فنجان شاى كبير به أثار قهوة .. وعقلى بدأ يتحرك .. وقلبى .. واعصابى .

وقال وهو يجلس بجانبى على طرف الأريكة .. ويستند بذراعه على مسندها ، ويمسح بكف يده على شعره الأسود المتموج :

— تحبى اعمل لك قهوة ..

قلت وأنا أنظر فى وجهه نظرة سريعة :

— لا .. متشكرة ..

واتسعت ابتسامته حتى آخرها ، وقال :

— تعرفى أنا واخد البيت ده ليه .. علشان اعمل لنفسى فيه قهوه .. انا أحسن واحد يعمل قهوه .. يعنى أنفع دكتور وأنفع قهوجى ..

ونظرت اليه وابتسامة سخيفة بين شفتى .. ولا أدرى لماذا شعر ساعتها انه انسان آخر غير الانسان الذى استقبلنى فى العيادة .. ابتسامته ليست هادئة كما رأيتها .. وانفه اكبر مما كنت أعتقد .. وعيناه أكثر انتفاخا وأكثر اتساعا ، وبينهما نظرة تحاول أن تدارى نفسها ، حتى لا تفضح صاحبها .. نظرة تتسلل الى ذراعى والى صدرى .. والى ساقى ..

وقلت وأنا أشد ثوبى فوق ساقى

— وما تعملش قهوه فى البيت التانى ليه .

قال وهو يضحك :

— أختى ما تسمحش .. مش معقول تسيبنى ادخل المطبخ ..

قلت وأنا لا أنظر اليه :

— واخد البيت ده ، بس علشان القهوة .

قال :

— وعلشان أستريح فيه .. معظم الأيام ما بقدرش اطلع المعادى بعد العيادة باجى أستريح هنا ..

قلت فى تردد وأنا أنظر فى أصابع يدى :

— يعنى ما بتحبش واحده ..

قال :

— باحب .. بس مش واحده ..

ونظرت اليه كأنى لا افهم ..

استطرد قائلا :

— باحب شغلى ..

وهدأت عيناه .. وضاقت ابتسامته .. وسحب نظرته من فوق ذراعى .. رأيته كما كان فى عيادته .. وعاد يقول كأنه هائم :

— ما تعرفيش انا باحب شغلى اد ايه .. باحبه زى الحب اللى بتقرى عنه فى القصص .. باتعذب .. وافرح .. وساعه أيأس . وساعه يبقى كلى أمل .. ما تقدريش تتصورى لما باكشف على عيان ، باحس بايه .. باحس ان كل اللى فى بطنه فى بطنى .. ولما بيقول الحته دى بتوجعنى .. باحس ان نفس الحته بتوجعنى انا .. واقعد أحلل الألم اللى باحس بيه .. واحاول أعرف أسبابه .. ولما بابص فى صورة أشعة ، باحس

انى بابص فى السما .. بابص لربنـــا .. وزى ما بتبصى فى السما وتسألى ربنا ازاى خلق النجوم ، وايه أسرارها .. أنا كمان بابص فى صورة الأشعة ، واسأل ربنا ازاى خلق المصارين دى ، وايه أسرارها ، وليه خلاها تتوجع .

وكان يتكلم كأنه يتنهد .. كأنه يحـلم وفى عينيه حب .. حب كبير .. حب حقيقى .. واحسست أنى لم يعد لى مكان فى عينيه .. الحب ملأهما على آخرهما ..

وقلت كأنى أريد أن أقول أى شىء :

ـ علشان كده نجحت .. واشتهرت .

وقال مبتسما :

ـ الحب دايما يرفع صاحبه ..

وأحسست باحساساتى ترق .. وعقـد الخوف والرهبـة والجمود ، تذوب .. أحسست أنى أرتفع .. وأنى دخلت فى عالم نظيف .. رقيق .. حالم .. وقلت وعيناى تســتقران على وجهه فى هدوء ، وكأنهما فراشتان حطتا على زهرة بعـد سفر طويل :

ـ أنا ما كنتش فاكراك رقيق للدرجه دى ..

وضحك ضحكة كبيرة ، وقال :

ـ ما تطمنيش قوى . أنا مش دايما رقيق ..

ثم نظر فى عينى .. وطافت عينـاه بوجهى ، كأنه يرانى لأول مرة .. كأنه يكتشف فى شـيئا جديدا .. وطالت نظراته الى .. واختفت ضحكته .. وتلاشت ابتسامته .. أن فى نظرته شيئا جادا .. فى نظرته فكرة ، لا أدرى ما هى .. وأنا انظر اليه .. منتظرة أى شىء .. مطمئنة .. مستسلمة .. ولا أشبع من النظر اليه . عيناى عششتا فوق أنفه الكبير .

ومد يده ووضعها فوق يدى .. وشعرت بثقلها .. وحرارتها .. لم تكن أصابعه ، صامتة ، باردة كهذه الأصابع التى كان يضغط بها على بطنى وأنا فى عيادته .. أن فى أصابعه حيـاة جديدة .. انها أصابع تتكلم .. ترسل اشارات الى كل قطعة منى .. الى قلبى .. الى عقلى .. الى صدرى .. الى خصرى .. وفجأة ..

نظر الى ساعته الكبيرة ، وقال فى هلع :

ـ ياه .. أنا اتأخرت على العيادة .. الساعه خمسـه وعشره ..

وأفقت ..

أفقت على كراهية العيادة ..

وعاد يقول ، وهو يقفز واقفا ، ويضم ياقة قميصه ، ويشـد عقدة رباط عنقه الى أعلى :

ـ تحبى تنزلى الأول .. ولا أنزل أنا الأول .

قالها بلهجة حاسمة لا رقة فيها .. كأن مواعيد العيادة قدر لا يحتمل النقاش ..

وانتفضت واقفة ، وأنا أشعر كأنى أهنت وقلت :

ـ لا .. أنا حانزل الأول ..

وتقدمنى ، ووضع يده على مقبض الباب ..

وخطوت الى جانبه .. ورفعت عينى اليه .. ووقفت صامتة .. ولا زلت أنتظر شيئا ..

والتقت عيناه بعينى .. ونظرته تنسكب من فوق أنفه الكبير وتغرق وجهى كله ..

ورفع يده من على مقبض الباب ..

وخطا هذه المسافة القصيرة التى تفصلنى عنه .. ثم ..

دون أن يتكلم .. احتوانى بين ذراعيه .. فى رقة .. وحنان .. وضغط خده بخدى .. وعقلى واع .. متنبه لكل حركة .. وذقنه تشكنى شكات خفيفة .. لابد أنه يحلق فى المساء .. ولم اذب .. ولكنى أريد أن أبقى هكذا .. أريد أن أعرف ماذا سيحدث بعد .. وانسحب خده من فوق خدى .. ليضع مكانه شفتيه .. .. فى قبلة صامتة .. وأغمضت عينى .. لا أدرى لماذا .. ولكنى لم أطق أن تظل عينى مفتوحتين .. ثم زحف بشـفتيه ، ولمس شفتى .. شفتاى لا تتحركان .. صامتتان .. جاهلتان .. تتلقيان الدرس الأول .. وبقيت شفتاه فوق شفتى برهة .. برهة قصـيرة أو طويلة ، لا أدرى .. ولكنها برهة تمنيت أن تطول .. وعيناى لا تزالان مطفأتين ..

ورفع شفتيه عن شفتى ..

وسمعته يقول :

— أنا آسف ..

وفتحت عينى لألتقى بعينيه .. وفيهما تسـاؤل .. لماذا الأسف .. ماذا حدث ..

واستطرد قائلا :

— ما كانش لازم أبوسـك .. فى أول مـرة نتقابل .. مش كده ..

وأرخيت عينى .. لم أرد .. لم يكن شيئا من هذا قد خطر على بالى ..

وعاد ووضع يده على أكرة الباب ، وهو يقول :

— حاشوفك امتى ؟

قلت وأنا لا أستطيع ان أبتلع ريقى .. وصـوتى يتعثر فى نشـوتى :

— زى ما انت عايز ..

قال :

— بكرة الساعه أربعه ..

وهززت راسى موافقة ..

قال :

— بس ما تتأخريش

قلت وأنا أبتسم :

— حاضر ..

وفتح الباب ..

وخرجت ..

وسرت فى الشارع .. ساهمة .. لم أحاول أن أبحث عن تاكسى .. انى لم أفق بعد .. أريد أن أسير ، لعلى أفيق .. وقبلته لا تزال فوق شفتى .. تحرقهما .. وتسرى فى أعصابى .. انى أحس بها فوق صدرى .. فى قدمى ..

ولمحته فى سيارته بعد لحظات .. سيارة بويك موديل العام الماضى .. عام ١٩٥٤ .. ولم يلمحنى .. كان يجرى .. يجرى فى جنون .. يجرى الى حبه الكبير .. الى عيادته ..

وجدت نفسى فى شارع ٢٦ يوليو .. وأفقت لأركب تاكسى الى مصر الجديدة .. وعدت ساهمة .. وسعادة غريبة تغمرنى .. .. سعادة لا أستطيع أن أمسك بها .. وأحس انها ليسـت مستقرة .. تكاد تسقط منى ..

ودخلت البيت وأنا لا أزال ساهمة .. فى سعادة .. ولا ادرى ماذا قلت لأمى ..

ولكنى سمعتها تقول :

— فين دبلتك يا ميتو ..

وانتبهت ..

وأسعفني ذكائى .. ذكائى الذى يصـــنع الكذب .. وقلت :

— أصل كنت باشوف شرابات نايلون .. وخفت ينقطعوا وأنا باحط ايدى فيهم .. قلعت الدبلة ..

وبسرعة فتحت حقيبتى وأخرجت منها دبلة الزواج ، ووضعتها فى أصبعى .. وعدت ساهمة .. ملهية عن كل شىء حتى الدبلة التى وضعتها فى أصبعى ..

ورقدت فى فراشى .. وأنا أستعيد كل لحظة مرت بى .. كل حركة .. كل لفتة ..

وأغمض عينى لأسمع صـــوته .. وأرى كل قطعة من قطع الأثاث التى كانت تحيط بنا ..

ولكن ..

شىء غريب ..

أنى أحس بجسدى ..

أحس به كما لم أحس به من قبـــل .. أحس به كأن كل مسامه تفتحت .. كل مسامه أفواه صغيرة تريد أن تشرب .. وأرفع كفى وأضغط بهما على صدرى .. وعلى خصرى .. وعلى ساقى .. وهاشم فى خيالى ..

أنا أريد هاشم ..

وقمت من فراشى ، وتســـللت الى التليفون .. وأدرت رقمه .. وسمعت صوته .. ولم أرد .. فقط ، ابتسمت له .. اكتفيت بصوته ، وعدت الى غرفتى ..

انى أحب ..

كنت أيامها أصدق الحب .. وأعتقد أن هـــذا هو الحب .. وعشت هائمة فى الحب ..

و ...

وذهبت اليـــه فى اليوم التالى .. تأخرت نصف ساعة .. واستقبلنى ، وسحابة الزهق والغيظ تكسو وجهه .. انى أحبه أكثر وهو مغتاظ .. وقد ظل مغتاظا لحظات ، وأنا أخفى فى صدرى ابتسامة كبيرة .. ثم التفت الى ، وقال :

— تعرفى لو تأخرت تانى ، حاعمل فيكى ايه .. حاضربك ..

قلت وأنا أنظر اليه وابتسامتى فى عينى :

— ما تقدرش ..

قال :

— أقدر .. انتى لسه ما تعرفنيش ..

ثم جذبنى من يدى ، ودخل بى الى المطبخ ، ليرينى كيف يصنع لنفسه فنجان القهوة .. المطبخ مرتب ، نظيف .. لم ر فى حياتى كل هذا الترتيب والنظافة .. وقلت وأنا أطوف بعينى فى أرجائه :

— ده انت ست بيت ممتاز ..

قال وهو يشعل البوتاجاز :

— مش انا ... ده عم محمود البواب ..

ثم بدأ يصنع القهوة كأنه يقوم بعملية حسابية .. كل شىء بحساب .. وحاجباه معقودان كأنه يركز تفكيره كله فى القهوة ..

وشرب القهوة ..

أخذت رشفة من فنجاله ..

وضـــحكنا .. كل شىء يضـــحك حولنا .. وكل قطعة منـــا تضحك .. انه ليس الدكتور هاشم .. انه هاشم فقط .. مرح .. بسيط .. وعينـــاه أكثر اتساعا .. وتبرقان أحيـــانا حتى أخافهما .. وتهدآن حتى أكاد أنام بينهما .. ولم يتعمد شـــيئا .. لم أشعر أنه تعمد شيئا .. ولكنى وجدت شفتى الجاهلتين

تتلقيان الدرس الثانى .. انه يمتصنى كلى .. وأصابعه تضغط على ذراعى ، كأنه يعتصرنى . .ومسام جسدى تتفتح اكثر .. الأفواه الصغيرة تشرب ، ولا ترتوى ..

وغصت أكثر ..

انى أغوص الى تحت .. الى أعمـق أعماق الحب .. أو ما كنت أعتقد أنه الحب ..

وذهبت الى لقائنا الثالث .. متأخرة أيضا .. ثلث ساعة .. هل تعمدت أن أتأخر .. لا أدرى .. وتركنى أدخل ، ثم أغلق الباب ورائى .. وقف أمامى صامتا ، وعيناه المنتفختان ثائرتان .. ووجهه متجهم .. شفتاه منطبقتان .. وحاولت أن أبتسم .. ولكنى لم أستطع .. انى خائفة منه .. ليس خوفا .. ولكنه نوع من الترقب للمجهول .. احساس بأنى مقبلة على مغامرة جديدة .

وفجأة رفع كفه وصـفعنى .. صـفعة قوية .. واهتز كل شىء أمام عينى ، وطنين فى أذنى .. ووضعت يدى على خدى ، وأنا أتنهد :

ـ آى ..

ـ أنا قلت لو اتأخرت حاضربك .

وصفعنى صـفعة أخرى على خدى الثـانى .. ثم جذبنى من شـعرى وأوقعنى على الأرض .. ثم وجـدته فوقى .. ثم لم أعد أدرى ما يحدث لى .. ان ما يحدث أسرع من أن ألاحقه بعقلى .. شفتاه فوق شفتى ، ولا أكاد أسـتريح بينهما .. حتى أجدهما فوق عنقى .. ولا أكاد أشعر بعنقى حتى أشعر بأصابعه تفك أزرار « بلوزتى » .. وقطعة من جسدى تتعرى .. وقطعة

أخرى .. وهو مجنون .. لا يكف .. وأنا أقاوم فى استسلام .. والأفواه الصغيرة تشرب ..

ومن يومها ..

تعودت أن أثيره ..

وتعود أن يضربنى ..

لم نعد نلتقى الا هـكذا .. مجانين .. نكاد يمزق أحـدنا الآخر .. ثم نهدأ .. وأعود كما كنت .. سنتى المكسورة الخفيفة الدم ، تبتسم فى سذاجة البنات .. ويعود هاشم الى شخصية الدكتور هاشـم .. جادا ، وقورا ، نظراته الصـارمة تطل من فوق أنفه الكبير .. ويذهب الى حبه الأكبر .. الى عيادته .

وعشت فى هـذا الجنون .. وفى كل لحظة جنـون ، أدع هاشم يكتشف منى أكثر .. الى أن تم اكتشافى .. اكتشـافى كلى .. لا .. ليس كل شىء .. ترك القليل لزوجى ..

هل كنت أفكر فى زوجى . هل أنبنى ضميرى .. هل احترت .. هل شعرت بالخطيئة .. هل كرهته .. أبدا .. أبدا .. لا شىء من كل هذا .. كأن زوجى موضوع آخر غير ما أفعـله .. كأن ما أفعله ليس له شأن به .. ولا يمسه من قريب أو من بعيد .. يكفيه أنى أخلع دبلته كلما ذهبت الى هاشم .. احتراما له ..

وكنت أحيانا أفكر فى مصير علاقتى بهاشم .. فى المسـتقبل .. وأعود الى خطط الزواج .. ولكن .. فى هـذه الأيام كان المهم هو أن ألقاه لا أن أتزوجه .. أصبحت أعيش للقائه لا للزواج به .. اختفى احساسى بالمستقبل وراء احساسى بنشوة حاضرى .. انى مندفعة .. مغمضة العينين .. مغمضة العقل ..

ـ الى أن كان يوم .. بعد ثلاثة شهور ..

وكان لقاؤنا على وشك أن ينتهى .. وهاشم راقد فى الفراش عارى الصدر .. وعضلاته السمر مستريحة فى استرخاء .. وأنا جالسة أمام المرآة بقميصى الداخلى أمشط شعرى..وقلت وأنا أبتسم لصورته المنعكسة امامى من المرآة :

ــ بتحبنى أد ايه يا هاشم ..

ولم أكن أقصد السؤال .. كل ما هنالك انى كنت فى حاجة لأن يدللنى بكلمة حلوة ..

وقال وعلى شفتيه ابتسامة ضيقة :

ــ وانتى بتحبينى أد ايه ؟

قلت :

ــ لسه مش عارف ؟ !

قال :

ــ لا .. مش عارف !

قلت :

ــ كل ده ومش عارف ؟

قال :

ــ ساعات ما بصدقش انك بتحبينى .

والتفت اليه وقلت فى دهشة :

ــ امال كل ده يبقى ايه ؟

قال :

ــ يمكن عايزه تتجوزينى ..

واحتدت نظراتى .. نظرت اليه كأنى أحاول أن اخنقه .. وانفاسى بدأت تثور فى صدرى ..

واستطرد قائلا :

ــ كل اللى عرفتهم كانوا عايزين يتجوزونى .. انا باعتقد

ان الستات ما يعرفوش الحب ، انما يعرفوا الجواز .. ما يقدروش يعيشوا بالحب .. انما يعيشوا بالجواز ..

وأدرت رأسى عنه ..

ثم مددت يدى والتقطت حقيبتى ، وأخرجت منها دبلة زواجى .. والقيتها فى وجهه .. وعدت أنظر فى المرآة وأمشط شعرى فى عصبية ..

والتقط الدبلة ..

لمحته فى المرآة يلتقطها ..

ثم اعتدل من رقدته ، وأخذ يحلق فيها ، وقال والدهشة تملأ عينيه :

ــ ايه دى ؟

قلت وأنا أشد شعرى بأسنان المشط :

ــ دبلتى ..

قال :

ــ انتى مخطوبة ..

قلت فى برود :

ــ مكتوب كتابى ..

وقفز من فوق الفراش وجاء الى جانبى والمفاجأة تنزف من تحت جفنيه المنتفختين وقال فى صوت مبهور :

ــ من امتى ؟

قلت وأنا أشد شعرى :

ــ من زمان .. من قبل ما أعرفك ..

قال :

ــ وما قلتليش ليه ؟

قلت وأنا أهز كتفى :

— كده ..

وسقط على ركبتيه ، واحتضننى وأنا جالسة على المقعد ، ودفن وجهه فى عنقى ..

وقلت وأنا أشيح بوجهى عنه !

— استريحت .. صدقت .. صدقت انى باحبك ..

وهمس :

— يا حبيبتى ..

ولا أدرى لماذا كرهته ساعتها .. وظللت أكرهه طول اليوم .. ولكنى لم أستطع أن أستمر فى كرهه .. انى أريده .. الأفواه الصغيرة تريد أن تشرب ..

وعدت اليه ..

كما تعودت أن أعود دائما ..

واندفعت أكثر .. وعواطفى تزداد صخبا .. لقد بدأت أغار عليه من مرضاه .. ومن المجتمع الذى يعيش فيه ، بعيدا عنى .. غيرة مكتومة لا أفصح عنها .. وكنت دائما أتساءل : أين يذهب فى الليل .. انه يقدم لى كشف الحساب دائما .. تعشى فى سميراميس ، ثم عاد الى البيت .. بيت أخته .. أو كان مدعوا فى حفلة .. أو .. أو .. ولكنى لا أطمئن .. رجل مثله لا يمكن أن يقضى كل الليالى وحده ..

وثارت فى رأسى فكرة مجنونة ..

لماذا لا ألقاه فى الليل !

جننت ..

وكانت أمى تعطينى مفتاح الشقة عندما أخرج مع زوجى لنسهر فى الخارج ، حتى لا أزعج أحدا عندما أعود .. واتفقت مع هاشم على أن ينتظرنى عند أول شارع صلاح الدين .. فى

الساعة الثانية عشرة والنصف .. بعد منتصف الليل .. وحاول هاشم أن يرفض .. حاول أن يفيقنى من جنونى .. ولكنى أصررت ، واتهمته أن له امرأة يقابلها فى الليل .. فاستسلم ..

وخرجت مع زوجى .. ذهبنا الى السينما .. ثم ادعيت ان عندى صداعا .. وصدقنى المسكين .. وعاد بى الى البيت .. وقبلنى على خدى .. لا يزال كل نصيبه منى ، قبلة على الخد .. ونزلت من السيارة ، وهو يقول لى فى حنان عبيط :

— خدى اسبرينه ، وفنجان شاى .. واقفلى الشباك .

وانتظرت قليلا ، الى أن اطمأننت الى أن زوجى ابتعد بسيارته .. ثم عدت أنزل .. الى الشارع .. وجريت الى حيث ينتظرنى هاشم .. والقيت نفسى فى سيارته .. وانطلق وهو ينظر الى فى دهشة من جراتى .. من جنونى .. وذهبنا الى شقة الزمالك ..

ان البنات اللاتى يقلن ان كل ما يحدث فى الليل ، يمكن أن يحدث فى النهار .. واهمات .. ان ما يحدث فى الليل أكثر .. لا أدرى لماذا .. ربما لأن عيون الناس مغمضة .. وعيون السماء مغمضة .. وقد أخذت فى الليل أكثر مما تعودت أن آخذ فى النهار .. وأعطيت أكثر !

وعدت فى الثامنة صباحا .. وبيتى كله نائم .. لم يشعر بى أحد ..

واستمر جنونى ..

انى أعيش فى دوامة الجنون .. انى لا أهدأ .. أريد فى كل يوم مغامرة .. وأثير هاشم ، وهاشم يضربنى .. والأفواه الصغيرة تشرب ..

ثم ..

فجـــأة ..

وكانت قد مضت سبعة شهور على لقائى بهاشـــم .. عاد زوجى من السويس وهو مصر على أن يعجـــل بالزواج .. انه لا يريد أن ينتظر الى أن يتم بناء الفيللا وتجهيزها .. انه يحس أننا نبتعد أحدنا عن الآخر .. ويريد أن نتزوج الأســـبوع القـــادم .. ويصر .. فى عناد .. واقنع أمى .. واقنع زوج أمى .. واقنع أبى .. واقنـــع خالاتى الخمس .. والجميع فـــوق رأسى يلحون .. ويصرون ..

— لا أحد يريد أن يسمعنى .. لقد انتظر الزوج طويلا .. وما يطالب به هو من حقه ..

وهرعت الى هاشم .. وقلت وأنا لا أنظر فى عينيه :

— أنا خلاص .. حاتجوز ..

قال :

— مش معقول .. امتى ؟

قلت :

— الخميس الجاى ..

وتجهم وجهه .. وأدار ظهره لى كأنه متأثر .. ولكنى شعرت ساعتها أنه يمثل .. وقال وهو يتنهد :

— على كل حال أنا كنت منتظر اليوم ده .. اليوم اللى تيجى تقوليلى فيه انك حتتجوزى ، وتسافرى تعيشى فى السويس ..

وسكت برهة .. وأنا أنظر اليه بكل عينى .. ثم قلت وصوتى يرتعش :

— هاشم .. انت ما تقدرش تتجوزنى ؟

ورفع الى عينيه فى لفتة سريعة ، ثم خفضهما ، وقال وهو يدير رأسه :

— لا ..

قلت فى حدة :

— ايه .

قال فى صوت صارم ، كأنه يرفض النقاش ، وهو لا ينظر لى :

— الأنى ما قررتش اتجوز! ..

وبكيت ..

انهمرت دموعى رغم ارادتى .. دموع فيها غيظ .. وفيها ذل .. وفيها استسلام لضعفى ..

وجاء الى .. وقال كلاما كثيرا لم اكن اسمعه . ولكنه يقبلنى .. ويقبلنى أكثر .. والأفواه الصغيرة تتفتح .. وانا مستسلمة .. لا أستطيع أن أقاومه .. ولا أن أقاوم جسدى الذى يثيره .. والدموع فى عينى ..

ثم ..

تركنى ..

كلهم تركونى ..

تركونى أتزوج عبد السلام ..

و ..

وبدأت قصتى ..

— ٣ —

وتزوجت بلا فرح ..

وسافرت فى نفس الليلة الى السويس لأقيم فى بيت زوجى .. ومع أمه .. الى أن يتم اعداد الفيللا الجديدة التى يبنيها لى ..

هل أروى التفاصيل ؟

لا .. لست أول فتاة تتزوج رجلا لا تحبه .. والبنات اللاتى يتزوجن بلا حب ، حكاياتهن معروفة ..

ولكنى اتساءل اليوم .. لو لم يكن هاشم قد دخل حياتى ، هل كان يمكن أن اتعود على زوجى .. وأستسلم لتعودى عليه .. وأهنأ بالحياة معه ، ونعيش فى التبات والنبات ، ونخلف صبيانا وبنات ؟ ..

ربما ..

ولكنى أيامها لم اكن أؤمن بأن الحياة هى تعود .. كنت أؤمن بأن الحياة هى الحب .. وكنت فى الوقت نفسه قد بدأت أتعود على هاشم .. لمساته .. أنفاسه .. هذه الساعات السريعة التى يختطفها من وقت مرضاه ليعطيها لى .. هذا الجنون العنيف الذى نعيشه معا ..

وربما كنت استطيع يوم تزوجت أن انسى هاشم .. أن أحرر نفسى من تعودى عليه .. فلم يكن قد مضى على علاقتنا أكثر من سبعة شهور .. ولكنى لم أحاول .. أبدا لم أحاول .. ولا للحظة واحدة حاولت أن أنساه .. ولا للحظة واحدة حاولت أن اكون

زوجة مخلصة .. لم يخطر على بالى أيامها موضوع الاخلاص لزوجى .. زوجى نفسه لم يكن موضوعا أفكر فيه ..

ومنذ ركبت السيارة بجانب عبد السلام فى طريقنا الى السويس ، وأنا أفكر فى هاشم .. وأفكر كيف أستطيع ان القاه .. ومتى .. ورقدت على فراش زوجى وعقلى لا يزال وراء هاشم .. لا احس بالرجل الآخر الذى يرقد بجانبى .. لا احس بما يريد ، ولا بما يحاول .. لست خائفة .. ولا مترقبة .. مسام جسدى كلها منقبضة ، مزمومة .. كل ما أشعر به هو رائحة البطارخ المنطلقة من فمه .. فأدير رأسى عنه حتى ابتعد عن ريحها .. والمسكين يبذل كل ما يستطيع ، وهو يعتقد انى لا زلت صغيرة .. لا استطيع بعد ان اكون زوجة ..

ونام ..

وتركنى أفكر .. فى هدوء .. وقد كنت ثائرة يومها على هاشم .. ثائرة لأنه تركنى أتزوج .. كنت أحس انه رمانى .. جرح كرامتى .. ورغم ذلك كنت مندفعة نحوه بكل كيانى .. وكنت أحيانا التمس له العذر .. انه لم يخدعنى .. لم يعدنى بشىء ثم تخلى عنى .. .. ثم أعود وأشعر كأنى اريد أن أنتقم منه .. أن أذهب اليه لأذله كما أذلنى .. ثم أعود وأرى فى خيالى طاقة كبيرة من الأمل .. لعلنى لا زلت أستطيع أن أتزوجه .. من يدرى ! ..

وفى اليوم التالى .. يوم الصباحية خرج زوجى الى مكتبه القريب من البيت .. وبقيت فى فراشى .. لا أريد أن أقوم منه .. ليس هناك ما يدفعنى للقيام .. ولم اغسل وجهى .. ولا غيرت قميصى .. ولا سرحت شعرى .. بل انى — ربما لأول مرة —

لم أتلهف على مرآتى .. وكل قطعة منى ملقاة فى اهمال ، كأنى استغنيت عنها .. وصدرى مقبوض ..

وجاءت حماتى وبين شفتيها ابتسامة كبيرة ، وقالت وهى تضع فى صوتها رنة الفرح :

ــ صباح الخير يا عروستنا .. السويس كلها منورة ..

ولم تفتح ابتسامتها قلبى .. بالعكس زادته انقباضا .. احسست كأنها ناظرة مدرسة جاءت لتنبهنى الى واجباتى ..

وعادت تقول وهى لا تزال تعلق بين شفتيها ابتسامتها الكبيرة :

ــ مش تقومى توضبى نفسك يا بنتى يمكن حد ييجى .. دول ستات السويس كلهم عايزين يشوفوكى ..

وقلت وأنا أتأوه :

ــ مش قادره والنبى يا طنط .. تعبانه مش عارفه مالى .. ما أظنش حاقدر اقابل حد دلوقت .. خليهم بعد الضهر ..

ونظرت الى من تحت جفنيها كأنها تختبرنى ، ثم استردت فرحتها بسرعة ، وقالت :

ــ وماله يا بنتى .. خليكى مستريحه .. أنا حاتصل بيهم واقول لهم الزياره بعد الضهر .. تحبى أجيب لك الفطار فى السرير ..

قلت وأنا أدعى التعب :

ــ لو سمحت يا طنط .. ولو سمحت خللى السفرجى يجيب لى التليفون علشان أكلم ماما ..

والتفتت الى لفتة سريعة ، ثم عادت وقالت :

ــ وماله يا بنتى .. اللى مالوش خير فى أهله ، ما لوش خير فى حد ..

وكرهتها ..

أحسست كأنها تمد عينيها الى عنقى لتختفى .. كأنها تبحث من أين تستطيع أن تسيطر على .. أن تركبنى .. وشعرت بلهفة شديدة الى أمى .. أحسست أنى أصبحت يتيمة .. أريد ماما .. أريدها بجانبى .. لتحمينى من حماتى ..

وجاء السفرجى بصينية الافطار .. ولكنه لم يأت بالتليفون .. وبقيت ساكتة .. تناولت لقمتين من أفطارى .. ومعدتى مقفولة ، تصد كل ما ألقيه اليها .. ثم ضغطت على الجرس أنادى السفرجى ..

وقلت له بلهجة آمرة :

— تانى مره ما تجبش لى مربة لارنج .. ما بحبهاش .. شيل الصينية .. وروح هات التليفون ..

قال فى أدب :

— بس الست الكبيرة بتتكلم ..

قلت :

— طيب بعد ما تتكلم ، هات التليفون ..

وخرج السفرجى .. وأعصابى تكاد تتمزق .. أبخرة الغيظ متجمعة فى صدرى .. واليوم الطويل ممتد أمامى كثعبان يفتح فكيه ليبتلعنى .. فراغ .. فراغ يأكلنى .. ومرت لحظات .. لا أدرى أكانت طويلة أم قصيرة ، ثم ضغطت الجرس أنادى السفرجى مرة أخرى ، وصرخت فى وجهه :

— روح قول للست الكبيرة تجيب التليفون ..

وكانت قلة أدب منى .. ولكنى كنت ثائرة .. ثائرة على فراغى ..

وبعد برهة دخلت حماتى ، تحمل آلة التليفون بنفسها ، وقالت وهى تحاول أن تبدو رقيقة مهذبة :

— أنا آسفة يا بنتى .. كنت باعزم الستات اللى حايزورونا بعد الضهر ..

وتمتمت :

— متشكرة يا طنط ..

ورمتنى حماتى بنظرة من نظراتها ، ثم خرجت ..

واتصلت بأمى ..

وما كدت أسمع صوتها .. حتى بكيت .. انطلقت كل دموعى .. أحسست أنى وجدتها بعد أن بحثت عنها سنين طويلة ..

وقالت أمى جزعة :

— مالك يا بنتى .. مالك يا ميتو ..

قلت وأنا أشهق :

— ما فيش حاجه يا مامى .. بس وحشتينى .. وحشتينى قوى ..

قالت وصوتها يملأ صدرى حنانا :

— وبعدين يا ميتو .. ما تعمليش كده .. انتى كبرتى ..

قلت وأنا أحاول أن أكتم دموعى :

— تعاليلى يا مامى .. تعاليلى دلوقت .. مش معقول انك تسيبينى لوحدى بالشكل ده ..

وقالت أمى وهى تحاول أن تبدو حازمة :

— حاجيلك الجمعة الجايه باذن الله .. قوليلى .. عاملة ايه ؟

وأخذت أروى لها أخبارى .. كل أخبارى .. وضيقى .. وألح عليها أن تأتى الى .. وهى تصبرنى .. وتنصحنى .. نصائح كثيرة تنطلق من أذنى اليمنى لتخرج من أذنى اليسرى ..

وكرهتها ..

أحسست كأنها تمد عينيها الى عنقى لتخنقنى .. كأنها تبحث من أين تستطيع أن تسيطر على .. أن تركبنى .. وشعرت بلهفة شديدة الى أمى .. احسست أنى أصبحت يتيمة .. أريد ماما .. أريدها بجانبى .. لتحمينى من حماتى ..

وجاء السفرجى بصينية الافطار .. ولكنه لم يأت بالتليفون .. وبقيت ساكتة .. تناولت لقمتين من افطارى .. ومعدتى مقفولة ، تصد كل ما القيه اليهـا .. ثم ضـغطت على الجرس أنادى السفرجى ..

وقلت له بلهجة آمرة :

ـ تانى مره ما تجبش لى مربة لارنج .. ما بحبهاش .. شيل الصينية .. وروح هات التليفون ..

قال فى أدب :

ـ بس الست الكبيرة بتتكلم ..

قلت :

ـ طيب بعد ما تتكلم ، هات التليفون ..

وخرج السفرجى .. وأعصابى تكاد تتمزق .. أبخرة الغيظ متجمعة فى صدرى .. واليوم الطويل ممتد أمامى كثعبان يفتح فكيه ليبتلعنى .. فراغ .. فراغ يأكلنى .. ومرت لحظات .. لا أدرى أكانت طويلة أم قصيرة ، ثم ضغطت الجـرس أنادى السفرجى مرة أخرى ، وصرخت فى وجهه :

ـ روح قول للست الكبيرة تجيب التليفون ..

وكانت قلة أدب منى .. ولكنى كنت ثائرة .. ثائرة على فراغى ..

وبعد برهة دخلت حماتى ، تحمل آلة التليفون بنفسـها ، وقالت وهى تحاول أن تبدو رقيقة مهذبة :

ـ أنا آسفة يا بنتى .. كنت باعزم الستات اللى حايزورونا بعد الضهر ..

وتمتمت :

ـ متشكرة يا طنط ..

ورمتنى حماتى بنظرة من نظراتها ، ثم خرجت ..

واتصلت بأمى ..

وما كدت أسمع صوتها .. حتى بكيت .. انطلقت كل دموعى .. احسست أنى وجدتها بعد أن بحثت عنها سنين طويلة ..

وقالت أمى جزعة :

ـ مالك يا بنتى .. مالك يا ميتو ..

قلت وأنا أشهق :

ـ ما فيش حاجه يا مامى .. بس وحشتينى .. وحشتينى قوى ..

قالت وصوتها يملأ صدرى حنانا :

ـ وبعدين يا ميتو .. ما تعمليش كده .. انتى كبرتى ..

قلت وأنا أحاول أن أكتم دموعى :

ـ تعاليلى يا مامى .. تعاليلى دلوقت .. مش معقول انك تسيبينى لوحدى بالشكل ده ..

وقالت أمى وهى تحاول أن تبدو حازمة :

ـ حاجيلك الجمعة الجايه باذن الله .. قوليلى .. عاملة ايه ؟

وأخذت أروى لها أخبارى .. كل أخبارى .. وضـيقى .. والح عليها أن تأتى الى .. وهى تصـبرنى .. وتنصـحنى .. نصائح كثيرة تنطلق من أذنى اليمنى لتخرج من أذنى اليسرى ..

وتوصينى بزوجى عبد السلام .. ثم طلبت منى أن أنادى حماتى لتحادثها .. ورفضت .. قلت لهـا انها مشـغولة .. ولكن أمى أصرت .. وطلبت من السفرجى أن أنادى حماتى .. وأخذت الأم والحماة تنافق احداهما الأخرى .. وأنا جالسة فى السرير ، وعلى شفتى ابتسامة باهتة ، وبقايا الدموع فى عينى ..

وانتهت المحادثة ..

وحماتى واقفة بجانب فراشى كشـبح العذاب ، تنظر الى التليفون ..

وقلت أدعى التردد :

ــ أقدر أكلم بابا كمان ؟

قالت على الفور :

ــ طبعا يا حبيبتى .. ده بيتك ، وتليفونك ..

وخرجت من الغرفة تاركة لى التليفون ..

ولم أشعر أن هذا البيت بيتى ،ولا أن هذا التليفون تليفونى .. كنت أحس أنى فى بنسيون .. فى لوكاندة .. ضيفة عند حماتى .. وقد بقى هذا الاحساس يصاحبنى دائما .. لا ادرى لماذا .. ولا أدرى لماذا كرهت حماتى .. انها لم تضـايقنى فى حياتى .. بالعكس كانت حريصة على عدم مضايقتى ، حرصـا يصل الى حد مضايقتى ..

وانى أتساءل الآن .. هل لو انى اقمت مع زوجى فى بيت وحدنا منذ اليوم الأول لزواجنا .. هل كنت أحببت بيتى .. وأحببت حماتى ؟

ربما .. لست أدرى !

وأنا لا زلت فى فراشى .. والتليفون فى حجـرى .. ولم

اكن أريد أن أحادث أبى .. انه لا ينتظر منى أن احادثه .. ولكن كان هناك شخص آخر أريد أن أحادثه ..

ونظرت الى الباب المفتوح .. باب غرفتى ..

وترددت فترة طويلة .. واليوم الطويل الفارغ يمتد أمامى كثعبان يفتح فكيه ليبتلعنى .. والضـيق يزحف على صدرى ..

ثم لم أستطع ..

رفعت سماعة التليفون ، وأدرت رقم الترنك ، وطلبت نمرة هاشم .. طلبتها مستعجلة ..

ومضت نصف ساعة .. نصف ساعة هائلة .. كلى متحفزة .. منتبهة .. انظر الى البـاب المفتوح .. ثم انظـر الى داخل نفسى ، وأحس أحيانا بخوف من اندفاعى .. وأحيانا أحس انى اتهافت على هاشـم اكثر مما يجب .. تهافتا يفقـدنى احترامى لنفسى .. وأحيانا تملأنى لذة المغامرة .. وأبتسم وأنا أتخيـل ملامح الدهشة تكسو وجه هاشم عندما يسمع صوتى ..

وسمعت صوته ..

وارتج قلبى بين ضلوعى ..

وقال بلهجته السريعة التى تعود أن يحادثنى بها :

ــ ازيك يا عروسه .. بتتكلمى منين ..

قلت ويدى الممسكة بسماعة التليفون ترتعش ، وابتسـامتى ترتعش :

ــ من السويس ..

قال :

ــ عارف انك بتتكلمى من السويس .. منين فى السويس ؟

قلت فى دهشة من سؤاله :

— منَ بيتى ..

قال وضحكة صغيرة بين كلماته :

— أما مجنونه صحيح ..

قلت وانا انظر فى الفراغ الذى أمامى بكل عينى كأنى احاول أن أثقب الفراغ بعينى لأراه !!

— وحشتك ..

قال بسرعة :

— قوى .. حاشوفك امتى ؟

قالها ببساطة كأنى لم أتزوج .. كأن الزواج لا يمكن أن يحول بينى وبين لقائه .. أو كأنه تعود على لقاء الزوجات .

وقلت كأنى أتحداه .. كأنى أرد على استهانته بزواجى :

— انت ناسى انى اتجوزت ..

قال :

— مش ناسى .. ومش قادر أنسى انك وحشانى ..

قلت وأنا أحاول أن اكون خبيثة :

— وعاجبك كده ؟

قال :

— عاجبنى ايه ؟

قلت :

— عاجبك انى اتجوزت ، ومش قادره اشوفك ..

قال فى لهجة واقفة لا حياة فيها :

— ما كانش ممكن غير كده .. على كل حال انا مش مهم .. المهم انت .. المهم انك تكونى سعيدة ..

قلت :

— يا ريت يا هاشم ..

وسمعت صوت أقدام تقترب من غرفتى .. ربما كانت أقدام حماتى .. وقلت لهاشم بسرعة :

— حابقى أكلمك بعدين .. مع السلامه دلوقت ..

والقيت سماعة التليفون ..

والقيت رأسى على الوسادة .. مستريحة .. هائمة .. كأنى أخذت جرعة من الحياة .. أشبعتنى .. مؤقتا .. وخيالى كله مع هاشم .. ثم بدأ خيالى يسرى فى جسدى .. وأحس بلمساته .. والأفوام الصغيرة .. مسامى .. تتفتح .. عطشى تريد أن تشرب .. ولا تجد من يسقيها ..

وعاد زوجى .. ووجدنى كما تركنى فى الصباح .. بقميص النوم .. مهوشة الشعر .. وآثار النوم ، مختلطة بالدموع التى ذرفتها ، تكسو عينى .. وابتسم لى كأنى أجمل فتاة فى العالم .. وجلس على حافة الفراش ومال بجسده يقبلنى .. وانقبضت مسامى كلها .. لم أعد أريد أن أشرب ..

وازحته عنها وقلت فى رقة مفتعلة :

— أخرج دلوقتى لغاية ما البس ..

وقمت من الفراش .. كانت الساعة قد تجاوزت الواحدة ..

وارتديت « روب ديشامبر » من الحرير الطبيعى ، مشغولا بالدانتيل .. ووقفت أمام المرآة .. وأنا أرى نفسى فى عينى هاشم .. ان هاشم لم يرنى أبدا فى مثل هذا الروب .. لم يرنى أبدا كعروس فى يوم الصباحية ..

وتزينت ، كأنى أتزين لهاشم .. وخرجت لأتناول طعام الغداء مع زوجى وحماتى ..

والحديث كله عن عائلات السويس اللاتى سأقابلهن هذا المساء ..

وعدنا الى غرفتنا بعد الغداء ..
لم اكن أريد أن أعود ..
ولكن زوجى سحبنى من يدى وهو يقول :
— مش عايزه تستريحى شويه يا ميتو ..

واستسلمت له ، وسرت وراءه وأنا أشعر بحجر ثقيل أحمله فى صدرى .. وحماتى تنظر الى ابنها فى سعادة وزهو .
وقلت له وأنا أعطيه اجمل ابتسامة أستطيع أن أعطيها له :
— خدنى فسحنى فى السويس شويه .

قال وهو يقترب منى ويلف ذراعيه حولى ، وسنته الذهبية تلمع من خلال ابتسامته والثقوب الصغيرة تقفز فوق انفه :
— ياما حافسحك .. حاحط السويس كلها تحت رجليكى ..
بس خلينا مع بعض دلوقت ..
قلت فى توسل :
— علشان خاطرى ..
قال وهو يضع فمه فوق شفتى :

— علشان خاطرى أنا .. انتى خايفه يا حلوه ..
لقد اعتقد أنى خائفة .. أو أنى أتدلل .. ويئست أن أعفيه منى .. واستسلمت ..
وحاول المسكين ..
محاولات مقززة ..
انه لا يستطيع ..
لا يستطيع أن يكتشفنى ..
وأنا كلوح الثلج .. أشرد أحيانا وهو يحاول .. ثم أنتبه اليه برهة كأنى أتفرج على قرد يقفز أمامى ..
وضاق بى ..

وتركنى ، وأنفاسه لاهثة ، والعرق يتفصد من جبينه والسخط فى عينيه ..
وقال :
— مش ممكن تكونى صغيره للدرجه دى ..
ثم بدأ يرتدى ثيابه ، وقال وهو يخرج ويصفق الباب وراءه :
— انا راجع المكتب ..
ولم اهتم ..

لم اشعر حتى بالشفقة عليه ..
وجلست أفكر فى نصيبى .. فى أزمتى .. دون أن أفكر لحظة واحدة فى كيفية ارضاء هذا الزوج .. لم أفكر فى كيف أصبح زوجة .. فقط أدور وألف بعقلى داخل أزمتى .. وأتنهد شوقا الى هاشم ..
وافقت على صوت حماتى وهى ترجونى أن أستعد لاستقبال الضيوف ..
وبدأت أستعد ..
وخطر لى ساعتها أن أغيظ سيدات السويس كلهن .. لا أدرى لماذا .. ولكنى أحسست ساعتها انى أرقى منهن .. آتية من باريس الى بلد من بلاد الأرياف ..

وارتديت أجمل ثيابى .. وتغاليت فى الاهتمام بشعرى وزينتى .. وخرجت اليهن بعد أن لطعتهن أكثر من نصف ساعة .. وربما رآنى سيدات السويس جميلة ، ولكنى واثقة أنهن اجمعن على أن دمى ثقيل .. متقنزحة .. وأرضى غرورى أن يقلن عنى هذا الكلام ..
وعدت الى غرفتى ..
والليل ..

وزوجي المسكين ..

وفى اليوم التالى .. حادثت هاشم فى التليفون .. أصبحت أحادثه كل يوم .. وأحيانا أحادثه مرتين فى اليوم .. وقد قال لى انى يجب أن أحترس فان كشف حساب التليفون سيرسل الى زوجى مسجلا فيه الأرقام التى طلبتها ، وبينها رقمه .. وقد يسألنى زوجى عن هذا الرقم .. ويكتشف شيئا ..

ولكنى أجبته بلا مبالاة :

ـ ما تخافش ..

كنت واثقة ان زوجى لن يكتشف شيئا .. ان الزوج لا يكتشف شيئا الا اذا تعمد الاكتشاف .. وهو لن يتعمد الاكتشاف الا اذا بدأ الشك يداخله .. وزوجى لا يشك فى ..

والأيام تمر ثقيلة .. طويلة .. والمسافة تبتعد يوما بعد يوم بينى وبين زوجى .. وأعصابه تثور فى كل ليلة .. وبدأ يضع اللوم على .. ثم .. ولم يكن قد انقضى ستة أيام على زواجى .. طلبت منه أن نعود الى القاهرة لزيارة أمى .. ووافق بسرعة ..

وفرحت ..

سافرت كأنى على موعد مع هاشم ..

واختلى عبد السلام بأمى بعد وصولنا .. اختلى بها طويلا ، بينما أسرعت أنا الى غرفتى ، ورقدت على فراشى .. انى لم أجد بعد الفراش الذى يعوضنى عن فراشى ..

وخرج عبد السلام من البيت ، وجاءت أمى لتجلس معى .. وبدأت تقول لى كلاما عجيبا جريئا .. انها تعلمنى كيف أرضى زوجى .. كيف أساعده ، كما قالت .. كيف أثيره .. أنا .. هذه مسئوليتى أنا .. مستحيل .. وأمى تصر على التمادى فى

الموضوع .. ووجدت نفسى أنساق معها .. نتحادث كصديقتين .. كلاما يضحكنى .. أتعمد أن أسألها عن تفاصيل أكثر .. ثم أغطى عينى بكفى ، وهى تجيبنى .. وأصيح وأنا أضحك .. مش معقول .. وأمى تحتمل كل هذا الدلع منى ، وتزيدنى تفصيلا ..

ولم تكن أمى تعلم أنها تلقننى أول درس فى طريق طويل مزقت على جانبيه حياتى .. لم تكن تدرى أنها عندما كانت تعلمنى كيف أكون لرجل لا أريده .. كانت تضع قدمى على حافة الهاوية .. حتى لو كان هذا الرجل هو زوجى .. لا فرق .. ان التى تتعود على رجل لا تريده .. تجد أمامها عشرات الرجال لا تريدهم ..

واتصلت فى نفس اليوم بالدكتور هاشم .. طلبت منه أن يلقانى فى اليوم التالى الساعة الحادية عشرة صباحا .. وقال رغم فرحته بى :

ـ ما اقدرش يا أمينه انتى عارفه مواعيد العياده ..

قلت :

ـ بس انا جوزى معايا .. وما قدرش أقابلك الا فى الميعاد ده .. وما فيهاش حاجة لما تتأخر عن العياده شويه ..

قال فى حزم :

ـ مش ممكن ..

كأنى لم أزد شيئا عنده بعد أن أصبحت زوجة .. حتى ولا نصف ساعة من وقت مرضاه ..

وقلت وقد صدمنى فى لهفتى اليه :

ـ أمال أشوفك امتى ..

قال :

ـ انتى عارفه .. يا الساعه أربعه .. يا الساعه تسعه ..

وكنت استطيع أن أحدد موعدى معه مباشرة .. ولكنى شعرت بنوع من الكبرياء يدفعنى لأن أماطله .. وقلت :

— طيب لما أشوف .. لو قدرت حاتصل بيك تانى ..

وكنت أعلم انى لن أستطيع أن أقاوم طويلا .. كنت أعلم انى أضعف منه .. وأضعف من أن اقاومه ..

واتصلت به فى اليوم التالى .. وحددت معه موعدا فى الساعة الرابعة (*)

قلت لزوجى ولأمى انى ذاهبة الى الحلاق .. وفعلا أوصلنى زوجى بسيارته الى الحلاق ، واتفقت معه على أن يعود ويأخذنى فى الساعة السادسة (*)

ودخلت محل الحلاق وحددت معه موعدا فى الساعة الخامسة والنصف .. ثم خرجت بسرعة ، وركبت تاكسى .. وذهبت الى هاشم (*)

وكنت مغتاظة وانا ذاهبة اليه .. كنت اشعر برجفة المغامرة ، ولكن شعورى بالغيظ كان أكبر .. لا ادرى لماذا كل هذا الغيظ .. انى ذاهبة اليه كما كنت اذهب كل مرة .. فلماذا أغتاظ .. ربما احسست ساعتها بأنى الاحقه بدل أن اتركه يلاحقنى .. ربما أحسست انى أضحى بكل شىء ، وهو لا يضحى بشىء .. حتى ولا بنصف ساعة من وقت مرضاه ..

ووصلت اليه متأخرة ربع ساعة .. ولم يغضب .. ولم ار سحابة الزهق تكسو وجهه كما عودنى ..

شدنى من يدى ، واغلق ورائى الباب .. ثم احتوانى فى صدره ، وهمس فى أذنى وهو يضغطنى بذراعيه :

— وحشانى .. وحشانى موت (*)

ولم استرح فى صدره .. كنت عصبية لا أستطيع أن استريح

.. لا ستطيع أن أفرح بلقائه ولا أن اغضب .. لا أستطيع أن أستسلم ، ولا أن أقاوم ، لا أستطيع أن أثور ، ولا أن أهدأ .. لا أستطيع شيئا ..

وابعدنى عنه ، ثم سحبنى من يدى وأجلسنى بجانبه فوق الأريكة .. وهو يقول وابتسامة كبيرة بين شفتيه .. ابتسامة اكبر مما تعودتها منه (*)

— احكيلى .. عاملة ايه ؟

وبدأت أحكى له .. قلت له أنى زهقانة من عيشتى .. وأنى لا أطيق زوجى .. ولا بيتى .. ولا حماتى .. ولا السويس كلها .. ولكنه لا يستمع لى .. انه يقول كلاما .. يوصينى بأن أصبر .. وأن أحتمل .. ولكن الكلام يخرج من فمه كأنه كلام محفوظ .. كأنه يردد كلمات لا يعنيها .. وكأنه لا يسمع شكواى ولا يتأثر بها .. ويده تمتد الى شعرى تزيح خصلاته من فوق جبينى ، ثم تندس بين طياته .. ويقترب منى .. ويلف ذراعه حولى .. ثم ينظر فى عينى ويقول فى لهجة رقيقة لم أتعودها منه أيضا :

— انتى مظلومه يا أمينه .. مظلومه بجوزك .. ومظلومه بى (*)

ثم ضمنى اليه ..

ويده تمسح على ظهرى ..

انى أعرف ما يريد ..

وأريد أن أبكى ..

أقاوم دموعى بكل ارادتى ..

والتقط شفتى بشفتيه .. لا .. لا أريد .. ان مسامى

منقبضة .. انها لا تنفتح كعادتها معه .. ولكنى لست متضايقة .. لا احس بهذا الضيق الذى أشعر به مع زوجى .. ولا بهذا البرود .. كأنى أسير فى طريق أعرفه .. تعودت عليه .. حتى لو لم أكن أريد السير فيه ..

وأعطى لنفسه حرية أكثر ..

ملهوفا .. متعجلا .. حتى يلحق موعد العيادة ..

وبكيت ..

كان بكائى صامتا .. ولكنى لم أستطع أن أبقيه صامتا .. تكلم دمعى فى نشيج خافت .. وبكائى ونشيجى يثيره أكثر .. وأنا مستسلمة .. لا أقاوم ..

وتركنى ..

ولا زالت الدموع تسيل على خدى ..

وضمنى فى رفق الى صدره وأخذ يواسينى .. ويقول كلاما يحاول أن يكون رقيقا .. ما فائدة الكلام .. كله كلام لا يحل مشكلتى .. وهو متعجل .. انى أعرف أنه على عجل .. يريد أن يلحق بموعد العيادة ..

وابتعدت عنه ، وأنا أقول كأنى أنغزه .. كأنى الومه .. كأنى اكتشفه :

ـ انت اتأخرت على العياده يا هاشم .. حاسيبك بأه ..

ووقف صامتا ..

واستدرت له لأخرج ..

ولحق بى هاتفا :

ـ حاشوفك امتى ؟

قلت وأنا أبتسم له ابتسامة فيها مرارة وفيها سخرية :

ـ ما اعرفش .. حا ابقى اتصل بيك .

وخرجت ..

والذل يأكل أعصابى .. والغيظ .. والحيرة ..

وعدت الى الحلاق .. وجلست تحت يده .. وأنا افكر فى طريقة أخلص بها نفسى من هاشم .. هل يستطيع زوجى أن يخلصنى منه .. ربما لو اتبعت الدرس الذى لقنته لى أمى لاستطعت أن أجعل منه شيئا اتعود علية ..

وقررت أن أتبع دروس أمى ..

أن أرضى زوجى ..

لعلنى أتعود عليه .. ولعله يخلصنى من هاشم ..

وجاء المسكين فى الساعة السادسة .. ومنحته أكبر ابتساماتى .. كأنى أعده بشىء كبير .. جديد .. ثم تركته ينتظرنى ساعة كاملة الى أن انتهيت من الحلاق ..

وعدنا ليلتها الى السويس بعد أن تناولنا طعام العشاء فى بيت أمى ..

وهناك ..

فى غرفتنا ..

كنت متعبة .. لم أستطع أن أبدأ فى تطبيق الدرس الذى لقنته لى أمى .. ثم .. كان كثيرا على أن أكون لرجلين فى ليلة واحدة .. أحس بنفسى رخيصة .. مبتذلة .. جسدى يقشعر ، وجلدى يتكرمش ، كلما لمست جسد زوجى ..

ولكنى حاولت فى الليلة التالية ..

يا ربى .. ما أقسى المحاولة ..

انها عذاب .. ذل .. معدتى تتلوى ، استمر فى المحاولة .. أعطيه كل ما أوصتنى به أمى .. وأكثر .. بل انى أغش من هاشم وأحاول أن القنه الغش ..

وفرح زوجي بالمحاولة ..
انه الآن ليس مسكينا ..

ولم أتصل بهاشم فى هذا اليوم .. ولا فى اليوم التـــالى .. مرت ثلاثة أيام لم أتصل به .. والأيام تمتد أمامى طويلة ، فارغة .. والزهق ، ثعبان يفتـــح فكيـــه المســـمومتين ويبتلعنى .. والمحاولات التى ابذلها لزوجى تقززنى .. وتبعـــدنى عنه اكثر

.. ومسام جسدى تزداد انقباضا ..

ثم ..
عدت أتصل بهاشم ..

وذهبت الى لقائه عندما جئنا الى القاهرة فى الأســـبوع التالى ..

وأصابتنى حالة اللامبالاة ..

لا مبالاة فى زينتى .. ولا مبالاة فى ثيابى ولا مبالاة بحماتى
لا مبلاة فى زينتى .. ولا مبالاة فى ثيابى ولا مبالاة بحماتى .. ولا مبالاة بعائلات السويس وبما يقولونه عنى .. ولا مبالاة حتى بأمى ..

لا أبالى اذا ذهبت الى هاشم .. ما دمت اريده .. واللامبالاة تدفعنى الى جراة أكثر فى التحـــدث اليه من السويس .. انى أتحدث اليه أحيانا ثلاث مرات فى اليوم .. ولا مبالاة فى لقائه .. انى ألقاه كل يوم اقضيه فى القاهرة .. وأستطيع أن ابتكر الأعذار لأذهب الى لقائه بعد الساعة التاسعة .. بعد أن تنتهى مواعيد العيادة المبجلة .. وأبقى معه للعاشرة .. والحادية عشرة .. بل انى عودت زوجى على أن يتركنى وحـــدى فى القـــاهرة .. يوما أو يومين .. لأذهب الى هاشم بحرية اكثر ..
ولا ابالى أيضا وأنا راقدة بجانب زوجى .. انه شئ يسلينى

.. تجلد جسدى فلم يعـــد يحس بضيق ، ولا بتقزز .. بل احيانا كان الزهق يشتد بى .. وأدور فى غرفتى كأنى أدور فى احد اقفاص حديقة الحيوان .. أريد أى شئ أعمله .. شئ يلهينى عن نفسى .. فأتصـــل بزوجى فى مكتبه .. وهو يبقى فيه طول اليوم حتى الساعة الخامسة .. وأقول له فى دلال وكأنى العب لعبة مسلية :

ــ عبد السلام .. تعالى ..
ويقول لى :
ــ ما اقدرش يا ميتو .. عندى شغل .
وأقول كأنى أتلوى :
ــ اخص عليك .. أنا عايزاك ..

ويستسلم المسكين .. وأسرع أنا وأخلع ثيابى كلها .. وأرقد فى الفراش وأغطى نفسى بالملاءة الخفيفة .. وأنتظره وفى عينى نظرة خبيثة .. ثم اتســـلى برؤية عينيه الجاحظتين وهو يكشف عنى الملاءة .. ولعابه السائل على ذقنه ، وهو يتحسس جسدى .. وحركاته المضحكة وهو يحاول أن يأخذنى .. أتسلى .. مجرد تسلية .. لقطع الوقت .

لقد أصبح جسدى ، لعبتى ..
ولا أبالى ..

ولكن هذا الاحساس باللامبالاة كان ستارا شفافا فوق الأسى ، والضياع ، والحيرة ، والتفكك الذى أحس به فى دخيلة نفسى .. وكأن هذا الستار ينزاح أحيانا .. تطيره ذكرى أو فكرة .. فأرى من ورائه عذابى .. وأبكى ..
كنت أبكى كثيرا فى غرفتى .. وغرفتى هى المكان الوحيـــد الذى أملكه فى هذا البيت .. والباقى تملكه حماتى .. تركتـــه

والعب بجسدى ..
لعبتى الوحيدة ..
ولكنى مع الأيام ، سئمت اللعبـــة .. وبدأ ستار اللامبالاة يتمزق .. وأجد نفسى مضطرة لأن أواجه مشكلتى .. بكل ثقلها بكل بشاعتها .
وكنت أعلم حل مشكلتى ..

لها .. لم أحاول أن آخذه منها .. كنت ضعيفة الشخصية الى حد أنى لا أستطيع أن أقف أمام شـــخصيتها .. أو أن أطالب بشىء .. كل ما أستطيعه هو أن أبتعد عنها .. وأن تتركنى فى حالى .. لزهقى .. للأيام الطويلة الفارغة .. و ..

الحل الوحيد .. أن أتزوج هاشم ..
انه الرجل الوحيد الذى يستطيع أن يجعل منى زوجة كاملة .. الوحيد الذى يستطيع أن يملأ فراغى .. الوحيد الذى أستطيع أن أنتظره دون أن أزهق .. حتى لو ظل فى عيادته شهرا .. و ..
ولكنى حامل ..

يا خرابى ..
ابن من هذا الذى ينسج حياته فى داخلى ..

— ٤ —

كانت مفاجأة لى عندما اكتشفت أنى حامل ..
مفاجأة كبيرة ..
ذهلت ..
وكنت أعلم أنه سيأتى اليوم الذى أحمل فيه .. ولكنى كنت

أتصور هذا اليوم بعيدا .. بعيدا جدا .. بعــد ســنتين .. ثلاث .. أربع سنوات .. والكلمات الكثيرة التى كنت أســمعها وتتمنى لى أن ألد ، وعقبال البكارى .. وعايزين نفرح بالنونو .. ويا لله هاتى لنا بنت حلوه زى أمها .. كل هذه الكلمات لم تكن تقرب هذا اليوم فى خيالى .. حتى أحاديث أمى ، ولمعة عينيها وهى تســألنى عن حالى كلما التقينا .. ونظرة حمــاتى التى تستقبلنى بها كل صباح ، وتتبعها لى وأنا أنتظر شـــارة أنوثتى كل شـــهر .. كل هذا لم يدفعنى الى الاحساس بأنى قد أحمل فى أى يوم قريب ..

ربما لأنى كنت أعيش فى أزمتى .. كنت أعيش عمـــرى ساعة بساعة .. يوما بيوم .. وكان عقلى .. وكانت أحاسيسى .. وكان جسدى .. كان كل شىء موزعا بين زوجى وهاشم .. لا شىء غيرهما يشغل بالى .. أو أفكر فيه .. أو أنتظره ..
وفى علاقتى مع زوجى ومع هاشم ، لم أكن أنتظر أن أحمل من أحدهما .. هكذا بسرعة ..

كنت أحيانا أخاف .. أخاف من الحمل .. ولكنه كان نوعا من التدلل أكثر منه خوفا .. وكنت فى هذه الأحيان أدعى أنى أحتاط .. وأفعل ما تفعله النساء اللاتى يحتطن من الحمل .. ولكنه كان أيضا نوعا من التظاهر .. التظاهر باستعمال حقوقى كامرأة فى اشعار رجلها — أو رجليها — بأنوثتها المتفتحة للأمومة .. تماما كما لبست الكعب العالى لأتظاهر بأنى أصبحت بنتا كبيرة وكما دخنت السجائر فقط لأتظاهر بأنى أصبحت زوجة من حقها أن تدخن ..

ولكنى كنت أزهق من هذه الاحتياطات وأكسل عنها ..
خصوصا مع هاشم ..

انى أنصهر معه الى حد أن أنسى كل شىء ، الا اللحظة التى نعيشها معا ..

وأعتقد أن هذا يحدث لنا جميعا ..

اننا ضعيفات ..

ولولا ضعفنا لما زادت نسبة عمليـات الاجهاض الى هـذا الحد .. واغتنى أطباء من وراء ضعفنا ..

ولكنى ايامها لم أكن أحس بأنى ضعيفة .. كنت لا مبـالية .. وكنت لا أصدق أن هذا اليوم سيأتى بهذه السرعة ..

الى أن فوجئت ..

وذهلت ..

وكان أول ما طرأ على ذهنى أن اسأل نفسى .. من الذى وضع فى داخلى هذا الجنين ..

وتمنيت أن يكون هاشم ، أبا لابنى أو ابنتى .. أبا أزهو به .. أفخر به .. ويرث عنـه ابنى قوة شـخصيته ، وذكاءه ، وأنفه الكبير .. وضحكت ضحكة صامتة وأنا أتصور ابنى وله أنف كأنف هاشم .. ثم فجأة سقطت ضحكتى منى .. وخفت . الى حد أن انخلع قلبى .. كيف يكون الجنين لهاشم ، وأنا زوجة لعبد السلام ..

ولم اتبين ساعتها تفاصيل المشكلة .. ولكنى وجدت نفسى غارقة فى ضباب أسود كثيف .. تطل منه كلمة الحرام .. وأخاف على ابنى من الحرام .. أخاف عليه من الله .. ومن الناس .. ومن الأيام .. أخاف على ابنى لا على نفسى .. ودموعى حائرة بين رموش عينى ..

ثم .. من خـلال هذا الضـباب الكثيف انفتحت طاقة رأيت منها أن الجنين الذى أحمله فى بطنى هو لزوجى عبد السـلام .

ولا ادرى كيف استطعت أن اتأكد انى حملت من زوجى لا من هاشم ..

لقد أخذت اتذكر .. وبقدرة خارقة تذكرت جميع الليالى التى كنت فيها لزوجى خلال الخمسة الأشهر التى مرت على زواجنا ..

انها لا تتجاوز ست ليال .. سبع ..

وتذكرت كل التفاصيل .. كل أحاسيسى .. كلها .. شىء عجيب أن أتذكر كل هذه التفاصيل ، وبهذه الدقة ..

وليلة معينة بالذات .. حملت فيها ..

لا أدرى كيف تأكدت أن هذه الليلة بالذات هى التى حملت فيها .. ليست ليلة أخرى .. ولا أدرى هل تستطيع كل زوجة أن تكتشف الساعة التى حملت فيها ..

لا أدرى ..

ولكنى تأكدت ..

وازداد تأكدى بمجرد احساس تلقائى ..

الحمـد لله .. ان ابنى ابن حلال .. لن اخاف عليـه من الله ، ولا من الناس ولا من الأيام ..

ولكن ..

عندما تأكدت ، واسترحت الى تأكدى بدأت أشعر بنوع من الندم .. ومن الغيظ .. اغتظت لأنى حملت من زوجى عبد السلام .. كأنه لم يكن يستحق أن احمل منه .. لم أشعر بهذه الرقة وهذا التفتح للحياة الوليدة ، الذى تشعر به كل زوجة جديدة تتلهف على الأمومة .. شعرت أن هناك قيدا ينطلق من بطنى ليشد وثاقى الى الرجل الذى لا أريده ..

وعدت اتمنى من جديد أن يكون الجنين لهاشم .. وأغمض

عينى وأستريح لهذه الأمنية .. وابتسم .. ثم يسرح بى خيالى .. ربما لو تأكد هاشم أن الجنين له ، لطلقنى من زوجى ، وتزوجنى .. انه لن يرضى أن ينسب ابنه الى رجل آخر .. أو على الأقل يعيش مع رجل آخر .. حتى لو كان ابن حرام ..

وتزعجنى كلمة الحرام .. أنتفض .. لا ياربى .. لا تجعله لهاشم .. للحرام .. اجعله للحلال .. لعبد السلام ..

ثم أعود وأهدأ .. وتعاودنى الأحلام .. من أين يتأكد هاشم . انى حملت منه .. انه لن يتأكد الا اذا ولدت وكان المولود شبها له .. أو لزوجى .. ولكن قد لا يكون المولود شبها له ، ولا لزوجى .. قد يكون بنتا شبها لى .. وأعيش طول عمرى حائرة فيها .. وقد تعقدنى هذ ه الحيرة .. و ..

وفى لحظات تخبطى .. فى نفس اللحظة التى كنت اعانى فيها كل هذه الأفكار السوداء .. أبلغت زوجى أنى حامل ..

وفرح المسكين .. كاد يطير من الفرح .. ووقف أمامى كالعبيط ، وفرحته تسيل على شفتيه .. لا يدرى ماذا يقول ، ولا ماذا يفعل لى ..

وفرحت حماتى .. فرحت كأنها اخذت منى شيئا ، كأنها استردت قيمة المهر والشبكة ..

وفرحت أمى .. جاءت الى السويس ، واقامت معى أربعة أيام ، ثم أخذتنى معها الى القاهرة لتعرضنى على طبيب وتزداد تأكدا .. فهى لا تثق فى أطباء السويس ..

الوحيدة التى لم تفرح .. انا .. و ..

ولم أقل شيئا لهاشم ..

ذهبت اليه فى نفس اليوم الذى وصلت فيه الى القاهرة مع أمى .. ذهبت اليه باحساس جديد .. غريب .. كنت احس

انى لست ذاهبة اليه وحدى .. كان معى انسان آخر .. مخلوق آخر غريب عنى يعيش فى داخلى .. وهذا المخلوق يراقبنى ويحاسبنى .. ويخاف منى .. ان هاشم لن يأخذنى هذه المرة وحدى .. انه سيأخذ معى هذا المخلوق الآخر الذى ليس له ارادة ، الا ارادتى .. فما ذنبه .. انه لا يحب هاشم كما أحبه .. ولا يريد هاشم كما أريده .. فما ذنبه ..

وعقدنى هذا الاحساس ..

وربما لاحظ هاشم الخطوط العميقة التى رسمتها مشكلتى فوق جبينى .. فقد سألنى بمجرد أن جلست بجانبه :

— مالك ..

قلت وأنا أزفر كل أنفاسى :

— ولا حاجه ..

قال ملهوفا :

— مش ممكن .. انتى مش زى عوايدك .. عمرى ما شفتك مبوزه للدرجه دى .

قلت وأنا ألقى عينى فى راحة يدى :

— متضايقه ..

قال فى بساطة :

— من ايه .. حصلت حاجه جديده ..

ورفعت عينى اليه وقلت فى حدة :

— يعنى ضرورى تحصل حاجه جديده علشان اتضايق . مش كفايه اللى انا فيه ..

ومال بظهره على مسند الأريكة .. وتنفس فى ضيق .. كأنى أفسدت متعته .. وأقلقت راحته .. وسكت .. لم يرد على ...

وبقيت ساكتة معه برهة ، ثم رفعت راسى اليه ، وعلقت عينى بعينيه وقلت كأنى أستغيث به :

— هاشم .. أنا لازم أتطلق .. أنا حاتجنن .. مش طايقه جوزى .. مش طايقاه .. قرفانه منه .. وقرفانه من نفسى .. وقرفانة من عيشتى .. لو ما اتطلقتش حانتحر ..

وأطلت نظرة حنان من تحت جفنيه المنتفختين ، وقال وهو يمسح بيده على شعرى :

— ما تبقيش مجنونة .. لو كل واحدة متضايقه من جوزها طلقته .. ولو كل واحد متضايق من مراته طلقها .. ما كانش النهارده فيه حد متجوز .. الطلاق مش سهل .. الطلاق حاجه كبيرة .. الطلاق يعنى بيت اتهد .. وانتى لسه ما لحقتيش تتجوزى .. لسه ما حاولتيش كفايه .. يمكن لو حاولت أكتر من كده تقدرى تعيشى معاه ..

انه يحدثنى كأنى امراة غريبة عنه .. كأنه ليس أصل شقائى ومصيبتى .. ينصحنى كما تنصح أمينة السعيد قارئاتها .

ونظرت اليه فى لوم .. أكثر من لوم .. وقلت فى حدة :

— أنا مش متضايقه منه وبس .. أنا باحب واحد تانى غيره .. نسيت ! ؟

وابعد يده التى يمسح بها على شعرى وأدار وجهه عنى . وقال فى صوت صارم :

— يبقى تسيبى التانى .. أهون من الطلاق ..

واتسعت عيناى وامتلأتا بالدهشة والألم ، وشهقت :

— انت تقدر تسيبنى يا هاشم .

وقال فى برود :

— أنا ما اقدرش اسيبك . لأن ما فيش سبب يخلينى اسيبك .. انما انتى تقدرى تسيبينى الأن عندك سبب تسيبينى علشانه .. لو كان لازم تختارى بين بيتك وبينى .. يبقى لازم تختارى البيت .. لأن مالكيش مستقبل معايا ..

هكذا قالها بكل صراحة ..

ورفعت راسى كأنى احاول ان احتفظ بكرامتى ، وقلت وأنا احاول أن أنظر اليه نظرة ساخرة :

— على كل حال انا لو اتطلقت مش حا اطلق علشانك . حااطلق لأنى مش طايقه الراجل اللى اتجوزته .. ومش طايقه أعرفك وأنا متجوزه .. وأنا مش خايفه من المستقبل .. انا لسه صغيره وحلوه .. ألف راجل يتمنوا يتجوزونى .. وأى واحد فيهم احسن من اللى انا متجوزاه ..

ولم يرد على ..

قام من جانبى واتجه الى مكتبة صغيرة معلقة فى الحائط ، واخذ يقلب فى بعض المجلات الطبية ..

واستطردت قائلة وأنا أكاد اخنقه بعينى :

— انا اللى مخلينى أعرفك لغاية دلوقت انى متجوزه الراجل ده .. يمكن لو اتجوزت واحد تانى يقدر يخلينى أسيبك ..

ولم يرد على ايضا ..

واضطررت أن أسكت .. وعاودنى الاحساس مرة ثانية انى لست وحدى .. معى انسان آخر فى بطنى .. وخيل الى انى أسأل هذا الانسان رأيه .. أستشيره .. أطلب منه أن يعاوننى .. يمنحنى قوة تحفظ لى كرامتى ، وتشد أرادتى .. وعيناى منكستان كأنى أنظر بهما فى داخلى الى الانسان الآخر .. ومشكلتى كلها لا تزال مرتسمة فى خطوط عميقة محفورة فوق

جبينى . وصدرى يضيق بأنفاسى .. رئتاى كأنهما منفاخ ينفخ الدموع الى عينى .. ولكنى لا أبكى ..

ولم يلحظ هاشم أن فى داخلى انسانا آخر .. أن بطنى لم ينتفخ الى حد أن يلحظه أحد ..

ولكنه التفت الى بعد فترة طويلة ، وقال وهو يطوى المجلة الطبية ويلقى بها فى المكتبة :

ــ احنا بنتخانق على ايه دلوقت ؟

قلت فى يأس :

ــ مش عارفه ؟

قال :

ــ طيب زعلانه منى ليه ؟

قلت وأنا أشد يأسا :

ــ مش زعلانه ..

وجاء وجلس بجانبى ، وقال وهو يدس أصابعه فى خيوط شعرى ، ويبتسم لى ابتسامة كبيرة :

ــ انتى مجنونه ..

ثم قرب شفتيه من شفتى ..

واشحت عنه بوجهى بسرعة وعنف ..

لا أريده أن يقبلنى ..

ونظر الى فى دهشة ، وقال وهو يضع ذراعه فوق كتفى :

ــ مش عايزه تبوسينى ؟

قلت :

ــ سيبنى يا هاشم من فضلك .. أنا متضايقه ..

ثم انتفضت من جانبه ، وقمت واقفة فى منتصف الغرفة .

ولحق بى ونظر الى كأنه يحاول أن يكتشف سرى ، ثم احاطنى بذراعيه وجذبنى بقوة الى صدره ، وهو يقول :

ــ ما تبقيش مجنونه .. انتى عمرك ما حاتضايقى منى ..

ثم سقط بشفتيه فوق شفتى .. يقبلنى هذه القبلة العنيفة التى أعرفها جيدا عندما يريد أن ينتهى منى بسرعة ليلحق موعد العيادة ..

ونزعت شفتى من بين شفتيه بالقوة .. وتركت قبلته تسقط على كتفى فى عصبية كأنى أصرخ ، وأنا احاول أن أتخلص من بين ذراعيه :

ــ مش قادره يا هاشم .. سيبنى .. سيبنى .. مش قادره أبدا ..

وكنت فعلا لا أستطيع ..

ربما لأول مرة أشعر أننى لا أطيق قبلة هاشم ..

ورفع رأسه النائم فوق عنقى ... ونظر الى والدهشة تملأ عينيه .. ثم أفلتنى من بين ذراعيه .. ووقف أمامى وعلى شفتيه ابتسامة فاترة .. لا مبالية .. كأنه يحاول أن يقنعنى بأنه لم يخسر شيئا كبيرا .. ولا يهتم ..

وساويت شـــعرى بيدى .. وساويت ثوبى ، وقلت وأنا لا أنظر اليه :

ــ أنا لازم أنزل بأه ..

ولم يرد ..

ظل واقفا مكانه وعلى شفتيه نفس الابتسامة ..

وتقدمت نحو الباب ..

وهو لا يزال واقفا مكانه ..

ووضعت يدى فوق مقبض الباب ..

وهو لا يزال مكانه .. لا ينطق .

وترددت قليلا .. ثم عدت اليه . وقبلته قبلة سريعة فوق خده .. وقلت وأنا اعود ناحية الباب :

— ما تزعلش منى .. حابقى اضربلك .

وسمعته يقول :

— مع السلامة ..

وخرجت ..

وعلى شفتى ابتسامة صغيرة .. كنت سعيدة لأنى قاومته .. لأنى لأول مرة لم أعطه ما يريد .. وكنت انظر الى الانسان الذى فى داخلى كأنى أتباهى أمامه بقوة ارادتى ..

وركبت سيارة أجرة ، وأنا أفكر فى .. الطلاق ..

نعم .. الطلاق ..

وكنت وأنا أفكر فى الطلاق أشعر كأنى أتحدى هاشم .. انى لا اريد الطلاق فقط لأنى لا أطيق زوجى .. ولا لأنى أخونه .. ولكن لأتحدى هاشم .. لأقنعه بأنى سأطلق حتى لو لم يعدنى بالزواج .. لأقنعه أنى لست فى حاجة الى وعد منه ، حتى أطلق ..

وشعرت برجفة وفكرة الطلاق تلح على .. ولكن هذه الرجفة لم تحل دون استمرارى فى التفكير .. كنت احس بخطورة ما افكر فيه .. ولكن احساسى بالخطورة يسوقنى أمامه .. لا أستطيع أن أنظر خلفى .. أنى منساقة بكل عقلى الى التفكير فى الطلاق ..

ووصلت الى البيت ، واستقبلنى زوج أمى مهللا ، واحتضننى بين ذراعيه وقبلنى فوق جبينى ، وهو يقول بلهجته العسكرية :

— والله كبرت يا ميتو .. واحاتخلفى ..

انه يحبنى منذ تزوجت .. لأنه لم يعد مسؤولا عنى ..
واستقبلتنى امى فى لهفة ، وهى تصيح :

ـــ أتأخرت كده ليه يا ميتو .. ما فيش نزول البلد اليومين دول .. لازم تستريحى فى السرير على طول ..

واخوتى الصغار يلعبون حولى ، وأنا لا أراهم الا كخيال .
وكلام كثير بقال ، لى ولا أسمعه ..
انى أفكر فى الطلاق ..

لا أستطيع أن اكف عن التفكير فيه .. وكلما اصطدم تفكيرى بعقبة ، بررتها لنفسى ..

كنت اقول لنفسى .. كيف أطلب الطلاق ، وأنا حامـــل .. فترد نفسى قائلة .. هذا أفضل بدل أن يولد الطفـــل ليعيش مع أم خائنة وأب مخدوع .. انك تطلبين الطلاق من أجل طفلك .

وكنت أقول لنفسى .. الأفضل أن انتظر الى أن يولد الطفل .. فترد نفسى قائلة .. ابدا .. الآن افضل .. حتى لا يقيدك الطفل فى مسعى الطلاق ..

ولم يكن تفكيرى فى الجنين الذى أحمله هو كل ما يخطر لى وأنا مستسلمة لتفكيرى فى الطلاق ..

أبدا .. كان الجنين آخر ما أفكر فيه .. كان فى بطنى ، ولكنى لم اكن فى هذه السن اســـتطيع أن اقدر خطورة ما أنا مقدمة عليه بالنسبة له .. ولا أن أقدر قيمة عواطفى نحوه ..

كان كل تفكيرى فى هاشم ..

كانت المقارنة بينه وبين زوجى ، تشعرنى بالفارق الكبير بينهما .. فى المركز .. فى المظهر .. فى الشخصية .. فى الرجولة .. فى كل شىء .. فاذا كنت أستطيع أن يكون لى رجل مثل هاشم ، فلماذا أتزوج رجلا كعبد السلام .. واذا كنت قد

تزوجته فلماذا استسلم لقدرى .. لماذا لا اغامر .. انى صغيرة .. وحلوة .. وفى عمرى متسع للمغامرة ..

وكنت مغرورة ..
حبى لهاشم ملأنى غرورا ، وقوة ..
ولم اكن أعرف أنى مغرورة ..
ولكنى كنت أعرف أنى قوية ..
ولكن ..
كيف أطلق .. كيف اجبر زوجى الذى يحبنى على طلاقى .. أن يطلقنى بلا سبب .. ثم كيف أقنع عائلتى بالطلاق ؟
لا أدرى ..
ولكن لابد أن هناك وسيلة ما ..

واتصل بى زوجى بعد يومين من السويس وطلب منى أن أعود اليه .. ولكنى رفضت .. قلت له انى تعبانة .. ولن أحتمل السفر الى السويس ورجة السيارة طول الطريق . وصدقنى المسكين الملهوف على الجنين الذى فى بطنى .. وصدقتنى أمى .. ولم أذهب اليه .

ذهبت الى هاشم ..

وفى هذه المرة لم استطع ن أقاومه .. كنت فى حاجة اليه .. كنت فى حاجة الى شىء عنيف يلهينى .. شىء اعنف من أفكارى .. واعنف من هذا المخلوق الذى يعيش فى داخلى .. وكان هاشم يستطيع دائما أن يكون اعنف من كل شىء .. ولكنه عندما هم أن يضربنى فى هذه المرة ، كما عودنى .. قلت له فى توسل :

ـــ لا .. ماتضربنيش .. علشان خاطرى ..

كأنى كنت أريد أن احتفظ بشىء من أجل هذا المخلوق الذى

يعيش فى داخلى .. كنت اريد أن ابدو امامه محترمة ..

ولكن هاشم ضربنى ..

ونسيت كل شيء ..

عشت فى كل لحظات الجنون ..

ثم افقت ..

وأفاق مسترخيا بجانبى ..

وعندما افقت ، أفاقت معى كل افكارى دفعة واحدة .. وادرت راسى بعيدا عنه .. أفكر .. أفكر ..

واستدار لى بعد برهة ، وعاد وأخذنى بين ذراعيه .. فى رقة .. وهدوء .. وقال فى صوت حنون صاف .. وأنفاسه منتظمة كخرير الجدول العذب :

ــ انا باحبك قوى يا أمينه ..

ورفعت اليه عينى فى نظرة سريعة .. كانت المرة الأولى التى ينطق فيها هذه الكلمة .. احبك .. وقالها فى صدق .. وعمق .. كل خلجة من وجهه تقولها .. وصدقته .. وعندما صدقته ، انفتح أمامى طريق مفروش بالورد .. طريق ينطلق النور على جانبيه ..

ودسست وجهى فى عنقه ، وضغطته الى صدرى .. الى قلبى .. بكل حنانى .. بكل ما أملكه من طاقة عاطفية .. وهمست ، وهمستى تقفز فوق شلال عواطفى :

ــ وأنا كمان يا هاشم .. باحبك قوى .. قوى ..

واسترح كل منا فى صدر الآخر .. وفوق ثغرينا ابتسامتان هادئتان كفراشتين نامتا على أوراق الورد ..

وعدت أفكر .. وفى تفكيرى حلاوة .. وهدوء .. كأنفاسه

وانفاسى .. ووجدت نفسى اقول له رغم ارادتى ، وكأنى لم اعد احتمل أن اخفى عنه شيئا :

ــ هاشم .. أنا حامل ..

وقفز رأسه من فوق الوسادة ، وقال وقد اضطرب صوته وضاع منه الحنان :

ــ بتقولى ايه ؟

وادرت راسى اليه ، وقلت وعينى فوق انفه الكبير :

ــ انا حامل ..

قال كأنه انزعج :

ــ بتتكلمى جد ؟

وهززت رموش عينى بالايجاب ..

قال وهو أشد انزعاجا .

ــ من امتى ؟

قلت :

ــ فى التانى ..

قال فى غيظ :

ــ أما مجنونة صحيح ..

ونظر فى عينى صامتا .. كأنه ينتظر منى شيئا اقوله .. وفى نظراته شيء غريب .. كأنه يتحفز للدفاع عن نفسه .

ولم اقل شيئا ..

وأراح راسه على الوسادة .. ولمحت سحابة من الحيرة تمر على وجهه .. وتمتم فى صوت خفيض :

ــ ومالك مستعجله كده ؟

قلت وأنا انظر اليه سعيدة بحيرته :

ــ يعنى كنت عايزنى أعمل ايه ؟

قال :

— كان لازم تحتاطى .. انت لسه ما بقالكيش خمس شهور متجوزه .. لسه ما ستقرتيش فى جوازك .. كان لازم تستنى لغاية ما تستقرى .. لغاية ما تنظمى عيشتك ، لغاية ما تبنى حياة كويسة لابنك .. مش معقول انك من يومين تقوليلى انك عايزه تتطلقى .. والنهارده تقوليلى انك حامل ..

ونظر كل منا فى عينى الآخر .. وفى عيوننا تساؤل لا نريد أن نفصح عنه .. والحيرة تكسو وجهه .. وسعادتى بحيرته تزداد .. وكنت سبب حيرته .. وكان يحس انى أعلم سبب هذه الحيرة .. انه يريد أن يسألنى ممن حملت .. ولكنه لا يستطيع أن يفصح عن سؤاله .. وانا لا أجيبه ولا اريحه ..

وقلت وأنا أدعى الغضب :

— واشمعنى أنا اللى أحتاط ..

ونزع ذراعه من تحت راسى ، واعتدل جالسا فوق السرير وقال وعيناه ضائعتان فى فراغ الغرفة :

— علشان انتى اللى بتحبلى .. الراجل ما بيحبلش .. والمشكلة مشكلتك .. مش مشكلة جوزك ..

وقفز من جانبى ، وبدأ يرتدى ثيابه ..

ونظرت اليه فى عتاب .. وأنا لا زلت راقدة فى الفراش نصف عارية .. كان قاسيا فى كلمته .. وقاسيا عندما ذكر زوجى .. لا يمكن أن يكون زوجى وحده هو المسؤول ..

والتفت الى وهو واقف أمام المرآة .. يشد رباط عنقه .. وقميصه مهدل فوق ساقيه العاريتين .. وحاجباه معقودان فوق عينيه .. وهم أن يتكلم .. على طرف لسانه سؤال اعرفه جيدا .. ولكنه لم يتكلم ..

ولا أنا ..

ولا أدرى لماذا لا نستطيع أن نواجه الموضوع ببساطة .. ربما لأن كلينا يحترم المخلوق الذى يتكون فى داخلى .. ويخاف عليه .. يخاف عليه من كلمة الحرام ..

واكمل ارتداء ثيابه .. وأنا لا زلت راقدة فى الفراش .. وخطا نحوى وعلى شفتيه ابتسامة لا مبالية يحاول أن يبدد بها أفكاره .. مخاوفه وحيرته ..

وجلس بجانب جسدى على حافة الفراش وقال وهو يمسح بيده على كتفى العارية ، ويبتسم لى ابتسامة كبيرة تهتز بحيرته :

— أنا مضطر انزل قبلك .. اتأخرت على العيادة ..

وكنت أعلم أن فى وقته متسعا لينتظرنى الى أن أرتدى ثيابى ، واذهب قبله .. ولكنى كنت أحس بما يعانيه .. كنت أحس بحيرته ، وقلقه ، وحاجته الى أن يخلو بنفسه .. ليفكر .. وأنا أيضا كنت فى حاجة لأن أخلو بنفسى لأفكر .. فهززت رأسى أوافقه على أن يتركنى قبل أن أتركه ..

وعاد يقول فى حنان مهتز .. كأنه حنان مفتعل :

— مين الدكتور اللى شافك ؟

قلت وأنا أبتسم فى خفر ، كأنى أحسست ساعتها أن ليس من حق طبيب غيره أن يرانى :

— الدكتور صادق فوده ..

قال :

— مدهش .. ده أستاذ كبير ..

ثم انحنى وقبلنى قبلة سريعة على خدى .. ورفع رأسه .. وظل برهة ينظر الى بعينين مشفقتين كأنه يواسينى فى

مشكلتى .. ثم عاد الى براسه وقبلنى فوق شفتى .. قبلة طويلة هادئة ..

وقام من جانبى قائلا :

— خدى بالك من نفسك .. وكلمينى بالليل فى التليفون .. بعد العيادة .. حاستناكى ..

وابتسمت له ابتسامة كبيرة اقبل بها أنفه الكبير ..

وخرج ..

وتركنى أفكر .. وتفكيرى يفتح لى أبوابا كبيرة من الأمل .. ويصل بى الى قمم عالية من السعادة .. انه يحبنى .. أنا متأكدة اليوم اكثر من أى يوم مضى من أنه يحبنى .. حب أستطيع أن أضع فوقه كل حياتى .. أن أغامر بكل عمرى .. أن أطلق زوجى ..

وقلت لنفسى .. ربما كانت مشكلتى مع هاشم أنه عرفنى وأنا متزوجة .. لو أنه عرفنى قبل أن أتزوج .. وأحبنى كل هــذا الحب .. فمن يدرى .. ربما كان قد تزوجنى .. كل ما أحتاج اليه اليوم أعرفه وأنا حرة ..

أحمله كل مسؤوليتى ..

أملأ عليه كل حياتى ..

وبعدها .. سيتزوجنى ..

ولكنه لا يريد الزواج .. انه يقول انه لم يقرر أن يتزوج .. ولا يهمك يا بت .. انه كلام يقوله كل الرجال .. انه غرور الرجل الذى تغذى على تهافت البنت عليه بلا مقابل .. بلا زواج .. ولكن فى لحظة ما .. تثور شهامة الرجل .. ويضعف أمام حبه .. ويضيق بالتشرد .. ويتزوج .. وأنا فى انتظار هــذه اللحظة ..

بل يجب أن أسعى الى هذه اللحظة ، وأن أضع خطة للوصول اليها .. وانا ذكية .. أستطيع أن أعتمد على ذكائى . وجمالى .. وحبه ..

ولكن ..

اولا ..

كيف أستطيع أن أتخلص من هذا الزوج .. المسكين ..

لا أدرى ..

لا أدرى الا أننى يجب أن احاول .. وأحاول كل شىء ..

وقمت من الفراش ، ودرت فى أنحاء الشقة وأنا بقميصى الداخلى ، وقدماى حافيتان .. وعيناى تقبلان الجدران .. وقطع الاثاث .. وأشعر بقوة غريبة .. قوة تملؤنى ثقة فى نفسى ، وتحررنى من شخصيتى الضعيفة .. أصبحت قادره على كل شىء .. نسيت لحظات الضعف التى تمر بى .. لن أكون أبدا ضعيفة بعد اليوم ..

وابتسمت للجدران وقطع الأثاث .. كأنى أودعها .. اننى لا أستطيع أن أقيم فى هذه الشقة بعد أن أتزوج هاشم .. انها صغيرة .. لا تليق بالدكتور هاشم ، ولا بحرم الدكتور هاشم .. ثم من أدرانى بالنساء اللاتى جئن قبلى الى هذه الشقة .. بل ربما لا يزال هناك نساء يجئن الى اليوم وأنا هناك مرمية فى السويس .. ولسعنى صاروخ من الغيرة .. ولكنى ابتسمت لنفسى أطمئنها .. ابتسامة قوية أتوعد بها كل النساء اللاتى يلاحقن هاشم .. وجرى خيالى يبحث عن شقة أخرى واسعة .. مطلة على النيل .. فى عمارة ليبتون .. وأطقم أوبيسون .. وسرير « كابتونيه » .. والجدران فى لون الورد ..

وبدات أرتدى ثيابى ، وأنا طائرة على أجنحة خيالى ..

وعدت الى البيت ..

هائمة ..

وزوج أمى فرح بى ..

بالجنين ..

وأمى تعود وتوصينى بأن استريح فى السرير رحمة بالجنين ..

وأخوتى الصغار يلعبون حولى وأراهم كالخيال ..

وأفكر فى هاشم ..

وفى الساعة التاسعة كلمته فى التليفون .. وسمعت صوته يقول مبتسما :

ـ تانى مره ما تشغليش مخى للدرجه دى .. النهارده ما عرفتش أشتغل خالص .. العيان اللى كنت باكشف عليه نص ساعه .. خد منى ساعه ..

الى هذه الدرجة يحبنى ..

أصبحت مشكلتى مشكلته ..

وقلت فى دلال :

ـ انا شغلتك بأيه يا هاشم ..

وقال وأنا أرى ابتسامته فى خيالى :

ـ مش عارف .. أما نتقابل ابقى اقولك ..

وتحدثنا طويلا ..

لأول مرة يطول حديثنا الى هذا الحد ، ولا يتلهف للذهاب الى أصدقائه بعد انتهاء عيادته ، كما عودنى ..

شىء جديد ..

كل هذا الحب .. وكل هذا الاهتمام ..

ربما اعتقد أن الجنين له ..

وابتسمت فى سعادة .. وخبث ..

وانتهى حديثنا على لقاء فى الغد ..

وزوج أمى يشخط فى أولاده ..

وأمى تصلى صلاة العشاء ..

ورفعت رأسى فى ابتهال ..

يارب .. الطلاق ..

— ٥ —

عندما تريد المرأة ، تستطيع دائما أن تفعل ما تريد .. لا شىء يستطيع أن يصدها .. لا شىء يستطيع أن يقهرها .. الا الزمن .

وقد فعلت فى حياتى كل ما أردته .. لم يستطع أحد أن يقف فى طريقى .. ذبحت كل من حاول أن يصدنى أو يعدل رأسى .. وكل الذين ذبحتهم ناس احبونى .. اعطونى قلوبهم فشققتها بسكين من شهواتى .. وخضت فوق جراحهم .. الى أن وجدت فى آخر الطريق صخرة هائلة .. مخيفة .. فظيعة .. اسمها الزمن .. يقف فوقها هاشم كالشبح .. لا أستطيع أن أمسك به .. لا استطيع أن أناله .. لا أستطيع أن أذبحه ..

وكل الذين ذبحتهم ،لم أتعمد أن أذبحهم .. لم أتمن ذبحهم .. فقط ذبحتهم لأشق طريقى .. الوحيد الذى تمنيت ذبحه هو هاشم .. تمنيت أن أمزق لحمه قطعا صغيرة ، وأرميها للكلاب .. ولم أستطع .. انه لا يزال واقفا هناك .. كالشبح .. أراه ونا مفتحة العينين ، وأراه وأنا مغمضة العينين ، وأمد يدى لأخنقه ، فأسمع ضحكته الساخرة ..

و .. ولكن ..

لماذا أقول هذا الكلام الآن وانا لا زلت فى بداية قصتى .. ربما لأنى وأنا فى البداية تطل على النهاية .. ربما لأنى أعيش فى النهاية ، بينما البـــداية لم تعد سوى ذكرى .. ذكرى أيام مهما امتلأت بالدموع الا أن فيها حلاوة .. حلاوة شـــبابى .. وحلاوة الأمل .. وحلاوة ثقتى فى نفسى .. وحلاوة نصف الحقيقة التى نراها فى شبابنا .. ثم نكبر .. ونكبر .. وكلما كبرنا كبر ما نراه من الحقيقة ، الى أن نراها كلها .. ونصف الحقيقة أجمل وأروع من الحقيقة كلها .. الحقيقة كالقمر .. نصفه منير رائع ، ونصفه الآخر مظلم مخيف ..

انى أعيش الآن فى النصف المظلم المخيف ..

وكنت أعيش فى النصف المنير وانا افكر فى الطلاق من زوجى .. وكان النور الذى يشع من حولى .. نور الزهو بنفسى ، ونور افتتانى بجمالى وشبابى .. يخفى عنى بشاعة تفكيرى .. يخفى عنى حتى احساسى بالأمومة التى تتحرك فى أحشائى ..

ولم يكن هناك سبب للطلاق الا انى أريده .. لم يكن زواجى يحول دون لقائى بهاشم .. ولم يعدنى هاشم بالزواج حتى أطلق من أجل مستقبل أفضل .. ثم .. فى بطنى جنين .. وزوجى يحبنى ..

ولكنى أريد الطلاق ..

وكان يجب أن أختلق سببا ..

لا لأقنع به نفسى ..

انى لست فى حاجة الى اقناع نفسى .. يكفى اننى لا احب زوجى .. ولكن .. لأقنع به أمى ..

وقد أقمت فى بيت أمى شهرا .. وكل يوم يتصل بى زوجى

فى التليفون ويلح على أن أذهب اليه .. فأرفض محتجة بمرضى ، وخوفى على الجنين .. ويأتى الى القاهرة كل أسبوع ، ولا يكاد يصل حتى يجدنى فى السرير .. مدعية المرض .. ويجلس بجانبى وهو ينظر الى بعينين ملهوفتين ، فأروى له كل ما أعرفه عن تفاصيل فترة الوحم .. وأنا لم أتوحم .. لم أشعر بشىء من كل ما سمعته .. لم تنقلب معدتى ، ولم أشته شيئا آكله .. ولا كانت تضـــايقنى رائحة الدخان .. لا شىء أبدا .. كأننى لست حاملا .. كنت فقط أدعى كل ذلك كلما جاء زوجى الى القاهرة .. الى حد أنى حرمت عليه أن ينام بجانبى ، أو يقبلنى ، بحجة أنى لا أطيق رائحته .. من الوحم .. ويرضخ المسكين لأوامرى ، ويبتسم قائلا :

— ده باين عليه طالع واد متعب .. زى امه !

فأقول لأخفف عنه :

— زى أبوه !

ويمتلىء غرورا ، وينفش صدره كالديك الرومى ، كأنه يرى ابنه ، ويراه شبيها له .. ثم ينصرف لينام فى أحد الفنادق . فلم يكن فى بيت أمى سرير ينام فيه الا سريرى .. وأنا أحرمه من سريرى .. المسكين ..

وقد لاحظت أمى مغالاتى فى التدلل على زوجى . ولاحظت قسوتى فى معاملته .. ولحظت انى أخرج كل يوم تقريبـــا . كلما عاد زوجى الى السويس ، وأبقى فى البيت كلما جاء الى القاهرة .. وبدأت تشك فى الأسباب التى أدعيها لأبقى فى بيتها ..

ولكنها لم تتكلم .. أو أنها تتكلم بعينيها فقط .. تنظر الى بعينين ثاقبتين كأنها تحاول أن تكتشف سرى .. وخفت من عينيها

.. وبدأت أنتقل الى فصل ثان من المسرحية التى امثلها .. بدأت ادعى الوجوم .. والشرود .. وأبقى فى غرفتى دائما .. وحيدة .. وكلما دخلت على أمى وجدتنى ساهمة .. أتنهد .. كأنى على وشك البكاء ..

وتنظر الى وتسكت .. وعيناها تثقبان صدرى تحاولان أن تكتشفا سرى ..

وفى يوم عدت من لقاء هاشم ، ووضعت على وجهى قناع الوجوم والزهق قبل أن أدخل البيت .. واسرعت الى غرفتى . وخلعت ثيابى ، وجلست فى سريرى ورأسى بين يدى .. كأنى أتألم .

وتركتنى أمى فترة طويلة ، ثم جاءت الى وجلست بجانبى . وقالت وكلماتها تخرج من تحت أسنانها كأنها تحاول أن تضغط على نفسها حتى لا تصرخ :

— مالك يا ميتو ..

وقلت وأنا لا أنظر اليها :

— ولا حاجه يا ماما ..

وسكتت برهة ، ثم قالت وصوتها يرتعش :

— تسمحى تقوليلى انتى بتروحى فين كل يوم والتانى ؟ .

قلت :

— ولا حته .. بامشى .. بافضل أمشى من غير ما اعرف انا رايحه فين ..

ثم رفعت عينى اليها واستطردت كأنى أصرخ :

— من زهقى يا ماما .. انتى مش عارفه فى ايه .. عمرك ما سألتى نفسك بنتى بتحس باية .. عمرك ما سألتى نفســـك اذا كنت انا سعيده ولا بائسه .. خلاص .. جوزتينى ورميتينى

.. ما بقتش اهمك .. زى ما اكون كنت بلوه وانزاحت من عليكى ..

وارتسم الجزع على وجه أمى وقالت فى لهفة :

ــ ايه بس اللى حصل يا ميتو ..

قلت وقد بدأت احس بعينى تحرقانى من شدة ضغطى عليهما حتى أبكى :

ــ اللى حصل ، حصل من زمان ، من يوم ما جوزتينى ما تتصوريش أنا متعذبة اد ايه يا ماما .. خلاص مش قادره استحمل . .مش قادره أعيش معاه .. مش طايقاه .. مش طايقاه ولا يوم زياده ..

وشهقت أمى وهى تخبط بيدها على صدرها :

ــ ده كلام حد يقوله يا بنتى ..

وأفلحت فى استدرار دموعى ، ورميت نفسى فوق صدرها ، وقلت وانا انشج :

ــ خلصينى يا ماما .. وحياتى عنـــدك تخلصينى .. زى ما رميتينى انقذينى .

وأزاحتنى أمى من على صدرها ، وقالت وهى تنظـــر فى وجهى :

ــ أنا مش فاهمه حاجه أبدا .. احكيلى .. خلينى افهم .

قلت وانا أبحث عن منديلى لأجفف دموعى :

ــ كان لازم تفهمى من زمان .. جوزتينى واحد اكبر منى بعشرين سنه .. وشكله وحش .. وبلدى .. ودمه تقيل .. وريحة بقه سمك وبطارخ .. و ..

وقاطعتنى أمى قائلة :

ــ هو انا جوزته لك من غير ما تشوفيه .. ما قلتيش الكلام ده من الأول ليه ..

قلت فى حدة :

ــ كنت صغيره .. وكنت باسمع كلامك .. يعنى الحـــق على اللى سمعت كلامك .. ؟

قالت :

ــ بس الراجل ما يتعيبش بشكله .. وما كناش شمينا ريحة بقه ..

قلت صارخة :

ــ مش بس شـــكله .. ده راجـــل نتن .. يقـــرف .. ما بيستحماش الا مره كل شهر .. وما بنعرفش نتكلم انا وهو كلمتين على بعض .. وامه .. عمرك ما سألتينى حماتى عامله معايا ايه .. تصورى يا ماما انها قافله على كل حاجة فى البيت بالمفتاح .. لو حبيت اطلع حتة جبنه من الفريجدير لازم استأذنها .. ما اطلبش حاجه من السفرجى الا لما يروح يقول لهـــا .. بتعاملنى زى ما اكون كلبه فى البيت ، بتوكلها وتلبسها علشـــان يلعب بيها ابنها .. و ..

وعادت أمى تقاطعنى :

ــ بكره الفيلا تخلص ، وتقعدى فيها لوحدك .. وتستريحى من خلقة حماتك .

وعدت اصرخ وأنا أضرب وسائد السرير بقبضة يدى :

ــ وايه عرفنى أنها مش حاتيجى تقعد معايا ..

وقالت أمى فى لهجة حازمة :

ــ ما تقدرش .. فى الحالة دى انا اللى حاتكلم ..

قلت وقد عادت دموعى تنهمر :

— حتى لو قعدت لوحدى . .مش حاقدر .. انتى ما تتصوريش يا ماما انا عايشه فى السويس ازاى .. عايشه مسجونة فى اوده واحده .. ما بقدرش أخرج من أودتى لغاية الصاله .. باحس انى تهت .. باحس انى غريبه .. وكل اهل السويس بيكرهونى .. وانا باكرههم .. من أول ما رحت هناك وانا بافكر فى الطلاق ..

واتسعت عينا أمى كأنها ذعرت ، وقالت فى صوت منفعل :

— ما تجيبيش الكلمه دى على لسانك .. وما تنسيش انك حامل .. بدل ما تفكرى فى الطلاق ، فكرى فى البنت ولا الولد اللى حاتجيبيه .. واستحملى علشان خاطره ..

ونظرت اليها بكل عينى وقلت كأنى اتحداها :

— واشمعنى انتى ما استحملتيش علشان خاطرى .. اشمعنى انتى اتطلقتى من بابا .

ولم تستطع أمى أن تواجه عينى .. نكست عينيها ، وقالت فى صوت حزين متهدج :

— انا استحملت كتير علشان خاطرك يا بنتى .. استحملت تلات سنين .. وكنت مستعدة أستحمل اكتر ..

قلت ببجاحة :

— وعايزانى استحمل انا كمان تلات سنين وبعدين اطلق .. طيب ما اطلق من دلوقتى احسن .. والحق أتجوز جوازه عدله ..

وقالت فى صوت خفيض :

— ابوكى ما كانش زى عبد السلام ..

وارتفع صوتى كأنى ادافع عن ابى :

— على الأقل ابويا بنى أدم .. راجل شكله حلو وبيفهم .. انما انتى مجوزانى حيوان ..

وقامت أمى من جانبى ، كأنها لدغت ، وقالت وهى تخرج من غرفتى :

— انتى عصبيه اليومين دول يا ميتو ، بعدين نبقى نتكلم ..

وخرجت وانا انظر خلفها بعينين ملؤهما التصميم ..

لقد أعلنت الحرب ..

ويجب ان أستمر فيها ..

الحرب فى سبيل الطلاق ..

وشعرت بثقل هذه الحرب على صدرى .. وطريق التحدى العنيف والتصميم الأعمى يمتد أمامى .. ورأسى كخلية النحل .. يملؤه الطنين .. كلمات وصور تقفز فى خيالى وأحاول ان أمسك بها لأعد مشهدا بينى وبين زوجى ، أو بينى وبين أمى .. فلا أستطيع ..

وتعبت .. تعبت أعصابى .. وقمت لأحادث هاشم فى التليفون لعله يريحنى .. لعله يسكت هذا الطنين فى رأسى .. انه الوحيد الذى استطيع ان الجأ اليه فى هذه الأيام .. الجأ اليه بكل أفكارى ، وكل أحاسيسى .. وهو الوحيد الذى يجب أن يقف بجانبى فى أزمتى .. انى أفعل كل ذلك من أجله .. ولأنى احبه .. ولكن هاشم كان مشغولا بمرضاه كعادته .. وكان على موعد مع أصدقائه بعد العيادة .. فألقى الى بكلمتين سريعتين ، كأنه يلقى بقطعة عظم الى كلبه المدلل ، وتركنى بعد أن وعدنى بأن يلقانى غدا .

وعدت الى سريرى ذليلة .. مقهورة . .ان هاشم لا يحس بى .. لا يحس بكل هذه الزوابع التى تهب على رأسى .. لا يحس بطريق الشوك الذى أسير فيه حافية القدمين ، لأصل اليه .. انه لا يحس بى الا عندما ينالنى .. فقط عندما ينالنى .. ساعتها

أحس انه لى كله .. أحس انه يشعر بكل قطعة منى ، بكل نفس من أنفاسى .. وبعدها .. يضيع منى .. يضيع بين مرضاه واصدقائه .. ويتركنى وحدى .. كأنه انتهى منى الى الأبد ..

وقضيت الليل أحاول أن اقنع نفسى بأن أعدل عن الطلاق .. على الأقل اترك نفسى لقدرى دون أن أتعمد شيئا .. أترك نفسى لله يدير شئونى .. وكانت تمر بى لحظات يخيل الى انى اقتنعت .. ولكن لا يلبث عنادى وأطماعى أن يغلبانى فأعود أفكر فى الطلاق ، وأرسم طريقى اليه ..

وذهبت الى هاشم فى اليوم التالى .. واستوقفتنى أمى قبل أن أخرج ، وقالت وهى تنظر الى بعينيها الثاقبتين :

— رايحه فين ؟

قلت فى برود وتحد :

— خارجه ..

قالت وهى تخفض من صوتها حتى لا يسمعها زوجها :

— عارفه انك خارجه .. وعايزه اعرف رايحه فين ؟

قلت وأنا افتح الباب :

— مش عارفه .. حاتمشى فى البلد .. ويمكن أفوت على صاحبتى ناهد ..

ثم خرجت .. وتركتها واقفة مبهوتة والالم يطل من عينيها ..

ووصلت الى شقة هاشم فى الساعة الرابعة تماما .. وضغطت على جرس الباب .. ولم يفتح لى أحد .. أنه لم يأت بعد .. ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى أصل فيها قبله .. ربما كانت المرة الثانية أو الثالثة .. وابتسمت ساخرة من نفسى وانا اتذكر الأيام التى كان يأتى فيها قبلى ، وأتعمد أن ادعه ينتظرنى .. لأثيره .. ويضربنى ..

ووقفت بجانب الباب المغلق .. مسكينة .. ذليلة .. وكلما سمعت صوت المصعد ، أو كلما فتح باب من أبواب الشقق المجاورة ، أدرت وجهى الى الحائط ، حتى لا يرانى أحد ويرى ذلى .

وجاء هاشم فى الساعة الرابعة والربع .. وقال فى لهفة صادقة ، وهو يميل على خدى يقبله ، ويخرج سلسلة مفاتيحه من جيب بنطلونه ، ويفتح الباب :

— أنا آسف يا أمينة .. تصورى انى كنت فى العيادة لغاية دلوقت .. ولسه ما تغدتش .. يدوبك خلصت آخر عيان وجيت على طول ..

ولم ارد عليه ..

لا أريد أن الومه .. ولا أريد أن احاسبه .. ولا أريد أن احدثه عن مشاكلى .. كل ما اريده هو أن يمنحنى لحظات استريح فيها من أفكارى ..

ولكن هاشم كان متعبا فعلا .. ألقى بنفسه على الأريكة ، واغمض عينيه المجهدتين كأنه على وشك أن ينام ..

وحاولت أن أجره الى الكلام ..

ولكنه يرد على بكلمات مقتضبة تخرج من بين جفونه المغمضة ..

وتركته ، وقمت أدور فى أنحاء الغرفة .. أحرك المقاعد بلا سبب .. واقلب فى الكتب الطبية ثم القيها باهمال .. وافتح الراديو ثم أغلقه .. وأرفع منفضة السجائر ثم القيها بعنف كأنى أحاول ن أحطمها .. وهو يفتح عينيه وينظر الى ، ثم يعود ويغمضهما .. ثم قال فى صوت منهوك :

— اسكتى يا أمينه .. أنا تعبان .. سيبينى شويه لغاية ما استريح ..

ولم أرد عليه ..

داومت على ازعاجه ..

وصرخ :

— بالقولك تعبان .. اسكتى ..

ورفعت الوسادة الملقاة فوق أحد المقاعد ، وقذفته بهـا ، وأنا أقول مدعية الغضب وبين شـفتى أحلى ابتسـاماتى .. أغريه بهـا ..

— وأنا ذنبى ايه ما شفكش الا وانت تعبان .

والتقط الوسادة .. واحتفظ بها بجانبه .. وقال وهو ينظر الى فى غيظ :

— أمينه .. أرجوكى .. ربع ساعه بس ..

ولكنى لم أرحمه ..

رفعت الوسادة الأخرى وقذفته بها فى وجهه وأنا أقول :

— ولا دقيقه .. اعتبرنى عيانه من بتوعك .. واقعد كلمنى ..

وانفتحت عيناه الى آخر وسعهما ، كأنه يهم بأن يقتلنى ، ثم التقط الوسادة وقذفنى بها .. فى عنف .. بكل قوة ذراعيه . واصطدمت بوجهى فى قسوة ، خيل الى معها أن راسى يكاد يطير من فوق عنقى .. وساح شعرى فوق عينى ، وسمعته يقول فى غيظ :

— انتى ما فيش فى قلبك رحمه ..

وثرت ..

أو على الأصح افتعلت ثورة ..

ورفعت منفضة السجائر فى يدى كأنى أهم بأن أقذفه بها .

فهب من جلسته ، وأسرع ، الى ، وانتزع من يدى منفضة السجائر .. ثم أمسك بشعرى .. بكل أصابعه .. بكل قسوته .. وحاول ان يوقعنى على الأرض ..

وصرخت :

— هاشم .. حاسب بطنى ..

وتوقف برهة .. كأنه يقرر ماذا يفعل بى .. واصابعه كلها لا تزال قابضة على شعرى .. ثم جذبنى من شـعرى الى الغرفة الأخرى ..

وأذاب كل تعبه فى جسدى ..

وقال وهو راقد بجانبى ينظر الى سقف الغرفة ، وقد انتظمت أنفاسه ، ويده ملقاة فى حنان ورفق فوق بطنى المنتفخ :

— تعرفى .. أنا ساعات بيتهيألى انه ابنى ..

والتفت اليه كأنه فاجأنى ..

كانت المرة الأولى التى يطرق فيها هذا الموضوع بصراحة .. لقد مضى شهر أو اكثر منذ ابلغته اننى حامل ، وكلانا يتجنب الحديث عن الجنين .. كلانا لا يريد أن يعـرف ابن من هذا ..

وقلت كأنى صدمت :

— ما تقولش كده يا هاشم .. بعيد الشر ..

وقال كأنه لم يسـمعنى .. ولا يزال ينظر الى السقف كأنه يحـلم :

— تصورى لو كان ابنى .. ده انا اتجنن .. اموت ..

قلت وأنا سعيدة بأحلامه :

— ليه ؟

قال وقد التفت الى لفتة سريعة كأنه دهش من سؤالى ، ثم عاد ينظر الى السقف :

— ليه ازاى .. تصورى انى أبقى عارف انه ابنى ، وأشوفه عايش مع راجل تانى ..

قلت وأنا أبتسم ابتسامة صغيرة كأنى أطمئنه :

— مش حايعيش مع راجل تانى ..

والتفت الى بسرعة ، وقال :

— ازاى ده ؟

قلت فى هدوء :

— علشان حاتطلق ..

واستدار الى بكل جسمه .. ووجهه قريب جدا من وجهى .. وأنفه الكبير يصطدم بأنفى .. وشفتاه تتنفسان فى شفتى .. وقال فى صوت رزين عاقل :

— اسمعى يا أمينه .. اسمعينى كويس .. انتى لازم تنزلى اللى فى بطنك ده .. لازم تسقطى نفسك .. و ..

وقاطعته وأنا أبتعد عنه كأنى لدغت منه ، وقلت فى حدة :

— ما تقولش كده .. مالكش دعوه باللى فى بطنى ..

قال :

— اسمعينى بس يا امينه .. ما تبقبش أنانيه .. و ..

وعدت أقاطعه :

— تبقى دكتور وتقول كده يا هاشم .. لو جت لك واحده ست وقالت لك سقطنى .. تسقطها ..

قال وهو يتنهد كأنه يستعين بالصبر :

— عارف انى دكتور .. وعارف ان الدين يمنع ، والطب يمنع ، والقانون يمنع .. انما فيه حاجه ربنا مش ممكن يرضى بيها ، وهو انك تخلفى فى ظروف زى ظروفك .. تخلفى وانتى مش عارفه ابن مين اللى حاتخلفيه .. وتخلفى وانتى عارفه انك

حا تطلقى ، وحياة ابنك تتشرد .. والطب يسمح بالاجهاض لما تكون الأم مريضة ما تستحملش الحمل ، وانتى ظروفك كلها مريضة ، ما تستحملش الحمل .. حتى القانون .. ما فيش قاضى عادل ممكن يوافق على انك تخلفى .. و ..

وقاطعته فى تحد :

— من فضلك اسكت .. انت خايف من المسؤولية ..

قال وهو يبتسم فى يأس :

— أنا مش خايف من المسؤولية .. ما فيش مسؤولية على .. انما أنا باكلمك بضميرى .. وبعقلى .. واحب أقول لك انك أنانية .. بتفكرى فى نفسك بس .. لو فكرت فى اللى حاتخلفيه .. لو فكرت فيه لحظة واحدة بس كنتى تسمعى كلامى ..

وقلت وأنا أقوم من جانبه وأبدأ فى ارتداء ثيابى بعصبية :

— طبعا بافكر فى نفسى .. افرض انى مت وأنا باسقط نفسى ..

قال فى هدوء :

— مش حاتموتى .. انتى صحتك كويسه .. لو كان حيجرى لك حاجه ، كان أول واحد يخاف عليكى أنا ..

قلت :

— انت ما بتخافش على .. انت بتخاف على نفسك .. على كل حال اطمئن .. ده لا ابنك ، ولا ابن جوزى .. ابنى أنا .. وأنا حره فيه ..

وقال وهو ينظر الى فى زهق :

— انتى مجنونه .. وملحوسه .. وغبيه .. وأنانيه .. ومافيش فايده انك تفهمى .. والحق على أنا اللى خايف عليكى .

وابتدأ يرتدى ثيابه هو الآخر ..

ووقفت أصافحه قبل أن أخرج ..

وحاول كل منا أن يحتفظ بغضبه ..

ولم نستطع ..

ابتسم كل منا للآخر .. وفتح لى ذراعيه ، لأرتمى بينهما .. وأضمه بكل قلبى .. وقلت وأنا أتلقى قبلته على خدى :

ـــ ما تبقاش تقول لى انى غبيه يا هاشم .. الكلمه دى بتزعلنى ..

قال وهو يضغطنى اليه كأنه يعتذر لى :

ـــ أنا كمان غبى .. كل واحد فينا له ناحية ذكاء وناحية غباء .. تعرفى ايه أذكى حاجه فيكى ..

قلت وأنا انظر اليه بعينين ضاحكتين :

ـــ ايه ؟

قال مبتسما :

ـــ بوستك .. شفايفك ..

ثم انحنى بتلقى قبلتى الذكية ..

وخرجت وأنا سعيدة .. وأكثر سعادة من أى يوم آخر بالجنين الذى يتحرك فى أحشائى .. انى أريده ليحتار فيه هاشم .. ليظل طول حياته يتساءل اذا كان ابنه أم لا .. أريده كسلاح أتحداه به .. وأثيره به .. وأقوى به عليه ..

ولكنى عندما عدت الى البيت وجلست مع أمى بعد أن وضعت على وجهى قناع التجهم والشرود ، قلت وأنا أدعى الاصرار :

ـــ ماما .. أنا حاسقط نفسى ..

وخبطت أمى على صدرها من قسوة المفاجأة ، وقالت :

ـــ مين اللى شار عليكى الشوره المهببه دى ..

قلت :

ـــ ما حدش .. انما لازم أسقط نفسى ..

قالت وهى تنظر الى كأنها تنظر الى مجنونة :

ـــ ليه .. ايه اللى جد ..

قلت :

ـــ ما فيش حاجه جدت .. انما ما دام حاطلق يبقى لازم أسقط ..

ونسيت أمى حرصها على الا يصل صوتانا الى سمع زوجها ، وصرخت :

ـــ مش حاتطلقى .. ومش حاتسقطى .. فاهمه .. دلع البنات ده آخرته مش كويسه .. وأنا كلمت عبد السلام فى التليفون ، وزمانه جاى .. أما أشوف أخرتك ايه ..

وجاء زوجى من السويس ..

وعقدنا مؤتمرا .. أنا ، وأمى ، وهو .. وقالت له أمى كل ما شكوته لها .. شكواى من أمه .. ومن أهل السويس .. ولكنها لم تقل له انى لا أحبه، ولا أطيقه .. وعبد السلام يتلقى الشكوى بقلب ملهوف على .. ويدافع عن أمه حينا .. ثم يعد بأن يريحنى من كل ما أشكو منه .. ثم قال وعيناه مخلصتان :

ـــ ما يصحش تزعلى نفسك اليومين دول يا ميتو .. ما تنسيش انك حامل .. ولازم تحاسبى على ابننا ..

وصرخت :

ـــ مش عايزاه .. أنا حاسقط نفسى .. يغور هو وأبوه .

وجحظت عينا عبد السلام كأنه اختنق ..

وقالت أمى وهى تنظر اليه كأنها تستعطفه :

ـــ ما تسمعش كلامها يا عبد السلام .. دى عصبيه .. والحمل تاعبها ..

واطمأن عبد السلام ..

ولكنى داومت على تهديده باجهاض نفسى .. كنت اذا جلست معه أو مع أمى اصررت على الاجهاض .. وكلما ذهبت للقاء هاشم أصررت على ابقاء الجنين .. كأنى أتحدى هذا وذاك .. أو أتدلل على هذا وذاك ..

وقد بقى زوجى فى القاهرة ثلاثة يام .. والكلام لا يكف عنى .. أمى تتكلم .. وعبد السلام يتكلم .. وخالاتى الخمس يتكلمن . .وزوج أمى يتكلم .. وأخيرا اضطررت مجبرة على أن أعود معه الى السويس .. ليكف الكلام عنى .

الوحيد الذى وقف بجانبى هذه الأيام كان أبى .. لم يتكلم .. هز كتفيه عندما استدعته أمى ليشترك فى أحد المؤتمرات التى تتسلى العائلة بعقدها على حسابى .. وقال :

— ما دام مش عايزاه .. خلاص تطلق ..

هكذا بكل بساطة ..

وأسرعت أمى بتوصيله الى الباب .. وزوج أمى يودعه بنظرة احتقار ، كأنه يتهمه بالانحلال ..

وما كدت أصل الى السويس حتى أشعلت فى البيت نارا .. لم أكن أدرى أنى أستطيع أن أكون قاسية الى هذا الحد .. وقحة .. مجرمة .. لم أكن أدرى أنى أحمل فى صدرى كل هذه الطاقة المدمرة .. لقد جننت عبد السلام ..

وجننت أمه .. لم أترك لهما ساعة واحدة يعيشانها فى هدوء .. اقيم ثورة لكل صغيرة .. وأصرخ فى وجهه .. طلقنى .. مش عايزاك .. مش طايقاك .. واحرم عليه فراشى .. وحجرتى .. وأهين أمه أمامه .. وأجبره على أن يسافر بى الى القاهرة فى أوقات عمله .. وأتركه عندما نصل لأقابل هاشم

.. ثم أعود معه تحت ضغط أمى .. والمسكين يعتقد أن كل ذلك بسبب ازمات عصبية تصيبنى نتيجة الحمل .. أمى اقنعته بذلك ..

ووقفت يوما فوق الدولاب ورميت نفسى على الأرض ، أمام عينيه ، لأقتل ابنه .. وصرخ يومها المسكين ثم بكى .. ولكن صراخه لم يفزعنى ، وبكاؤه لم يثر شفقتى .. أثار قرفى .. ولم يسقط الجنين ، ظل فى مكانه ، سليما .. كأنه يتشبث بى ، ويتشبث بالحياة ..

ولم تكن هذه القوة التى أواجه بها زوجى وأمه ، دليلا على انى اكتسبت شخصية جديدة قوية .. ابدا .. لم اشعر بأنه أصبحت له شخصية .. كل ما شعرت به أنى تجردت من كل شىء .. تجردت من الحياء .. تجردت من المنطق .. تجردت من الشفقة .. تجردت من كل المقاييس .. من كل المبادىء .. وكنت وانا اثير فى البيت كل هذه الزوابع المفتعلة ، أشعر بالخوف .. خوف كبير .. خوف من نفسى ، وخوف على نفسى .. وأشعر بدمائى تجرى باردة مثلجة فى عروقى ، كدماء الثعابين .. وأنظر الى مرآتى ، فأرى وجهى أصفر ممتقعا ، كأنى سأموت .. كأنى ميتة .. ولا أستطيع أن أواجه زوجى او أمه وأنا هادئة .. لا أستطيع أن ارفع عينى ، الى عينى احدهما .. انما أبقى بعيدة ، منزوية ، أثير فى نفسى ، وأتلمس أسباب الثورة ، الى أن أثور فعلا ، وأخرج عليهما كالمجنونة ، لأفتعل زوبعة جديدة ..

وزوجى وأمه يتحملان فى صبر ، من أجل الجنين الذى أحمله فى بطنى . وينظران الى فى اشفاق كأنى مجنونة ...

ومرت ثلاثة شهور ..

أصبحت فى السادس ..

بطنى كبير مدلى حتى يصل الى ركبتى ..

وتأخر زوجى يوما فى مكتبه .. وفجأة .. بلا سابق تفكير .. قمت وارتديت ثيابى .. وسألتنى أمه قبل أن أخرج فى صوت يرتعش خوفا منى :

ـــ الى أين ..

وقلت دون ن التفت اليها :

ـــ خارجه ..

وخرجت ..

وركبت سيارة أجرة من سيارات السويس ، وأمرت السائق أن يسافر بى الى القاهرة ، وأنا أحمل فى رأسى تصميما هائلا بأن تكون هذه آخر محاولة أحصل بها على الطلاق ..

ووصلت القاهرة فى الساعة الثامنة مساء .. ونزلت من السيارة فى ميدان الأوبرا .. وأخذت أسير فى الشوارع .. وكنت أحاول أن أضيع الوقت الى أن ينتهى هاشم من عيادته فى الساعة التاسعة .. ولكنى تعبت قبل أن تصل الساعة الى الثامنة والنصف .. البطن الثقيل الذى أحمله أتعبنى .. فاتصلت بهاشم فى التليفون ، وقال فى عجلة بمجرد أن سمع صوتى :

ـــ جيتى امتى ؟

قلت :

ـــ دلوقتى .. ولازم اشوفك حالا ..

قال :

ـــ مش ممكن .. ده أنا لسه قدامى كتير ..

قلت :

ـــ بس أنا فى الشارع . .وتعبانه .. مش لاقيه حته اروحها .. وما اقدرش اروح قبل ما اشوفك ..

قال فى عجلة :

ـــ طيب روحى الشقه وخللى عم محمود البواب يفتح لك .. اذا ما رضيش خليه يكلمنى فى التليفون ..

قلت فى استسلام :

ـــ حاضر ..

وركبت تاكسى الى الزمالك .. ووقفت أمام عم محمود البواب فى استخذاء ، وطلبت منه كأنى استجديه أن يفتح لى شقة الدكتور هاشم .. واذا أراد أن يتأكد ، يستطيع أن يحادث الدكتور بالتليفون ..

ونظر عم محمود الى بطنى المنتفخ ، وقلب شفتيه فى امتعاض ، ثم قام فى تكاسل دون أن يتفوه بكلمة ، وتقدمنى الى المصعد .. وفتح لى بابالشقة ، وتركنى أدخل ، ثم قذفنى بنظرة جارحة .. وأغلق الباب ورائى ..

ودخلت الى حجرة النوم .. والقيت نفسى على السرير .. كنت متعبة .. محطمة .. وحاولت أن أنام .. ولكنى لم أنم .. أذناى معلقتان بصوت أسلاك المصعد الذى ينبعث من شباك المطبخ .. كلما دارت الأسلاك . ظننت أن هاشم سيدخل بعد دقائق ..

ولكن هاشم تأخر كثيرا ..

الساعة العاشرة ، ولم يصل ..

وقمت وصنعت لنفسى فنجان قهوة .. لم اكن أريد أن اشرب القهوة .. انما كنت أريد أن أسلى نفسى بشىء أصنعه .

وجلست فى الصالة الخارجية ، وأمامى فنجان القهوة ..

وجاء هاشم فى الساعة العاشرة والنصف ..

وأسرع الى ملهوفا ،وجلس بجانبى وقال وهو يضع ذراعيه حول كتفى :

ـ ايه .. حصل ايه يا أمينه ؟

وانهمرت دموعى فجأة .. دموع التعب .. والضـــياع .. ووجدت نفسى أسقط من فوق الأريكة ، وأركع تحت قدمى هاشم ، وبطنى مدلى أمامى ، كأن الجنين يركع أيضا تحت قدميه .. ورفعت اليه عينى ودموعى . وقلت فى توسل :

ـ أنا لازم أطلق يا هاشم .. لازم .. لازم .. خلاص ، مش قادره .. ما تسبنيش أرجع السويس تانى .. ما تخليهمش يرجعونى تانى ..

وقال فى صوت حنون وهو يحتضن وجهى بكفيه :

ـ طيب بتعيطى ليه يا أمينه .. كل حاجه ممكنه .. بس ..

قلت أقاطعه وأنا اتشنج :

ـ ما فيش بس .. ما تحاولش تقول حاجه .. مش حا اسمع .. مش حاسمع .

قال وهو يبتسم لى كأنه يشفق على :

ـ خلاص .. اطلقى .. أنا ما كنتش موافق .. انما ما دام حالتك بقت كده .. موافق ..

ثم رفعنى من على الأرض ، وأجلسنى بجانبه ، وأخذ يشرب دموعى بشفتيه فى قبلات سريعة هادئة .. ثم قال :

ـ بس .. حاتطلقى ازاى .. يمكن ما يرضاش يطلقك .

قلت :

ـ لازم يرضى ..

وهز رأسه وسكت ..

ثم قال بعد برهة :

ـ وفكرتى حاتعملى ايه بعدما تطلقى .

ونظرت اليه كأنى اسأله نفس السؤال .. ثم أحنيت رأسى ، وقلت :

ـ مافكرتش .. أما أطلق الأول ، وبعدين أفكر ..

وهز رأسه صامتا ..

لم يقل شيئا ..

لم يعدنى بشىء ..

كأنه ليس سبب كل مصيبتى .. كأنى لا أطلق من اجله .. كأنه لا دخل له فى قصتى ..

واخذت أروى له كل ما حدث لى فى الســـويس .. وهو يستمع صامتا .. ثم قال :

ـ مش تقومى تروحى بأه .. الساعه بقت اتناشر ..

قلت :

ـ لأ .. مش دلوقت ..

قال وهو ينظر الى فى تعجب :

ـ بس انتى اتأخرتى قوى ..

قلت :

ـ ما تخافش .. مش حاقول لك خلينى عندك ..

قال وهو ينظر الى فى شفقة :

ـ أنا مش خايف منك يا أمينه ..

أنا خايف عليكى ..

قلت والدموع تعاودنى :

ـ ما تخافش على .. أنا عارفه باعمل ايه ..

واخذت ابكى ..

واقترب يشرب دموعى .. فى رفق .. وأخذنى بين ذراعيه .. فى هدوء .. ليس ثائرا ولا مجنونا ككل مرة .. كأننـــا نحن الاثنين نلعب الكتشينة فى صمت لنتلهى عن تفكيرنا ..

وأبقيته معى حتى الثالثة صباحا ..

ثم خرجنا ..

ولأول مرة أركب سيارته بجانبه .. بل أول مرة أركب معه المصعد .. نزلت معه ، وركبت بجانبه .. ولم أشعر بحرج والسيارة تشق بنا شوارع القاهرة .. بالعكس ، كنت أطل من نافذة السيارة ، وأتمنى أن يرانى كل الناس .. مزهوة .. متباهية .. بجانب الدكتور هاشم ..

وطلبت منه أن يوصلنى الى بيت خالتى سعدية التى تسكن بجانبنا فى مصر الجديدة .. وكانت تعيش مع بنتيها .. وزوجها مات ..

وسألنى هاشم فى دهشة :

ــ مش حاتروحى عند ماما ؟

قلت :

ــ لا .. كده أحسن ..

قال :

ــ ليه .. ناويه تعملى ايه ؟ ..

قلت :

ــ بعدين حاتعرف ..

ووصلت الى بيت خالتى ..

وتفاصيل الخطة التى وضعتها تملأ رأسى ..

وضغطت الجرس بيد مثلجة ، وكل ما فى داخلى يرتعش

.. ومرت فترة خيل الى أنها سنة .. ثم أضيئت الأنوار داخل البيت .. ثم سمعت صوت خالتى يرتجف من الخوف :

ــ مين ؟

وقلت فى صوت هامس :

ــ أنا أمينه .. ميتو ..

وفتحت خالتى شراعة الباب ، وما كادت تلمحنى حتى فتحت الباب بسرعة .. واحتضنتنى بين ذراعيها ، وهى تقول :

ــ ميتو .. حبيبتى .. دى الدنيا مقلوبه عليكى .. كنتى فين يا بنتى ..

ولم أرد عليها .

القيت نفسى على أول مقعد ، ووضعت رأسى بين يدى ..

وبكيت .. استطعت أن أبكى ..

وأسرعت خالتى نحو التليفون ، وهى تقول فى جزع مخلوط بالفرحة :

ــ استنى يا بنتى لما أطمن مامتك .. حالتها حال .. أصلنا افتكرنا ان بعيد الشر عملت فى نفسك حاجه .

وأدارت قرص التليفون وصرخت فى فرحة خالصة :

ــ ميتو عندى .. اطمئنى ياختى .. سليمه الحمد لله .. حاتيجى دلوقت .. لا .. ما بلاش .. ده احنا فى عز الليل .. ما تعمليش فى نفسك كده يا حبيبتى هى حاتفضل عندى والصبح يحلها حلال .. خدى كلميها علشان تطمئنى ..

ثم أشارت لى خالتى لأقترب من التليفون وهى تضغط على شفتها بأسنانها كأنها توصينى بأمى خيرا .. ثم همست ..

ــ طمنيها يا بنتى .. ما تزعلهاش ..

وأمسكت سماعة التليفون ، وما كادت أمى تسمع صوتى ، حتى صرخت :

— دى عملة تعمليها يا بنتى .. كده برضه تفضحينا فى وسط الناس .. كنتى فين لغاية دلوقت ..

قلت وأنا أنشج :

— كنت ماطرح ما كنت ..

وصرخت فى حدة :

— قوليلى كنتى فين ..

قلت وأنا أتعمد أن أرفع من صوت نشيجى :

— مش حاأقول لكم كنت فين .. الا لما تطلقونى ..

ثم قذفت بسماعة التليفون فى وجه أمى ..

وارتميت على المقعد ، وأنا أبكى ..

وخالتى تربت على ظهرى فى حنان ، وتقول :

— مش كده يا بنتى .. دى برضه أمك ولازم تطمن عليكى ..

— ٦ —

.. نمت ليلتها عند خالتى سعدية .. نمت بجانبها على فراشها .. وقالت لى أن زوجى عبد السلام اتصل بأمى من السويس فى الساعة التاسعة مساء ، وأبلغها خبر اختفائى .. وانتظرت أمى حتى الساعة الحادية عشرة ، وعندما لم أصل الى بيتها ، ولا الى بيت واحدة من خالاتى .. بدأت تجن .. وعادت واتصلت بعبد السلام فى السويس ، ولكنه أبلغها أنى لم أعد بعد .. وبدأ كلاهما ، عبد السلام فى السويس ، وأمى

فى القاهرة .. يتصلان بأقسام البوليس والمستشفيات ،بسلاح الحدود ، لعلى أصبت فى حادث .. ولكنهما لم يصلا الى شىء .. وأمى المسكينة .. وخالاتى الخمس حــولها .. ولا شىء يطمئنها .

وقالت لى خالتى سعدية أنها عادت من عند أمى فى منتصف الليل ، ولولا أن ابنتها مريضة لما تركتها أبدا .. فالمسكينة حالتها يرثى لها .

ولم يرق قلبى لحال أمى .. بالعكس شعرت أن الجزء الأول من خطتى قد نجح ..

وابتسمت لى خالتى ابتسامة كبيرة ترشونى بها ، ثم قالت كأنها صديقتى :

— قوليلى بأه .. كنت فين لغاية دلوقت ؟ ..

قلت وأنا أدير ظهرى لها :

— مش حاقول الا لما تطلقونى ..

قالت وهى تربت على كتفى :

— خللى الطلاق على جنب دلوقت .. وقوليلى كنتى فين .. أنا خالتك الصغيره وأكتر واحده تقدر تفهمك ..

قلت فى اصرار :

— مش حاقول ..

قالت :

— قوليلى ومش حاقول لحد .. ولا حتى لمامتك ..

قلت :

— مش حاقــول . .مش حاقــول الا لــا أطــلق ، واذا ماطلقتونيش حارجع مطرح ما كنت ..

وعادت خالتى تلح ..

وقلت وجفونى تنسدل فوق عينى :

— والنبى سيبينى دلوقت يا طنط .. أنا تعبانه .. حاموت من التعب ..

وكنت فعلا متعبة ..

ما كدت أغمض عينى حتى نمت .. وبطنى المنتفــخ راقد أمامى ، وعين خالتى تلسعنى فى ظهرى ..

وحلمت حلما عجيبا .. حلمت انى أجرى فى طريق مظلم مخيف . .احمل بطنى الثقيل .. وشبح هائل يجرى خلفى .. لم أستطع أن أتبين وجه الشبح تماما .. كنت أحيانا أرى فيــه ملامح زوجى .. وأحيانا أرى فيه ملامح زوج أمى .. وكنت وأنا أجرى أحاول أن أصرخ منادية هاشم .. هاشــم .. هاشم .. ولكن صوتى محبوس .. لا أستطيع أن أصرخ .. أفتح فمى ولا يخرج منى صوت .. وظللت أجرى .. وأجــرى .. وخطواتى ثقيلة .. والرعب يملؤنى ثم لمحت أنوارا كثيرة .. مضيئة فى نهاية الطريق .. كأنها حفلة زفاف .. ورأيت هاشم جالسا على مقعد كبير .. مرتديا حلة سموكنج .. وحوله باقات الورد .. كأنه فى الكوشة .. ونظرت الى المقعد الذى بجانبه .. المخصص للعروسة .. فلم أجد عليه أحدا .. ليس بجانب هاشم عروسة .. وجريت أكثر لأجلس فى مقعد العروسة .. ولكن الشبح لحق بى ، وأمسك بطرف ثوبى .. وأخذ يشــدنى .. يشدنى بقسوة .. وأنا أصرخ .. هاشم .. هاشم .. ولكن هاشم لا يسمعنى .. .ويتلفت حواليه فى انتظار عروســته .. ولا يرانى .. انى أخاف أن تسبقنى اليه عروسة أخرى .. والشبح يشدنى .. والرعب يملؤنى .. لقد أمسك الشــبح بكتفى .. يهزنى ..

وفتحت عينى كأنى أريد أن أتأكد أنى أحلم ، فالتقيت بوجه أمى ، واقفة بجانب الفراش .. متجهمة الوجه .. مرتدية ثوبا أسود كأنها أعلنت الحداد على ..

وكانت تهزنى من كتفى وهى تقول :

ـ ميتو .. ميتو .. قومى .. اصحى ..

ورفعت عينى اليها ، ثم عدت وأغمضتهما قائلة :

ـ سيبينى يا ماما .. أنا تعبانه .. عايزه أنام .

وقالت أمى فى صوت حازم :

ـ هو انتى خلينى حد ينام .. قومى دلوقت ، وابقى ارجعى نامى .. قومى باقول لك ..

وعدت وفتحت عينى ، وقد تخلصت من بقايا حلمى ، ثم اعتدلت جالسة فى الفراش ، وأنا متعبة .. متعبة فعلا وقلت وأنا أدعك عينى بأصبعى :

ـ ده أنا حلمت حلم وحش قوى ..

وقالت أمى فى لهجة باترة :

ـ مش عايزه أسمع أحلامك .. عايزه أسمع حكايتك ..

قلت كأنى أرجوها :

ـ استنى على شويه يا ماما لما افتح عينيه ..

وجلست أمى على حافة الفراش ، وقالت وهى تنظر الى بكل عينيها :

ـ استنينا ..

قلت وأنا أتمطى وأحاول أن أستعيد برودى :

ـ هى الساعة كام دلوقت ..

وأجابت خالتى وهى واقفة بجانب باب الغرفة :

ـ الساعة سبعه ونص يا حبيبتى ..

قلت :

ـ ياه ... ده أنا ما لحقتش أنام ساعتين ..

وقالت أمى وهى تكاد تنفجر :

ـ مش مهم .. اتكلمى ..

وقالت خالتى سعدية :

ـ استنى عليها يا فوزية يا اختى .. البنت عدمانه ومالحقتش تنام .. قومى يا حبيبتى اغسلى وشك بشوية ميه ، وتعالى ..

ثم التفتت الى أمى قائلة :

ـ قومى يا فوزية ياأختى نشرب القهوه فى الصاله ..

وظلت أمى تنظر الى بعينين واسعتين غاضبتين كأنها تصفعنى بعينيها .. وتجاهلت نظرتها ، وقمت على مهل لأدخل الحمام ، وقامت أمى خلفى ، وهى تقول :

ـ أما أشوف أخرتها مع البت دى ايه ..

وتعمدت أن أغيب فى الحمام .. غبت أكثر من نصف ساعة .. وطرقت خالتى على الباب مرتين تتعجلنى .. وأنا أتلكأ أكثر .. ثم خرجت الى أمى ، وقد استعدت كل ذكائى ، وكل برودى .. وجلست على المقعد المواجه لها .. وقد زاد وجهها احتقانا ، وزادت عيناها غضبا ..

وأمرت خالتى بنتيها أن يدخلا الى غرفتهما .. ثم جلست معنا ، قائلة :

ـ اسمعى يا فوزية ياأختى .. أنا مش عايزاكى تزعلى نفسك ، ولا تزعلى ميتو .. كل حاجة ولها حل ..

وقالت أمى وهى لا تزال تصفعنى بعينيها :

ـ اتفضلى اتكلمى يا ست ميتو ..

قلت فى برود :

— عايزانى أقول ايه ؟ ..

وقالت أمى بعد أن رفعت عينيها الى السقف كأنها تستجير بالله منى :

— عايزاكى تقولى لنا حكايتك ..

قلت فى هدوء وأنا أهز كتفى ، وكلتا يدى فوق بطنى المنتفخ :

— ولا حاجة .. عايزه أطلق ..

قالت وهى تشد أنفاسها من صدرها :

— عارفين انك عايزه تطلقى .. اللى عايزه أعرفه .. كنتى فين امبارح لغاية الساعه تلاته الصبح ..

قلت وانا ادير عنها عينى :

— مش حاقول الا لما أطلق ..

وقالت أمى صارخة :

— لأ حاتقولى .. حاتقولى غصب عن عينيك ..

وقالت خالتى بسرعة :

— هدى نفسك يا فوزيه ياأختى .. مش كده أمال ..

وسكتت أمى ، والعذاب يتردد فى صدرها مع أنفاسها ..

ثم قالت وهى تحاول الا تصرخ مرة ثانية :

— والنبى ما كنتيش مكسوفة من نفسك وانتى دايره للصبح وبطنك قدامك .. ده لو ما كانش العيل اللى فى بطنك كان زمانى حطاكى تحت رجليه وباهرسك هرس .. أعمل ايه فيكى بس يا اخواتى ..

قلت فى برود :

— طلقينى ..

وانفجرت أمى مرة ثانية .. وخالتى تهدئها .. والكلام

لا ينتهى .. ساعة .. ساعتان .. ونحن نقول ونعيد نفس الكلام الذى رددناه فى الشهور الأخيرة ، منذ أعلنت طلب الطلاق .. وأنا مصممة دائما على ألا أفشى سرى .. ولا أقول أين كنت ليلة أمس ..

وأخيرا قامت أمى من على مقعدها ، وشدتنى من يدى بقوة ، قائلة :

— تعالى معايا ..

ثم التفتت الى اختها قائلة :

— سيبينا لوحدنا شويه يا سعديه .

ثم دخلت بى الى غرفة النوم ، وأغلقت الباب وراءنا ، وقالت :

— اقعدى يا بنتى ربنا يهديكى ..

وجلست على السرير ..

وجلست بجانبى ملتصقة بى ..

وأحسست ساعتها أنى أريد أن أضع رأسى على كتفها وأستريح من عنادى .. أريد أن أقبلها .. وأقبلها .. ثم أبكى ..

وقالت وهى تربت على فخذى فى حنان :

— اسمعى يا أمينة .. أنا مستعدة أطلقك .. واقدر اطلقك فى أربعه وعشرين ساعه .. بس قبل ما اطلقك لازم اقتنع .. ومش حاقتنع الا لو عرفت كل حاجة .. قوليلى يا أمينة .. انتى بتعرفى حد ..

قلت وأنا أرفع حاجبى مدعية البراءة :

— قصدك ايه يا ماما ؟ ..

قالت وهى تنظر الى وعلى شفتيها ابتسامة مرة :

— تصدى بتحبى حد ..

وأدرت رأسي عنها ، وقلت :

ـــ لا .. ما بحبش حد ..

قالت :

ـــ قوليلي يا بنتي .. ده مش عيب .. كل البنات بيحبوا .. وأنا غلطت معاكي وجوزتك صغيرة ، قبل ما تتفتحي وتشوفي الدنيا .. ولو حبيتي واحد تاني ، يبقى لك حق ..

ونظرت اليها ، أحاول أن أصدقها .. وأنا أشعر بقلبي ينتفض بين ضلوعي .. ثم فجأة أحسست بدموعي تنهمر صامتة على وجنتي قبل أن أستطيع مقاومتها . وأحنيت رأسي صامتة .. كشفتني دموعي ..

وظلت الابتسامة المرة على شفتي أمي وقالت :

ـــ أقدر أعرف اسمه ..

ورفعت اليها عيني المبتلتين بالدموع وقلت في حدة :

ـــ لا .. مش ممكن .. مستحيل ..

ولفت أمي ذراعها حولي ، وضمتني اليها ، قائلة :

ـــ ده أنا مامتك يا أمينه .. اذا ما كنتيش حاتقوليلي .. حاتقولي لمين .. انتي عمرك ما خبيتي عني حاجه ..

وملت برأسي على كتفها .. أريد أن أستريح .. رأسي مصدع ، من قلة النوم وكثرة الكلام .. وقلت :

ـــ مش حاقول يا ماما .. مش حاقول ..

قالت :

ـــ مش بس أعرف مين هو ده اللي حاتهد الدنيا علشانه .

قلت :

ـــ بكره تعرفيه ..

وسكتت برهة ، وقالت وهي لا تزال تحضنني ، ورأسي لا يزال على كتفها :

ـــ ووعدك بالجواز ؟

قلت وأنا أمسح الدموع من فوق خدي :

ـــ يوعدني بالجواز ازاي وأنا متجوزه ..

قالت :

ـــ يعني ما اتفقتوش على انك تطلقي وتتجوزوا ..

قلت وأنا لا ارفع وجهي اليها حتى لا ترى عيني :

ـــ ازاي بس يا ماما .. هي تجاره ..

قالت :

ـــ أمال عايزه تتطلقي ليه ..

قلت :

ـــ علشان باحبه .. وعلشان متأكده اني لو ما كنتش متجوزه ، كان اتجوزني ..

قالت :

ـــ ما يمكن واد صغير من شبان اليومين دول ، يخرب عليكي وبعدين تدوري عليه ما تلقهوش ..

قلت وأنا أرفع رأسي اليها محتجة :

ـــ ده مش واد صغير .. ده راجل عنده خمسه وتلاتين سنه ..

ونظرت الى أمي كأنها تحاول أن تدخل بعينيها في رأسي ، وقالت :

ـــ وده اللي كنتي معاه امبارح لغاية الساعة تلاته ؟ ..

وانتفضت من جانبها .. ابتعدت عنها .. وقلت وأنا افتعل الغضب :

— يا خبر .. ازاى تقولى الكلام ده يا ماما .. ده ما حطش ايده على لغاية دلوقتى ..

— أمال كنتى مع مين ؟

قلت فى حدة :

— ما كنتش مع حد .. ومش حاقول كنت فين ..

قالت :

— بأه بعد ما تقوليلى ده كله .. مش عايزه تقوليلى كنتى فين .. ليه ؟

قلت :

— علشان لو ما اطلقتش ناويه أرجع مطرح ما كنت .. وماحدش يعرف طريقى .. وتبقى فضيحه ..

قالت :

— ومين حايسيبك تعملى كده .. انتى فاكره نفسك سايبه ..

قلت فى تحد :

— ما حدش ساعتها حايقدر يمنعنى .

قالت وهى تتنهد :

— انا أحلف انك كنت مع الراجل اللى بتقولى عليه ده ..

قلت فى بجاحة :

— لو عرفتيه ، حاتعرفى انه مش من الصنف ده .. مش ممكن يقعد مع واحده متجوزه لغاية الساعة تلاته ..

قالت :

— طيب مش تعرفينى بيه ..

وسكت .. لم أتكلم .. وعقلى يدور فى رأسى ..

وعادت تقول :

— يا بنتى هدى سرى ، ربنا يهدى سرك ..

وقلت وقد بدأت أتردد فى تصميمى :

— ما اقدرش يا ماما .. ما اقدرش أبدا .. ده لو عرف انى قلتلك .. ولا حكايتنا اتعرفت ، يبطل يكلمنى ..

وقالت وهى تنظر الى فى توسل :

— يا بنتى ده انا اخاف عليكى أكتر ما تخافى على نفسك .. وأحلف لك بمعزتك عندى .. وانشا الله يا رب أعدمك واعدم ولادى كلهم ، لو نطقت بكلمة .. قولى يا بنتى .. وما تنسيش انى حاساعدك ، وانا الوحيدة اللى حاقف جنبك ..

ولا زلت مترددة ..

صامتة ..

وقالت أمى وهى تزفر أنفاسها وقد ضاقت بصمتى :

— يبقى خلاص .. ماليش دعوه بيكى .. وروحى شوفى مين حايطلقك .. واعملى اللى انتى عايزاه ..

وهمت أن تقوم من جانبى ، فتشبثت بها وأنا أنظر اليها فى استجداء ، وقلت فورا :

— اسمه هاشم ..

ونظرت الى أمى فى تعجب وقالت :

— هاشم مين ؟ ..

قلت وانا أحنى رأسى :

— الدكتور هاشم ..

وخبطت على صدرها كأنها ذعرت وقالت :

— الدكتور هاشم عبد اللطيف ؟

وهززت رأسى بالايجاب ، وعيناى منكستان فى خفر ..

وقالت أمى وهى تطوف بعينيها فوق وجهى :

— بس ده نص ستات البلد بيجروا وراه ..

ورفعت رأسى وقلت فى حدة كأنها لدغتنى :

— وأنا أحسن من نص ستات البلد ..

وقالت أمى :

— وبيقولوا عليه ما بيتجوزش ..

قلت :

— اللى أعرفه انه بيحبنى .. متأكده انه بيحبنى ..

قالت :

— من امتى ؟ ..

قلت :

— من حوالى سنه ..

قالت وقد راقت ابتسامتها .. ابتسامة فيها كثير من الدهشة ، وكثر من الزهو :

— وعرفتيه ازاى ؟ ..

وبسرعة استطعت أن اختلق كذبة كبيرة .. قلت لها انى التقيت به فى النادى .. وعرفتنى به أحدى صديقاتى .. واتصل بى بعدها بالتليفون .. وقد خرجت معه عدة مرات .. فى سيارته .. ويحدثنى دائما فى التليفون .. و ..

لم أقل لها شيئا من الحقيقة ..

ونظرت الى أمى وقد غلب زهوها بى دهشتها منى .. وقالت كأنها تهنئنى :

— أما انتى حتة بنت .. كل ده وما اعرفش ..

ثم سكتت برهة وقالت :

— وهو عارف انك حاتطلقى ..

قلت :

— أيوه ..

قالت :

— وما قالش حايعمل ايه بعد الطلاق ..

قلت كأنى ألومها :

— مش ممكن يا ماما .. ده انسان كويس .. ومش ممكن يطلق واحده علشان يتجوزها .. انما هو فاهم انى حاطلق لأنى ما بحبش جوزى .. ولأن جوزى راجل مش كويس .. انما أنا متأكدة انى لو اطلقت ، حايتجوزنى ..

قالت كأنها تحقق معى :

— اتأكدتى ازاى ؟

قلت :

— هاشم دايما يقول لى أنه لو كان قابلنى قبل ما اتجوز كان اتجوزنى .. ودايما يقول لى انه ما يقدرش يستغنى عنى أبدا .. وأنا عارفه انه مش ممكن يكذب .. ما فيش سبب يخليه يكذب .. وزى ما قلتى ، نص ستات البلد بتجرى وراه .. يعنى مش محتاج انه يقول لى الكلام ده الا اذا كان بيحبنى صحيح ..

وسرحت أمى بعينيها .. وابتسامة كبيرة على شفتيها .. كأنها تحلم .. كأنها تتصور نفسها حماة الدكتور هاشم .. وتتصور نفسها وهى تباهى به كل صديقاتها .. تتصور نفسها فى قصر كبير بنته من طموحها الساذج ، واطماعها الرخيصة ..

وعادت تقول لى فجأة كأنها استيقظت من أحلامها :

— والنبى يا بنتى انا مش مصدقه ده كله .. الدكتور هاشم حته واحده !!

قلت وأنا أبتسم لسذاجتها وأتعالى عليها بذكائى :

— تحبى أكلمه فى التليفون قدامك .

قالت وهى تمصمص شفتيها ، وتركن رأسها على كتفها :

— اتكلمى يا بنتى .. ورينى عمايلك .

وقفزت من جانبها فى نشاط مرح ، كأنى على وشك أن أقوم أمامها باستعراض راقص ، أبرز به مواهبى .. وخرجت الى الصالة ، وعدت حاملة التليفون ، وخالتى سعدية تصيح ورائى :

— اتفقتم على ايه ؟

قلت :

— أدى احنا بنتكلم ..

ثم أغلقت الباب ورائى ، وجلست بجانب أمى ، وأدرت قرص التليفون ، وهى تنظر الى فى ترقب ، والفضول يشد عينيها .. وكانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة والنصف .. وهاشم فى عيادته .. وما كاد يسمع صوتى حتى قال :

— عملتى ايه يا أمينه .. ايه أخبارك ؟ ..

وأذن أمى بجانب أذنى فوق السماعة !

وقلت :

— العيله كلها مقلوبه على .. انما اطمن يا هاشم .. كل حاجه حا تمشى زى ما احنا عايزين ..

وسكت هاشم قليلا كأنه لم يفهم ما أقصده .. ثم قال :

— بس خليكى عاقله .. ما تتجننيش .

قلت :

— اطمن .. أنا عارفه أنا باعمل ايه .. ما تشغلش بالك ، خلى كل عقلك للعيانين بتوعك .. وسيب كل حاجه على ..

وسكت هاشم مرة ثانية .. كأن هناك شيئا يريد أن يفهمه .. ثم قال فى صوت متردد :

— ابقى طمنينى ..

قلت فى رقة :

— حاضر ..

ووضعت سماعة التليفون ، والتفت الى أمى .. وعيناها واسعتان مبهورتان .. وعلى شفتيها ابتسامتها الكبيرة تهنئنى بها على عبقريتى .. ثم قالت كأنها قررت أن تبدأ العمل فورا ،

— المهم دلوقتى نخلص من الراجل عبد السلام ده .. الحقيقه يا بنتى انتى معذورة فيه .. ده راجل ما ينطقش ..

ثم قامت وخرجت من الغرفة ، وأنا وراءها ، وقالت وهى تسير نحو أختها فى خطوات قوية حاسمة :

— ما فيش فايده يا سعديه .. البنت لازم تتطلق ..

وهكذا انقادت أمى لى .. تنازلت عن مبادئها واستسلمت لطموحها وأطماعها .. ولم تكن تدرى عندما انقادت الى انى سأجرها معى الى طريق الوحل .. طريق العذاب ..

ومالت رأس أمى على رأس خالتى ، ووضعنا خطة العمل .. اتفقنا على أن يتصلا بعبد السلام فى السويس ويقولا له انى كنت عند خالتى طول الليل .. وان خالتى لم تكن تدرى لأنها كانت عند أمى .. ثم تطلبان منه أن يأتى حالا الى القاهرة ..

وصدق المسكين الملهوف كل شىء ..

وعدت مع أمى الى بيتها ..

وعادت تسألنى ونحن فى الطريق :

— مش حاتقولى كنتى فين امبارح ؟

قلت وأنا أبتسم :

— لا .. لما اطلق الأول ...

وسكتت أمى ..

والواقع أن من أسباب اصرارى على عدم ذكر المكان الذى كنت فيه ، أن خيالى لم يكن قد أسعفنى حتى اليوم بكذبة معقولة أقولها .. ولم أكن أستطيع أن أقول لأمى الحقيقة ..

ووصلنا البيت ..

ونمت بمجرد وصولى .. نمت نوما هادئا مريحا ، كأنى وصلت الى شاطىء الأمان بعد رحلة طويلة .. وجلست أمى مع زوجها ، وأخذت تحاول اقناعه بأن يوافق على طلاقى من زوجى .. قالت له كل الأسباب التى تبرر الطلاق .. نصفها أسباب اختلقتها ونسجتها من خيالى .. وضعف الرجل الطيب .. ولكنه ظل مترددا .. وظل يبحث عن باب يصون لى زواجى ...

واستيقظت من النوم ، وزوجى عبد السلام فى البيت .. ولكنى رفضت أن أقابله .. ولا حتى أن أراه من بعيد .. وأقنعته أمى بألا يصر على لقائى ، رحمة بالجنين .. حتى لا أثور فيتأثر بثورتى .. وأخذت تقنعه بالطلاق .. وزوجها ينضم اليها حينا ، وينضم الى عبد السلام حينا .. وأمى تأتى الى حجرتى وتجلس معى لتنقل الى ما يدور من حديث .. ثم نتحدث قليلا عن هاشم .. ونضحك .. ثم تضع على وجهها ملامح الجد ، وتخرج الى عبد السلام وتنقل له عن لسانى كلاما ، نصفه لم أقله ..

وبقى عبد السلام فى القاهرة ثلاثة أيام .. يأتى الى البيت فى الصباح .. ثم يخرج ليتناول طعام الغداء فى الخارج .. ثم يعود فى المساء ويبقى الى منتصف الليل ، ثم يذهب لينام فى الفندق . وخالاتى الخمس مقيمات عندنا ، تقريبا ، وقد اقتنعن

بما اقتنعت به أمى ، رغم أن أمى لم تطلعهن على حكايتى مع هاشم .. والكلام لا ينتهى .. والبيت هيصة .. هيصة كبيرة .. كأن فى البيت فرحا .. لا طلاقا ..

وفى اليوم الثالث فوجئت بعبد السلام يفتح باب غرفتى بلا استئذان ، وقد اكتسى وجهه بالغضب .. غضب عنيف .. ودهشت عندما رأيته .. لقد نقص وزنه .. وحدد الغضب ملامح وجهه ، فبدا كأنه أصغر سنا ، وأقوى شخصية .. بل بدا أكثر وسامة .. ونظرت اليه والدهشة تملأ عينى .. كأنى أنظر الى شخص غريب .. ليس زوجى عبد السلام .. بل خيل الى ساعتها أن بنطلونه ليس مهدلا كما كنت أتصور ..

وأفقت من المفاجأة بسرعة ..

واقترب منى والغضب ينطلق من عينيه .. وأمى تجرى وراءه .. والتفت اليها وقال فى صوت قوى لم أسمعه منه من قبل :

— سيبينا لوحدنا من فضلك يا فوزيه هانم ..

وترددت أمى .. نظرت اليه .. ثم نظرت الى .. ثم انسحبت من الغرفة ، وهى تقول :

— ما تنرفزيش نفسك يا بنتى .. برضه لازم تتكلموا مع بعض ..

ثم ابتسمت لى من وراء ظهره ، وخرجت ..

واقترب عبد السلام من السرير الذى أجلس عليه ، والغضب يحيط به .. وأنا أنظر اليه وأتعجب لهذه القوة التى تفوح منه ، والتى لم أشعر بها أبدا .. بل انى أشعر كأنى أخاف .. ولم أكن أبدا أخافه .. وقال بهذا الصوت الثابت الجديد على أذنى :

— انتى عايزه ايه ؟

قلت وأنا أنكمش فى زاوية السرير :

ـــ انت عارف ..

قال :

ـــ عارف انك عايزه تطلقى .. أما لغاية دلوقتى مش عارف ليه ..

قلت وأنا أزداد انكماشا ، وعيناى معلقتان بوجهه الغاضب :

ـــ علشان ما بحبكش ..

قال :

ـــ وكنتى اتجوزتينى ليه ؟

قلت :

ـــ كنت فاكره انى حاقدر أحبك .

قال :

ـــ لسه ما فاتش علينا وقت كفايه علشان تقدرى تعــرفى اذا كنتى تقدرى تحبينى والا لأ ..

قلت وقد بدأت أتحرر قليلا من الخوف .

ـــ ما فيش فايده .. مش حاقدر أحبك ..

وقال وأنفاسه تنطلق كفحيح النار ، وعيناه تزدادان غضبا :

ـــ والعيل اللى فى بطنك ..

قلت :

ـــ مش عايزاه .. عمرى ما كنت عايزاه .. ابقى خده من يوم ما يتولد ..

قال :

ـــ بس أنا ما اتجوزتش علشان اطلق بعد سبع شهور .. واذا كنت حا اخلف منك .. يبقى لازم تقعدى علشان تربى لى الولد ولا البنت اللى حاتجيبيه ..

وصرخت بأعلى صوتى :

ـــ انشا الله يارب ينزل ميت .. انا مش طايقاك .. مش طايقاك .. اسمع يا عبد السلام .. اذا ما كنتش حاتطلقنى أنا حا اخونك .. فاهم يعنى ايه اخونك .. حاروح اعرف واحد تانى ..

وقبل أن أدرى ، رفع عبد السلام كفه وصفعنى صفعة أشعلت النار فى وجهى كله ..

وصرخت :

ـــ ماما .. ماما .. الحقينى يا ماما ..

وقال عبد السلام وهو واقف ثابتا منتصبا أمامى :

ـــ أنا حاطلقك .. مش علشان انتى عايزه الطلاق .. انما لأنك ما تنفعيش زوجة .. ما تنفعيش أم .. انتى ما تربتيش .. ما عندكيش مبادىء .. انتى انسانه منحله .. أنا حا اطلقك لأنى غلطت يوم ما اتجوزتك ..

ودخلت أمى .. وصرخت فيها :

ـــ ضربنى يا ماما .. ضربنى ..

وقالت أمى وهى تخبط على صدرها :

ـــ هى حصلت الضرب يا عبد السلام يا ابنى .. ده أنا بنتى عمرها ما حد ضربها ولا حط ايده عليها ..

وصرخ عبد السلام دون أن يلتفت الى أمى ، وعيناه الغاضبتان تخنقان عنقى :

ـــ روحى انتى طالق .. طالق .. طالق ..

ثم اندفع خارجا من الغرفة .. وعيناى متشبثتان به ، كأنى كنت فى لحظة تمنى أن يعود الى .. أتمنى الا تنتهى حكايتى معه بهذه السرعة .. أن يترك لى فرصة أخرى ..

وصاحت أمى وراءه :

— طيب استنى يا عبد السلام أما نتفاهم ..

ولكنه خرج ..

وسمعت صوت الباب الخارجى يصفق وراءه فى عنف ..

وارتميت على ظهرى أبكى ..

بكيت بحرقة .. بكل أعصابى .. لم أبك فى حياتى قدر ما بكيت هذا اليوم ..

وبطنى منفوخ يهتز مع بكائى ، كأن الجنين يبكى معى .

وفى صدرى بركان من الأحاسيس .. أحاسيس متضاربة .. قاتمة .. حادة .. تنهش فى لحمى وأعصابى .. وآثار صفعة عبد السلام لا تزال تحرق وجهى .. لقد أحسست بصفعته كما لم أحس أبدا بصفعات هاشم الكثيرة .. صفعته مزقت كرامتى .. أذلتنى .. ربما لأنها صفعة غضب .. وصفعات هاشم صفعات حب واشتهاء .. ولكن رغم ذلك أحسست كأن صفعة عبد السلام قد كشفت لى عن حقيقة كنت أجهلها فيه .. اكتشفت أنه رجل .. قوى .. وشعرت بموجة عنيفة من الندم .. الندم لأنه طلقنى .. يا ربى .. لماذا لم يصفعنى من قبل .. لماذا لم يضربنى .. ويضربنى .. الى أن أفيق من جنونى .. لماذا دللنى الى هذا الحد .. لماذا سكت على .. لماذا تركنى لهاشم ..

وتذكرت هاشم ..

كأنى كنت نسيته فى هذه اللحظات ..

والتفت الى أمى وهى واقفة بجانبى تحاول أن تسكت بكائى ، وصرخت فيها بعصبية :

— هاتى التليفون ..

وقالت أمى فى أسى :

— حاتكلمى مين دلوقتى بس ؟

قلت صارخة :

— مالكيش دعوه .. هاتى التليفون .

وخرجت صامتة وعادت بالتليفون .. وأدرت رقم تليفون هاشم ، وصرخت فيه من خلال دموعى :

— عاجبك كده .. أدينى اتطلقت .. اتفضل بأه وتعالى اتجوزنى ..

وسكت برهة ..

برهة طويلة ..

ثم قال فى صوت صارم :

— بعدين نبقى نتكلم ..

ولم أحتمله ..

قذفت بسماعة التليفون فوق الفراش .. وأخذتها أمى وأعادتها الى مكانها فى هدوء .. وقالت لى فى فضول :

— قالك ايه ؟

قلت وأنا أعود وأبكى بكل دموعى :

— ما قالش حاجه .. سيبينى يا ماما .. وحياتى عندك تسيبينى لوحدى ..

وتركتنى أمى ..

وعدت أبكى وحدى فى غرفتى ..

والبيت صامت حزين ..

وخالاتى الخمس قد انصرفن ، كأنهن انتهين من تشييع الجنازة .. جنازتى !

ونمت ..

لا .. لم أنم ..

أغمى على ..

وفى اليوم التالى صحوت وأنا أفكر فى لقاء هاشم .. وأحس وأنا أفكر فيه أنى أصبحت أكثر ضعفا أمامه مما كنت .. كأنى فقدت سندى ..

وقلت فى التليفون .. وصوتى حزين ضعيف :

ـ أقدر اشوفك النهارده ..

قال كأنه لا يدرى بمصيبتى :

ـ مش حاقدر وحياتك يا أمينه .. عندى كونسلتو الساعه اربعه .. ومش حاقدر اعتذر .. اتصلى بى بكره ..

وأحسست بقلبى ينشق ..

هل بدأ يهرب منى ؟

لا أدرى ..

ولا أريد أن أدرى .. لا أريد أن أفكر ..

وقلت فى يأس واستخذاء :

ـ حاضر ..

واليوم يسير حزينا راكدا .. لا يحكمه شىء .. ولا حتى أحاديث أمى الطويلة التى تحاول أن تخفف بها عنى .. أنها هى الأخرى حزينة ، نادمة .. فكيف تخفف عنى الحزن والندم ..

وفى اليوم التالى ، رفض هاشم أن يقابلنى أيضا ، وقال بصوت وضع فيه كل صدقه :

ـ وحياتك .. وحياتك .. مشغول . .انما بكره ، لو النبى نزل لى مش ممكن ما يخلنيش أشوفك ..

وصدقته ..

اضطررت أن أصدقه ..

وقابلنى ..

وقلت لأمى أنى ذاهبة للقائه .. فى السيارة .. وقالت أمى فى جزع :

ـ حاسبى يا ميتو .. انتى دلوقت فى العدة .. وعبد السلام يقدر يعمل فيكى اللى هو عايزه .. كأنه لسه متجوزك ..

وابتسمت ..

أعجبتنى كلمة « العدة » .

لم تكن قد خطرت على بالى من قبل .. وفرحت بها ، كأنى اشتريت ثوبا جديدا أتخايل به .. وقد ظللت الوك كلمة « العدة » بعد ذلك فى كل مناسبة .. كأنى أطرقع بقطعة لادن فى فمى ..

وكان هاشم فى انتظارى ..

حرص على أن يذهب قبلى ، ليرضينى ويظهر لى أنه على اهتمامه بى ..

وجلس بجانبى يستمع منى الى تفاصيل ما مر بى ، ثم اكتسى وجهه بالجد ، وقال وهو ينظر بين يديه :

ـ اسمعى يا أمينة .. أنا عايز أكلمك بصراحة .. و ..

وقاطعته قائلة وأنا أدير وجهى عنه :

ـ عارفه انت حاتقول ايه .. ومش عايزه أسمع ..

والتفت الى وعلى شفتيه ابتسامة ميتة وقال فى تساؤل :

ـ حاتقول ايه ؟

قلت وأنا لا أنظر اليه :

ـ حاتقول ان مش يعنى انى اطلقت .. انك حاتتجوزنى .. انا قلت لك ميت مره انى ما اطلقتش علشان أتجوزك ..

قال :

ـ أنا مش عايز أضحك عليكى .. مش عايز أخدعك .. و ..

قلت :

ــ عارفه .. وأرجوك تسكت ..

ولكن ..

هل فقدت الأمل فى أن اتزوجه .. أبدا .. لقد جرنى هذا الأمل الى آخر الطريق .. ولكنى كنت أيامها أضـــعف من أن أفصح عن أملى وأدافع عنه .. وتبينت أنى كنت أرهب هاشم .. كنت أعتقد أنى أحـــترمه لأنه صريح ، ولا يكذب .. ولكنى فى الحقيقة كنت أرهبه .. أرهبه لوقاحته التى تصل الى حد أنه يستغنى بالوقاحة عن الكذب ..

وبعد خمسة عشر يوما أرسل لى عبد السلام ورقة الطلاق ..

طلقنى بلا شروط ..

حتى مؤخر الصداق ، وكان خمسمائة جنيه ، دفعه بمجرد أن ذكرته به أمى .. كأنه يبيعنى بأى ثمن ..

طلقت ..

وأنا فى التاسعة عشرة من عمرى .. حامل فى الشـــهر السابع ..

والخوف والرهبة يملآن قلبى ..

وأصبحت حرة ..

لا يقيدنى شىء الا هذا الحمل الثقيل الذى حمله فى بطنى .

واحترت فى الشـــهور الأولى ماذا أفعل بحريتى .. كنت التقى بهاشم كل يومين أو ثلاثة .. لقاء ساعة أو ساعتين .. وكنت أقضى الوقت فى حديث لا ينتهى مع أمى عن الطلاق ، وعن زواجى من هاشم ، والأمل الكبير الذى تبنيه على كذبتى عليها .. وكنت أحمل بطنى وأخرج لأتمشى فى شارع البارون ، أنا واخوتى ، استـــعدادا للولادة .. و .. والأيام تمر بطيئة

مملة .. وكنت أعلل هذا الملل بأنى حامل .. أو بأنى فى شهور العدة . ولا أســـتطيع أن انطلق خوفا من أن يكون زوجى ــ السابق ــ يراقبنى ، رغم أنى كنت أعلم أنه لا يراقبنى وأنه لم يأت الى القاهرة منذ طلقنى ..

ولكن ..

انه ليس الملل ..

شىء آخر ..

انه الخوف ..

خوف أحاول أن اتجاهله .. وكلما اقترب يوم الوضع اقترب منى الخوف .. ويقترب الخوف أكثر .. أكثر .. حتى أصبح هلعا .. هلع من أن أتحمل وحدى مسؤولية الطفل الذى سأضعه .. بلا زوج بجانبى .. كنت أحس كأنى سأضع طفلا يتيما .. وبدأت أحس بالحياة الطويلة تمتد أمام هذا الطفل ويعيش فيها وحده .. بلا أب .. أبوه بعيد عنه .. كأنه ميت .. بل ، من يدرى .. ربما لن يعرف أباه ..

وبدأ اطمئنانى الى أنى حملت من عبد السلام ، يهتز .. يهتز بعنف .. انى لست واثقة اليوم من أنه ابن عبد السلام .. وفى صدرى أمنية خبيثة بأن يكون ابنا لهاشم .. ان هاشم ، على الأقل ، بجانبى .. يستطيع أن يحمل معى مسؤولية هذا الطفل ، حتى لو لم يكن زوجى .. ولكن عبد السلام ذهب ..

وصحا ضميرى صحوة مفاجئة ..

انى أتعذب ..

يعصرنى عذاب الضمير .. ويصل بى العذاب الى حد أن أتمنى أن أعود لعبد السلام .. بل انى اتصلت به بالتليفون .. وحاولت أن أكون رقيقة معه .. وحدثته عن قرب يوم الوضع

لعلى أثير حنانه .. ولكنه كان جافا معى .. وأيأسنى من عودتى اليه ..

واستسلمت ..

للخوف ..

للعذاب ..

والجأ الى هاشم .. انه كما هو .. لا شىء يجد عنيه .. ويقودنى فى لحظات الى فراشه ، رغم انه يعلم أنه لم يبق الا أيام ، لأرقد على فراش الوضع .. و ..

وانتقلت الى المستشفى ..

انى ألد ..

وأحشائى تتمزق .. كأن الجنين يحمل سكينا يشق به طريقا لنفسه الى الحياة .. وأصرخ .. وأضغط بكل انفاسى لأطرد هذا الكائن من جسدى .. وأطلق عليه كل قواى .. وأتألم .. يا ربى .. ارحمنى .. وخيل الى أن هذا الألم ليس طبيعيا .. لابد أن الله يعاقبنى .. يصب نقمته على ..

ولكن الالم لم يشل عقلى .. فى أشد لحظات الألم لا يزال عقلى يفكر .. ويتساءل .. ويتلهف على التعرف على الجنين .. والتعرف على أبيه ..

وفتحت عينى ..

وحملته الى الممرضة ..

هذا الشىء الذى عذبنى ..

بنت ..

ونظرت فى وجهها بعينين ملهوفتين ..

ومن النظرة الأولى عرفته ..

انه عبد السلام ..

زوجى ..

هل فرحت ؟ ..

ـ لا ..

اغتظت ..

وعدت أبحث فى وجهها .. كلها عبد السلام .. لونه .. أنفه .. شفتاه .. بل خيل الى انى لو فتحت فمها ، ستأجد فيه سنة عبد السلام الذهبية ..

وعدت أبحث فى أصابع يدها .. فى قدميها ..

لا شىء من هاشم ..

ولا منى ..

وحمدت الله ، دون أن أفرح بحمده ، ورفعت عينى فرأيت أمامى عبد السلام ، وقد جاء ليحضر ولادتى ، وقال لى وهو يحمل طفلته بين ذراعيه .. ولهجته جادة كأنه يهددنى ، رغم ابتسامته :

ـ انتى خلاص بقيتى أم يا ميتو ..

والبنت لازم تتربى كويس .. ومش ممكن تتربى كويس الا لو كانت أمها كويسة ..

وابتسمت له ، كأنى أقول له .. يا سم ..

ولكنه كان لطيفا ..

حمل الى باقة من الورد .. ودفع أجر الطبيب ، ومصاريف المستشفى ..

وأمى وخالاتى الخمس يحطن بى ..

وباقات الورد ..

وكنت متعبة .. عدت ونمت ..

وصحوت فى اليوم التالى ، وشعورى بأنى بلا رجل يقف بجانبى فى هذه المناسبة ، يعذبنى ..

واتصـلت بهاشم فى التليفون ، وقال منطلقا .. لا شىء يقلقه :

— بنت ولا ولد ..

قلت فى يأس :

— بنت ..

قال فى مرح :

— حلوه زى أمها ؟ ..

قلت :

— مش حاتيجى تشوفها ..

وتردد هاشم فى أن يعدنى بزيارته .. ولكنى أقنعته بأن يأتى لزيارتى فى الساعة العاشرة مساء ، وضمنت له الا يكون أحد معى .. وقبل محرجا .. كأنه يجاملنى مجاملة كبيرة ..

وادعيت النوم منذ الساعة الثامنة ..

وذهب الجميع حتى أمى ..

وجاء هاشم فى العاشرة ..

وأثار دخوله فى المستشفى همس المرضـات .. خرجن ليرينه .. وهو يقترب منى متخذا هيئته الجادة التى يقابل بها مرضاه .. وبعد أن خرجت المرضة التى أوصلته حتى غرفتى .. استراح من هيئته الجادة .. وانحنى يقبلنى فوق خدى .. نظر الى ابنتى فى السرير الصغير الموضوع فى جانب من الغرفة .. نظرة واحدة .. كأنها لا تهمه فى شىء .. وقال فى مرح :

— انتى أحلى ..

ثم التفت الى قائلا :

— سمتيها ايه ؟ ..

قلت :

— لسه .. ايه رأيك ؟

قال :

— سميها على اسم مامتك ..

قلت :

— لا .. ذنبها ايه .. ده اسم ماما بلدى ..

كنت أنانية الى حد أن أرفض اطلاق اسم أمى على ابنتى .

وقال هاشم :

— سميها .. هدى .. على اسم بنت أختى ..

قلت :

— حاضر .. خلاص .. هدى ..

وعاد هاشم ونظر الى هدى نظرة أطول من الأولى .. كأنه يبحث فيها عن شىء .. ثم عاد الى بوجه ضاحك .. وقال وهو يجلس على المقعد الموضوع بجانب سريرى ، ويميل على بوجهه حتى تلامس شفتاه شفتى :

— أنا كان لازم أجيب لك هدية .. انما انتى عارفة ان عمرى ما اشتريت حاجه .. ما عندىش وقت أنزل الف على الدكاكين .. ومن هنا ورايح لازم تعودى نفسك انك تشترى لى الهدايا اللى حاقدمها لك ..

ثم أخرج من جيبه خمسين جنيها ،وضعها فى يدى ..

وحاولت أن أرفض ..

ولكن رفضى لم يكن الا ترددا سريعا ..

ونظرت الى أوراق النقد نظرة سريعة وانا أحس كأنها التصقت بيدى .. أحس أنى أضعف من أن ألقيها من يدى ..

وقلت وصوتى محبوس !!

— دول كتير قوى يا هاشم ..

وكانت الخمسين جنيها اكبر مبلغ أضعه فى يدى فعلا ، حتى هذا اليوم .. كان زوجى لا يعطينى فى يدى أكثر من عشرة جنيهات ، كمصروف خاص .

وقال هاشم :

— ما فيش حاجة كتيره عليكى .. كل اللى عندى بتاعك .

قلت :

— بس حاقول ايه لماما ..

قال وهو يضحك :

— خبيهم لغاية ما تشترى بيهم حاجه ..

والتوت أصابعى على النقود ..

والتوت كل حياتى ..

وتحررت بعد أن وضعت ابنتى ..

ندمت على طلاقى ، أصبح يأسا .. واليأس اراحنى ..

وابنتى لم تشغلنى .. تركتها كلها لأمى .. لم اكن أحتاج اليها الا لأتخايل بنفسى كأم ، أمام الضيوف .. أو عندما اضعها فى عربتها الصغيرة وأذهب بها الى نادى مصر الجديدة ، وادفع أمامى العربة وأنا اتلفت حولى فى خيلاء كأنى اتباهى بثوب جديد ، أو تسريحة جديدة لشعرى .. لم أحس بلهفة الأم .. ولا بجزع الأم .. ولا بوقار الأم واحترامها لنفسها .. كل ما كنت أحس به هو انانية الأم .. كنت أحس بأن هدى ابنتى أنا .. ملكى أنا .. ومهما تركتها لأمى ، وحملتها مسؤوليتها فقد كنت أحرص بين حين وآخر على أن أشعرها بأن هدى ابنتى أنا .. وكنت أفتعل معها مشاجرات صغيرة حول أمور تخص ابنتى أنا ..

ربما لأنى كنت لا أزال صغيرة .. أصغر من أن أشعر بمسؤوليتى كأم .. وكانت ابنتى مجرد عروسة ألهو بها .. وربما لأن أيامها كان مستقبلى يشغلنى عن مستقبل هدى .. وحبى لنفسى يشغلنى عن حبها ..

وانطلقت ..

الى أخر ما أستطيعه من انطلاق ..

عدت كأنى فتاة لم تتزوج بعد .. عدت أصغر من سنى .. .. أنتقى ثيابى كثياب الفتيات .. البس البنطلون وأركب دراجة الهو بها فى شوارع مصر الجديدة .. واتخذت صديقاتى كلهن من البنات .. نذهب الى حفلات السينما الصباحية ، ونأكل السندويتش فى محل البامبو بشارع سليمان باشا .. ولم أكن أسمع كلام أمى وهى تذكرنى بأنى مطلقة ، وأن المطلقات لهن وضع خاص فى المجتمع .. كلام فاضى .. ان المطلقة قد تختلف عن الزوجة ، ولكنها لا تختلف عن البنت .. كلتاهما ليس لها زوج .. وما تستطيع المطلقة ان تفعله ، تستطيع البنت أيضا ان تفعله ..

كان الشىء الوحيد الذى يحد انطلاقى هو حبى لهاشم ..

كان هاشم هو الرجل الوحيد ..

وهو الشاغل الوحيد ..

أحادثه فى التليفون اكثر من مرة فى الصباح .. وأكثر من مرة فى المساء .. وأستأذنه قبل ان اخرج .. وأقول له تصبح على خير قبل ان انام .. وأسمع كلامه .. الوحيد الذى أقول له ، حاضر .. حاضر .. حاضر .. وأعيش فى انتظار لقائه .. كل يومين أو ثلاثة .. ساعة أو ساعتين ..

ولكن هاشم لم يتغير ..

ربما التصقت بحياته أكثر .. ولكنه لم يعطنى شيئا أكثر ، كل ما أعطاه أكثر هو نمرة تليفون شقيقته التى يقيم معها وسمح لى أن أحادثه هناك بعد منتصف الليل ، بعد أن يعود من سهرته مع أصدقائه ، لأقول له .. تصبح على خير .. وفرحت بنمرة تليفون شقيقته .. وفرحت بصوتها عندما ترد فى المرات التى لا يرد فيها هاشم .. بل انى أتعمد أن أتصل بها وأنا أعلم أن هاشم ليس فى البيت .. فقط لأستمع صوتها .. أو على الأصح لأقحم نفسى فى بيتها .. وكنت أتعمد أن أقول لها اسمى صريحا .. أمينة .. وأضع فى حديثى معها رقة وخفرا ، أكثر مما أضعه فى حديثى مع هاشم .. ورغم الجفاء الذى كانت ترد به على .. جفاء مغلف بأدب ووقار .. فقد اعتبرت نفسى صديقتها .. بل انى فى مناسبات كثيرة عندما كانت تأتى سيرة هاشم بين صديقاتى أو صديقات أمى ، كنت أدعى كذبا انى صديقة أخته ..

ومع مرور الأيام ، لم يعد يكفينى ما آخذه من هاشم .. أريد أن ألقاه كل يوم ، وأريد أن أتحدث اليه وعنه طول اليوم .. ولكنه دائما مشغول .. انه لا يزال يلقانى كل يومين .. بل انى اكتشفت انه يلقانى فى أيام محددة .. السبت .. والاثنين .. والخميس .. دون أن نتفق على أن يكون لقاؤنا فى أيام محددة .. فاذا حادثته فى تليفون العيادة ، فهو دائما على عجل .. يلقى الى بهذه الكلمات القصيرة السريعة .. فاذا حادثته فى البيت فهو أيضا على عجل ، يريد أن ينام أو يريد أن يخرج .. ثم اكتشفت أنه يكره أن يطيل فى حديث التليفون ، كأن كل من يحادثه فى التليفون مريض من مرضاه يريد أن يعرف حالته بسرعة ، وينتهى ..

ثم انى لم أكن أستطيع أن أتحدث عنه الا مع أمى .. وحديثى

عنه مع أمى ثلاثة أرباعه كذب .. لم أكن أستطيع أن أقول لها أين نلتقى .. ولا ماذا نفعل عندما نلتقى .. ولا ماذا نقول .. كنت أؤلف لها قصصا خيالية عن حب برىء ساذج ، ومستقبل سعيد باسم ..

ثم ..

لم أعد أستطيع أن أحتفظ بسرى فى صدرى .. ولا بينى وبين أمى ..

قررت أن أفشى سرى ..

همست به الى أقرب صديقاتى .. ثم الى صديقة أخرى .. وثالثة .. ورابعة .. ولكن لا يصدقننى .. كأن هاشم شىء كبير ، لا أستطيع أن أصل اليه .. فكنت أحادثه أمامهن فى التليفون .. حتى يصدقننى ..

ولم أكن أدرى عندما سأفشى سرى ، سأكتشف جانبا من حياة هاشم كان غائبا عنى .. سأكتشف انى لست وحدى فى حياته ..

ان كل واحدة من صديقاتى حملت الى قصة من قصصه .. مغامرة من مغامراته .. واحدة تقسم أنه على علاقة بسيدة متزوجة .. وثانية تقسم أنه على علاقة بطالبة فى الجامعة .. وثالثة تقسم أنه يحب فتاة من نادى الجزيرة .. و .. و ..

وكنت لا أصدق ..

ان رجلا مثل هاشم لابد أن تحيط به الاشاعات .. انه اذا صافح فتاة وابتسم لها ، فلابد أن يطلق الناس وراءه حكاية .. ولكن ..

لماذا لا أصدق ؟ ..

أن السهولة التى تعرفت بها اليه ، والبساطة التى اخذنى بها ، توحى بأنه رجل مغامرات ..

وبدأت أغار ..

كأن عشرات الصراصير تزحف داخل قلبى ، وخلية من النحل تطن فى رأسى ..

وكنت أقول لهاشم ما أسمعه عنه ، فكان يضحك ضحكة كبيرة ، ويقول :

— ما تصدقيش .. انتى عايزه واحد زيى عايش لغاية دلوقت من غير جواز والناس ما تتكلمش عليه .. لو كان كلام الناس صحيح كان زمانى مع نص ستات البلد ..

قلت وأنا لا أصدقه :

— طيب ما تتجوز علشان الناس تبطل كلام ..

وسحب ضحكته ، ونظر الى نظرة جادة حزينة ، وقال فى صوت جاف :

— لو كنت عايز أتجوز كنت اتجوزت ..

قلت كأنى أتحداه :

— ومش عايز ليه ؟ ..

ولم يرد على .. قام من جانبى .. والتقط كتابا من كتبه الطبية اخذ يقرأ فيه ، كعادته عندما يكون غاضبا منى .

وفضلت أن أسكت ..

لم أتكلم ..

والغيرة تقرص قلبى ، وتلف براسى ...

وقد تعمدت يومها ، قبل أن أخرج من شقة هاشم ، أن أضع منفضة السجائر فى مكان معين ، حتى اذا عدت مرة ثانية

ووجدت مكانها قد تغير ، عرفت أنه كان فى الشقة .. وما دام كان فى الشقة ، فلابد أنه كان مع امرأة ...

وعدت ..

ووجدت منفضة السجائر قد تغير مكانها .

وقلت له وأنا أضغط على أعصابى حتى لا أنفجر

— انت كنت هنا يا هاشم ؟

ورد بسرعة :

— لا ..

قلت :

— ما جيتش هنا أبدا ، من يوم ما كنا مع بعض ..

قال فى هدوء :

— أبدا ..

قلت فى حدة :

— انت كذاب ..

ورفع حاجبيه فى دهشة ، كأنه يتعجب لجرأتى عليه .. وسكت .. وعدت أصرخ :

— أنا متأكدة انك كنت هنا ..

وقال فى برود :

— اتأكدتى ازاى ؟ ..

قلت :

— مش حاقول لك .. انما أنا متأكدة ..

قال :

— ما دام مش حاتقولى اتأكدتى ازاى يبقى ما تسألنيش ..

قلت فى تحد :

ـــ طقطوقة السجاير أنا حاطاها بايدى هنا .. تسمح تقول لى ايه اللى نقلها من مكانها .. نطت لوحدها ؟ ! ..

وابتسم ابتسامة كبيرة ، ثم اقترب منى وأخذنى بين ذراعيه ، وقال :

ـــ انتى عبيطه ...

قلت وأنا أنظر اليه والغضب يملأ عينى الواسعتين :

ـــ عبيطه ليه ؟ ..

قال ضاحكا :

ـــ انتى نسيتى ان عم محمود البواب بيطلع ينضف الشقه كل يوم .. وضرورى لقى الطقطوقة مش فى مكانها .. رجعها لمكانها .. ثم أنا قلت لك انى ساعات باجى هنا علشان أستريح .. بس من يوم ما كنا مع بعض ما جيتش ..

قلت :

ـــ وطبعا بتيجى لوحدك ..

قال وهو يلتقط شفتى بشفتيه :

ـــ لا .. ساعات باجى معاكى ..

ولم أصل الى شىء ..

ولم أسترح ..

أصبحت أذهب الى الشقة كأنى كلبة من كلاب الصيد .. اشم الوسائد لعلى أجد فيها رائحة امرأة أخرى .. وأبحث عن أعقاب السجائر لعلى أجد عقبا يحمل آثار شفاه .. وأدخل المطبخ لعلى أجد بقايا كأس أو فنجال قهوة .. ثم بدأت أفتح الأدراج الكثيرة ، التى لم يكن يهمنى أن أفتحها .. وأفتش .. وأفتش .. ويتركنى هاشم افعل كل ذلك دون أن يعترض .. الى أن وجدت أخيرا شيئا ..

وجدت صورة امرأة .. فى مثل سنى ..

تحمل طفلة فى مثل سن ابنتى .. وبحلقت فيها وهابى يقفز الى حلقى ، وقلت فى صوت مرتعش :

ـــ مين دى يا هاشم ؟

وجاء ووقف وراء ظهرى ثم قال بلا مبالاة :

ـــ دى واحده كنت أعرفها قبل ما اعرفك ..

وأخذت أبحلق فى الصورة ..

أنا أجمل منها ..

ألف مرة ..

وابنتى أجمل من ابنتها ...

ألف مرة ...

وعدت أقول لهاشم :

ـــ وما قلتليش عليها ليه ؟

قال وهو يبتعد عنى :

ـــ انتى عارفه انى ما احبش اتكلم عن حد من اللى عرفتهم ..

وبقيت أبحلق فى الصورة ..

وفى هدوء أخرجت من حقيبتى قلم الكحل ، وبدأت أرسم فوق وجه المرأة شنبا ، وذقنا .. ثم لغمطت وجه ابنتها بالسواد .. ثم ألقيت بها فى الدرج ..

ولم أهدأ ..

الغيرة على هاشم تستبد بى .. والقصص التى ترويهـــا البنات عنه لا تنتهى .. وأحيانا عندما أتصل به فى التليفون فلا أجده فى العيادة ، أو فى البيت .. لابد أنه مع امرأة أخرى .

وفى يوم كنت فى شارع سليمان باشـــا اشـــترى بعض ما أحتاج اليه ، ومررت من أمام العيادة .. وفجأة خيل الى أن

هاشـــم الآن مع امرأة .. من يدرى .. ربما لم تكن الغـــيرة وحدها هى التى شـــعرت بها ساعتها .. وانما احسست كأن من حقى أن أفرض عليه أكثر من حقوق أى امرأة أخرى .. وأيضا كنت فى شوق اليه .. فى شوق لأن التقى بأنفه الكبير ولو فى نظرة واحدة ..

ودون أن أفكر صعدت الى العيادة ، واستقبلنى التومرجى المهذب ، وأشار لى بيده الى غرفة انتظار السيدات ، فقلت له بحزم :

— أنا مش عيانه .. أنا قريبة الدكتور .. وعايزه أشوفه دقيقه واحده .. مسأله مهمه .. قول له أمينه ..

وقال التومرجى فى أدب وهو ينظر الى كأنه لا يصدقنى :

— اتفضلى انتظرى لغاية ما اديله خبر ..

قلت بحزم أكثر :

— لا .. خش له دلوقتى .. هو عارف ..

وعاد التومرجى ينظر الى كأنه لا يصدقنى ، ثم دخل الى غرفة هاشم ، وعاد بعد لحظات يقول لى دون أن يفقد أدبه :

— الدكتور بيرجو سيادتك انك تنتظرى لما ييجى دورك ..

وأحسست بدمائى ترتفع الى رأسى ، ونار تلفح وجهى ، وقلت وأنا أبتلع الاهانة :

— معلهش .. حابقى أتصل بيه فى التليفون ..

وخرجت ، وأنا أحس بقطرات العرق تبلل ثيابى .. وأتساءل .. ترى لو كنت زوجته ، هل كان يرفض مقابلتى .. وتجسم فى خيالى ساعتها وضعى بالنسبة لهاشم .. أحسست كأنى شىء يتسلل اليه فى الظلام .. وسأبقى دائما فى الظلام ... أحسست كأنى لا أستطيع أن أصل اليه الا من الباب الخلفى .. وسأبقى

دائما أصل من الباب الخلفى .. وتمردت .. تمردت على هذا الوضع .. وأحسست كأنى أحاول أن أنقذ نفسى .. بل وأنتقم من هاشم الذى يرضى لى بهذا الوضع .. ولكن تمردى لم يستمر سوى لحظات ..

وعدت واتصلت به فى التليفون .. وسمعته يصرخ ، بمجرد أن سمع صوتى ، وقبل أن أتكلم :

— ازاى تسمحى لنفسك تيجى العياده .. انتى اتجننتى ..

وقلت وأنا أحاول أن أرفع صوتى على صوته :

— وازاى ما تقابلنيش ..

قال صارخا :

— انتى عارفه كويس انى مش ممكن أقابلك فى العياده الا لو كنتى عيانه .. ويوم ما حاتعيى لازم تستنى دورك ..

قلت وأنا أتراجع :

— ده أنا كنت عايزاك دقيقه واحده .

قال وهو لا يزال يصرخ :

— ولا نص دقيقه .. لو أمى قامت من قبرها مش ممكن أقابلها فى العياده .. فاهمه .. العياده دى للعيانين بس ..

ثم ألقى سماعة التليفون فى وجهى .

وغضب ..

ولم أكن أستطيع أن أحتمل غضبه .. حاولت .. احتملت يوما كاملا لم أحادثه فى التليفون .. ولكنى لم أحتمل يوما آخر .. ولم أحتمل تصور أن أبقى غاضبة منه ..

واتصلت به فى اليوم التالى ..

ولكنه تدلل ..

مضى أسبوع وهو يتدلل .. لا يزال غاضبا ..

وبكيت له فى التليفون ..

وعاد الى لقائى ..

وعادت الأفواه الصغيرة تشرب .

ولكنى أغار عليه ..

أعصابى تعصرها الغيرة ..

وأحالتنى الغيرة الى امرأة .. نسيت دور الفتاة الذى كنت أعيش فيه عقب أن ولدت هدى .. انى امرأة .. امرأة تغار .. بكل ما فى المرأة الغيور من عنف وجنون ..

واكتشفت أن الوسيلة الوحيدة لأرتاح من غيرتى هى أن أملأ كل وقت هاشم .. الا أترك له دقيقة واحـــدة تستطيع أن تعيش فيها امرأة أخرى .. الا أترك منه نفســـا قادرا على أن يمتع به امرأة أخرى ..

وكنت افعل المستحيل لألتقى بهاشم فى كل وقت يستطيع أن يلقانى فيه ..

ولكنى بدأت أصطدم بزوج أمى ..

أنه يحاسبنى ..

انه يذكرنى فى كل دقيقة بأنى مطلقة ...

وهو يمنعنى من الخروج .. وأحيانا يدخل الى وأنا أتحدث فى التليفون ، ويشخط فى بلهجته العسكرية :

— كفايه بأه .. أنا عايز التليفون ....

وأمى تساعدنى أحيانا .. وفى أغلب الأحيان أحس أنهـــا تسلطه على حتى يحد من حريتى ..

ولكى أتخلص من زوج أمى ، بدأت أكثر من التردد على أبى ..

وكان أبى أيامها قد طلق زوجته الرابعة ، وتزوج الخامسة .. امرأة أصغر منه بحوالى عشرين عاما .. سمراء .. فقيرة ..

كانت تعمل مدرسة فى احدى المدارس الأهلية .. وأمى تقـــول أن أبى لم يتزوجها ، ولكنها كانت تعيش معه منذ عامين ، فى شقته الخاصة .. بعد أن طلق زوجته الرابعة ، جاءت لتعيش معه فى بيته .. بلا زواج ..

ولم أهتم كثيرا بكلام أمى .. ولم أناقش فيه أبى .. ان حياة أبى لم تعد تصلح لأن يناقشها احد .. انه يعيش لمتعته .. يشرب كل يوم زجاجة كونياك ، ويملأ كرشه بطعام دسم ، ويتزوج .. ويتكلم عن الجنس بصراحة ، ويطلق الكلمات الكبيرة ببساطة ومداعباته كلها — حتى لى — مداعبات جنسية جريئة .. و .. ويبيع كل عام خمسة أفدنة من أرضه .. ولا عمل له ..

ورغم ذلك فهو انسان طيب .. ضعيف .. ويحبنى .. أنا ابنته الوحيدة .. يحبنى الى حد أن يحتفظ لى بغرفة فى بيته ، رغم أنى لم أكن أقيم معه ..

حياته مختلفة تماما عن الحياة التى تعيشها أمى مع زوجها .. حياة ليس فيها تقاليد ، ولا روابط ، ولا مبادىء ، ولا كيان ، ولا طابع العائلة .. ولا أحد يستطيع أن ينقذه من هذه الحياة .. أنه فى الخمسين من عمره ، ولا أمل فيه .. ولا أمل فى انقاذ بقية أرضه التى يبيع فيها ..

ولم أكن أتمنى أن أعيش حياة أبى .. كنت أحبه ، وأشفق عليه .. ولكنى لا أتمنى أن أعيش حياته ..

ولكن ..

هاشم دفعنى الى هذه الحياة ..

ربما دون أن يقصد ..

بل وربما لم يكن يعلم شيئا عن حياة أبى .. ولكنى اندفعت الى هذه الحياة من أجله ..

بدأت أتردد على أبى كثيرا ، كحجة اتخلص بها من رقابة زوج أمى .. وأبقى معه ساعة ، أو أتناول معه طعام الغداء ، ثم أخرج الى لقاء هاشم .. دون أن يسألنى أبى الى أين أذهب .. ودون أن تفكر أمى فى أن تطمئن على بالتليفون .. فزوجها يحرم عليها أن تتحدث الى أبى الا فى المناسبات الرسمية .. كيوم زواجى .. ويوم طلاقى ..

ثم بدأت أبيت عند أبى ، بحجة انه مشتاق الى ابنتى هدى .. وكنت احمل ابنتى ونقضى معه ليلة أو ليلتين .. أحاول خلالهما أن اكسب صداقة المرأة التى تعيش معه .. سواء كانت زوجته أو لم تكن .. لم يكن يهمنى أن اعرف اى صنف من النساء هى .. لم أبحث فى أصلها وفصلها .. كان كل ما يهمنى ان أكسبها الى جانبى ، حتى تساعدنى فى حيلى ، وتتستر على جنونى .
ولم أكن يامها أعلم انى كسبت الى جانبى ثعبانا ساما نفث السم فى حياتى كلها .. ثم أصبحت أذهب الى أبى وحدى .. اترك ابنتى عند أمى .. وأذهب لأنام عنده .. ولكنى لم أكن أنام عنده .. كنت مع هاشم ..

وهاشم يأخذ كل هذا ببساطة ..

نقضى معا ليلة مجنونة ..

ثم يعود فى الصباح كما كان .. الدكتور هاشم .. الذى لا يشغل نفسه الا بمرضاه .. وليس فى عقله مكان الا لمرضاه ..

كنت أشعر انى أستولى على حياته ...

وكنت أشعر فى الوقت نفسه ، بأنى أمزق حياتى .. بأنى أجرى فى طريق خطر .. وكنت أحاول أن اقاوم .. بدات أقاوم .. ولكنها كانت مقاومة لحظات ، ثم تذوب ..

كنت قد بدأت أتعود عليه ..

على هاشم ..

على هذا الجنون ..

وهو أيضا بدأ يتعود على ..

وتعودى يزيدنى ضعفا اليه ..

وتعوده يجعله يقبل على .. انه لن يجد فتاة مثلى .. فى سنى .. وفى جمالى .. ومن عائلة .. ومطلقة .. تعطيه كل هذا ..

و ..

وأمى بدأت تيأس من أن أتزوج هاشم .. انها تسألنى كل يوم .. وتلح فى سؤالها .. وأنا أصرخ فيها :

— يا ماما لازم تعرفى ان فيه ظروف تمنعه من انه يتقدم دلوقت ..

وتقول أمى :

— واحنا ذنبنا ايه فى الظروف دى .. الناس بدأت تتكلم .. ولازم نشوف لنا حل ..

وألفت لها قصة .. قلت لها أن هاشم خطبه أبوه قبل أن يموت لابنة عمه ، ولذلك فهو لا يستطيع أن يتزوج الآن .. ولكنه يحاول أن يتخلص من هذه الخطبة .. انه لا يحب ابنة عمه .. ولا يريدها .. و .. و .. ويجب أن ننتظر .

ولكن أمى ضاقت بالانتظار ..

وبدأت تبحث لى عن زوج ..

وانطلقت خالاتى الخمس يبحثن معها ...

وعندما تجتمع أمى وخالاتى للبحث عن عريس .. فلابد أن يجدنه ..

وأنا ساكتة ..

والواقع أن جزءا من عقلى كان ينبهنى الى مستقبلى .. كان يحذرنى من حبى لهاشم .. وكنت أتمنى أن ينتصر هذا الجزء علىّ ، وأن يملى على ارادته ..

وجاء العريس ..

مدحت ..

ضابط شاب .. فى الثلاثين من عمره .. وسيم ، قوى الشخصية ، تفوح منه رائحة الرجولة الطيبة الهادئة .. رآنى من بعيد على شاطىء ميامى .. وجاء يخطبنى ..

كل الذين خطبونى ، رأونى من بعيد .. لا أحد عرفنى من قريب .. وخطبنى ..

أحسست أنى سأحرم من هاشم .. ومن جنونى معه وقلت لأمى :

— مش عايزه أتجوز دلوقتى .. أنا ما بقاليش سنه مطلقه .. ومش عايزه أكرر غلطتى مع عبد السلام .. يعنى يعجبك أتجوز وأنا باحب واحد تانى ..

وقالت أمى وعيناها تلمعان بذكائها :

— انتى مش بتقولى ان الدكتور بيحبك ؟

قلت فى اصرار :

— أيوه ..

قالت وذكاؤها يبتسم :

— خلاص .. لو كان بيحبك صحيح .. يبقى مش حايسيبك تتخطبى لواحد تانى .. حاييجى جرى ويخطبك ..

وابتسمت بينى وبين نفسى .. ابتسامة هزيلة حزينة ..

ان أمى لا تعرف هاشم ..

ورغم ذلك حاولت ..

ذهبت الى هاشم وأبلغته انه تقدم لخطبتى أحد الشبان ..

ونظر الى كأنه يفحصنى ..

ثم أطرق برأسه .. وخط حزين داكن يشق جبينه .. وقال :

— عايزانى أعمل ايه ..

وأحسست ساعتها بأنى أنصب عليه .. أحتال عليه .. وكلى اضطراب كأنى نشالة لا تزال تحت التمرين ترتعش يدها وهى تضعها فى جيب أول زبون .. وقلت كأنى أبرىء نفسى من تهمة النصب :

— أبدا .. عايزاك تسأل عليه ..

ورفع الى عينيه كأنه يتهمنى بالوقاحة ثم قال فى تهكم :

— حاضر .. حاسأل عليه ..

واقتربت منه ، وجلست على ركبتيه وقلت وأنا أقرب شفتى من شفتيه :

— انت زعلت ؟ ..

قال :

— لا .. أبدا ..

وابتعد عن شفتى وقال وهو ينظر اليهما من بعيد :

— شفايفك دول ، بكره واحد تانى حايبوسهم ..

وألقيت رأسى على كتفه ، وقلت والدموع تطفر من عينى :

— انت اللى عايز كده ..

قال :

— أنا مش عايز أتجوز .. انتى اللى عايزه تتجوزى ..

قلت :

— غصب عنى ..

قال وهو يتنهد :

— عارف ..

ولم أسأله لماذا لا يتزوجنى ، ما دام يغضبه أن أتزوج غيره .. كنت أعرف رأيه مقدما .. إنه لا يخدعنى .. لا يعدنى .. يستغنى بوقاحته وغروره عن الخداع والكذب ..

وقد سأل عن مدحت فعلا .. كان له صديق من ضباط الجيش سأله عنه .

وعلم مدحت أن الدكتور هاشم يسأل عنه .. فسأل أهلى .. فأنكر الجميع أنهم يعرفون الدكتور هاشم .. وسأل أكثر حتى التقطت أذناه الكلام الكثير الذى يتردد عنى وعن هاشم ..

وتراجع فى خطبتى ..

ذهب ..

ولا زلت حتى اليوم أحس بالندم والحسرة يشقان صدرى كلما تذكرت مدحت .. كان رجلا .. وكان وسيما .. وكان طيبا . انه خير من أرادنى حتى اليوم .. وأرادنى زوجة ..

وبعد يومين ..

يومين فقط ..

كنت فى طريقى لزيارة أبى .. وخطر لى أن أذهب اليه عن طريق الزمالك .. ثم خطر لى أن أمر من أمام العمارة التى تضم شقة هاشم .. لا أدرى لماذا .. ربما كان هناك احساس فى قلبى يدفعنى الى المرور من أمامها .. وكانت الساعة الرابعة .. نفس الموعد الذى تعودت أن ألتقى فيه بهاشم ..

وأمام باب العمارة ..

وجدت سيارته ..

وارتعشت ..

ماذا يفعل هنا ؟ ..

ومع من ؟ ..

وأوقفت التاكسى .. وترددت .. والنار تلسعنى فى كل مكان منى .. فى عينى .. فى شفتى .. فى قلبى .. نار الشك .. الغيرة ..

وقفزت من التاكسى .. كأنى أهرب من النار ..

وصعدت ..

وضغطت على الجرس بيد ترتعش .. ودمائى كلها هاربة منى .. أحس بقشعريرة تسرى فوق جلدى ..

وفتح هاشم الباب .. بعد مدة .. مدة طويلة ..

مرتديا القميص والبنطلون ..

وقال وهو ينظر الى بوجه مكفهر ، ويسد الباب بقامته :

— ايه اللى جابك ؟ ..

قلت وأنا لا أزال أرتعش .. وصوتى يرتعش :

— اقدر أخش ..

قال وهو لا يزال يسد الباب بقامته :

— مش معقول يا أمينة اللى بتعمليه ده و ..

وقاطعته وأنا أحس بعينيه جاحظتين :

— من فضلك خلينى أخش ..

ورأى هاشم سحب الجنون الأصفر متجمعة فوق وجهى ، وتلفت الى أبواب الشقق المجاورة ، ثم كأنه خاف الفضيحة أزاح نفسه عن الباب وتركنى أدخل ..

وتلفت فى الصالة الخارجية ..

ثم جريت الى غرفة النوم .. كأنى أجرى الى النار ..

ورأيتها ..

كانت واقفة فى ركن الحجرة .. مرتدية ثيابها كلهـــا .. صغيرة ليست أصغر منى .. جميلة .. ليست أجمل منى .. وترتعش من الخوف ..

وصرخت فيها .. وهاشم ورائى :

— تعملى ايه هنا ؟ ..

ولم ترد على .. لا تزال ترتعش .

وقال هاشم فى هدوء :

— ما تزعقيش .. وكلمينى أنا ..

ولكنى عدت أصرخ فى الفتاة وأنا أنشب عينى فى وجهها :

— انتى مش عارفه انه بيحب واحده .. بيحبنى أنا ..

وجذبنى هاشم من ذراعى جذبة قوية ليبعدنى عنها ، قائلا :

— قلتلك ما تزعقيش ..

وانتهزت الفتاة فرصة ابعادى عنها .. وجرت الى الباب .. خرجت ..

والتفت الى هاشم وأنا أصرخ :

— انت مجرم .. انت سافل .. عايز ايه أكتر من كده .. أعمل لك ايه أكتر من كده ..

وسحابة حمراء تملأ عينى .. وأعصابى كلها السـنة من النار ..

وأخذت أطوف فى الحجرة كالمجنونة ، وأنا لا زلت أصرخ :

— انت مجرم .. انت سافل ..

ثم رفعت آنية الزهر ، وحطمتها على الأرض ..

ورفع هاشم كفه وصفعنى صفعة قوية .. أوقعتنى على الأرض .. بجانب الآنية المحطمة ..

وتعلقت بساقيه وهو واقف منتصب فوق جسدى الملقى تحت قدميه ، قلت وأنا أبكى كل دموعى :

— ما تعملش فى تانى كده يا هاشم .. احلف انك مش حاتعمل فى كده تانى .. مش عايزاك تعرف واحده غيرى أبدا .. أبدا ..

وسقط بجانبى على الأرض ، وأخذنى بين ذراعيه وقال كلمته التى يقولها دائما :

— انتى مجنونه ..

وبحثت عن شفتيه ، كأنى أريد أن أطمئن أنهما لا زالتا لى .. والقيت نفسى بينهما .. كل أعصابى .. كل نارى ..

وضعنا فى لحظة جنون ..

وقلت وأنا مسترخية بجانبه ، وأعصابى تتنهد :

— عملت كده ليه يا هاشم ..

قال وهو يدخن سيجارته :

— انتى السبب ..

قلت فى دهشة :

— أنا ! ؟ ..

قال :

— مش معقول أعرف انك بتتخطبى وبعد كده عايزانى أقعد لوحدى .. كنتى عايزانى أعمل ايه .. أقعد أعيط .. ولا أنتحر ..

وصدقته ..

وابتسمت فى راحة ..

وقلت أنا وابتسامتى :

— ومين دى ؟ ..

قال :

— واحدة ..

قلت :

لازم أعرف مين دى ..

قال وهو يدير وجهه الى الحائط :

— واحده مافيش بينى وبينها حاجه ..

قلت :

— واللى مافيش بينك وبينها حاجه ، جايه هنا تعمل ايه ؟

قال وهو يزفر أنفاسه فى ضيق :

— كنت متضايق .. وهى كمان كانت متضايقه ..

ثم التفت الى وقال وهو يبتسم :

— خلاص .. انسى كل حاجه ..

قلت :

— يعنى مش حاتعرف حد تانى أبدا ..

قال :

— أبدا ..

قلت وأنا أبتسم له :

— وأنا كمان مش حاتخطب تانى أبدا ..

وعندما عدت يومها الى البيت بكيت .. بللت الليل كله بدموعى .. لا أدرى لماذا .. ولكنى كنت أحس بأنى ضعيفة .. ضعيفة .. أضعف مما كنت ..

وحافظت على وعدى ..

رفضت كل الخطاب الذين جاءت بهم امى وخالاتى .. كنت فى الأول أتهرب بأعذار ملفقة .. ثم بدأت أتحدى .. لا أريد أن أتزوج ..

واصرارى هذا فضح حبى لهاشم .. عرفته خالاتى الخمس

.. وعرفته كل سيدات العائلة .. وكلهن فوق رأسى يحذرننى .. ويؤكدن لى أن هاشم لن يتزوجنى .. ويعرضون فى كل يوم خطيبا جديدا .. ويذكرننى بابنتى .. ومستقبلها .. وكلام الناس عن أمها ...

وأنا أجن ..

والحياة تضيق بى .. والجميع ضدى .. يخنقون أنفاسى .. ويخنقون حريتى ..

أصبحت أكره كل شىء ، الا لحظات لقائى بهاشم ..

كرهت حتى ابنتى .. لم أعد أطيق بكاءها .. ولا أطيق الاهتمام بها .. وكنت أضربها .. بلا سبب كبير يستحق الضرب .. كانت مظلومة معى ..

واعصابى تالفة ..

ثم ..

خطر لى خاطر مجنون ..

وجريت الى هاشم وقلت له وأنا أحاول أن أفكر فى هدوء .

— اسمع يا هاشم .. أنا حاقول اننا مخطوبين ..

وقال وهو ينظر فى دهشة :

— تقولى لمين ؟ ..

قلت :

— الناس اللى بتجننى .. انتمش عارف بيعملوا فى ايه ، كل ساعة يجيبولى سيرتك .. وكل ساعه عايزين يجوزونى .. لو قلت اننا مخطوبين ، على الأقل حايبطلوا يجيبولى عرسان ..

قال فى برود :

— بس احنا مش مخطوبين ..

قلت :

— عارفه .. عارفه اننا مش مخطوبين .. انما حاقول كده ..

قال كأنه يفحص مريضا :

— بس ده مش حايعمل حاجة .. مش ممكن نقول ان احنا مخطوبين .. واحنا بنقابل بعض فى السر .. وأهلك ما يعرفونيش ، ولا أنا أعرفهم ..

قلت فى اصرار :

— حاقول اننا مخطوبين فى السر ..

قال :

— وتفتكرى الناس حاتصدق ..

قلت :

— ما يهمنيش الناس تصدق ، انما يهمنى انى اقول كده ، علشان ما حدش يكلمنى ..

قال :

— بس أنا مش موافق .. واللى حايسألنى حاقول له اننا مش مخطوبين ولا حاجه .. واكتر من كده .. أنا باقول اننا ما نعرفش بعض خالص ..

قلت :

— قول اللى انت عايزه .. وأنا أقول اللى أنا عايزاه ..

وهز كتفيه بلا مبالاة ، وقال :

— يا ابنه اعقلى .. انتى ما تقدريش تعيشى فى كذبه ..

ولكننى صممت ..

صممت على أن أعيش فى كذبة ..

كذبة كبيرة ..

اعتقدت أنى حللت مشكلتى عندما بدأت أذيع بين صديقاتى انى مخطوبة لهاشم فى السر .. وانه ينتظر أن يفسخ خطبته الى ابنة عمه ليعلن خطبتنا .. وانتشرت هذه الكذبة .. وكبرت .. الى حد انى انا نفسى بدأت أعيش فيها .. وبدأت اواجه الناس بلا خوف .. وبلا خجل .. وأعلن علاقتى بهاشم صراحة .. وأيدت الكذبة بدبلة فضية اشتريتها ووضعتها فى اصبعى .. واترك الناس يعتقد أن الدبلة الفضية هى دبلة من البلاتين .. واترك عاملات الدكاكين فى شارع سليمان باشا وقصر النيل ينظرن الى الدبلة ويقلن وابتسامة حسد كبيرة تملأ شفاههن :

— مبروك .. اتخطبتى ؟ ..

وأرد وأنا أسدل جفونى فوق عينى فى خفر :

— تقريبا ..

ويقلن :

— الدكتور هاشم .. مش كده ؟

وأقول وأنا افتعل الدهشة :

— عرفتم منين ؟ ..

ويقلن :

— دى البلد كلها عارفه ..

وأبتسم .. وأسكت .. وفى قلبى فرحة كبيرة ، كأنى قد خطبت فعلا .

ولم أكن أدرى سر هذه الفرحة الكبيرة .. لم أكن أدرى سر هذا الجنون الذى دفعنى الى اختلاق هذه الكذبة .. دفعنى لأن ابنى من خيالى بيتا من القش أعيش فيه ، لا يلبث أن يحترق بعود ثقاب واحد .. ربما لأنى أيامها كنت أحس بالنقص وأنا أعطى نفسى لرجل لا يتزوجنى ولن يتزوجنى ، فأردت أن أعوض هذا

النقص بكذبة .. وربما لانى كنت ارى فى عيون الناس الذين يعرفون حكايتى مع هاشم ، نظرة تجرحنى ، فأردت أن أملأ عيون هؤلاء الناس بالتراب .. وربما لانى فعلا كنت قد ضقت بمحاولات تزويجى .. والكلمات التى تثير أعصابى .. مش حا نفرح بيكى بأه يا ميتو .. و .. ما تشدى حيلك يا ميتو وتجيبى لنا عريس .. و .. عقبالك يا ميتو .. و .. و .. الكلمات التى تجننى وتشعرنى بنقصى ، فأردت أن أسكتها بهذه الكذبة .

المهم أن هذه الضجة الكبيرة التى أثرتها ، لم يصل منها الى هاشم سوى صدى خافت .. فهاشم لا يعيش فى المجتمع الذى اعيش فيه .. لا يذهب الى النادى .. ولا يتردد على دكاكين سليمان باشا وقصر النيل .. ولا يعيش على شاطىء ميامى فى الصيف . انه يعيش معظم وقته فى عيادته ، لا يرفع رأسه من فوق مريض الا ليحنيها فوق مريض آخر ... ومرضاه يحترمونه الى حد ان واحدا منهم لا يجرؤ أن يثير امامه موضوعا يتعلق بحياته الخاصة .. وأصدقاؤه لا يسألونه لانهم يعرفون انه لن يتزوج .. لا أنا .. ولا غيرى .. وفى المرات القليلة التى وصلت فيها الاشاعة الى أذنيه ، كان يهز كتفيه فى غرور ، ويردد الشعار الذى أطلقه على :

— دى مجنونه .. ومش أول ولا اخر مجنونه ..

ولكن الاشاعة وصلت الى أذنى اخته وجاء يومها الى لقائى ، وهو غاضب محتقن الوجه وقال فى حدة :

— اسمعى يا أمينه .. انتى لازم تبطلى حكاية اننا مخطوبين دى .. كفايه بأه ..

وقلت وانا أتحداه :

— انا ما بقولش حاجه .. الناس هى اللى بتقول .. ما فيش حاجه بتستخبى .. عايزنى أسكت كلام الناس ازاى ؟ .

قال وهو ينظر الى فى زهق :

— انا عارف انك انتى اللى مطلعه الاشاعه دى .. ولازم تكذبيها ..

قلت وانا أصرخ :

— عايزنى أكذب وأقول ايه .. اقول انا ماشيه معاك بس .. على الأقل لما الناس تقول اننا مخطوبين ارحم من لما تقول انى الميترس بتاعتك .. عشيقتك ..

قال وهو يتراجع كأنه أشفق على حالى :

— انا ما يهمنيش الناس يا أمينه .. انت اللى تهمينى .. والكلام ده بيضرك أكتر ما بيضرنى أنا .. أنا على الأقل راجل .. ما يهمنيش .. انما انتى .. انا عايزك تواجهى الحقيقه .. وتواجهى الناس .. ما تضحكيش على نفسك .. ولا على الناس .. علشان تقدرى تعرفى اذا كنتى حاتستحملى والا لا .. علشان تقدرى تعرفى انتى ماشيه فين ورايحه فين ..

قلت :

— واذا ما استحملتش الوضع اللى احنا فيه .. حاتعمل ايه .. حاتتجوزنى ..

قال وهو ينتفض من جانبى :

— لأ .. لو ما استحملتيش .. لازم تسيبينى ..

قلت وانا ابتسم ابتسامة مسكينة :

— لو كنت أقدر اسيبك كنت سبتك من زمان ..

وانهت دموعى نقاشنا ..

وأمى ..

لقد كانت تسمع كلام الناس ..

وتهز رأسها فى أسى .. ولا تعرف كيف ترد عليه .. أحيانا كانت تشاركنى فى كذبتى .. وتقول :

ــ انما لسه ما تقدمش رسمى ..

وأحيانا تقول :

ــ اصل عيلته كلها واقفه فى وشه ..

وأحيانا كانت تثور وتصرخ :

ــ ده كلام فاضى .. ما حصلش .. انتم عايزين توقفوا سوق البنت ولا ايه ؟

ثم كانت تتوسل الى بكل دموعها .. بصراخها .. بابنتى .. بأختى الصغيرة منها ، التى قد يؤثر كلام الناس عنى على مستقبلها .. تتوسل الى أن اقبل الزواج من واحد ممن تأتى بهم الى ، هى وخالاتى الخمس .. وأن اترك هاشم ..

وكان توسلها يفيقنى من الكذبة الكبيرة التى أعيش فيها .. كنت أحس بالغشاوة ترتفع عن عينى لأرى امامى طريقا موحشا مقفرا .. وأقرر فى لحظة أن أنسى هاشم .. ثم أعود فى لحظة اخرى ، وأتساءل .. لماذا لا اتزوج ، وأظل على علاقتى بهاشم .. ولكن .. هذه القرارات كانت لا تبقى فى رأسى سوى لحظات .. ثم تعود الغشاوة على عينى .. وأرى نفسى فى بيت القش الذى بنيته من أوهامى .. من كذبى .. حرة .. منطلقة مع هاشم .. والناس تتحدث عن خطبتى الموهومة اليه .. وأعود وأتحدى أمى ..

ثم ..

تدخل عبد السلام ..

زوجى السابق ، وأبو ابنتى ..

وكان عبد السلام يأتى لزيارتنا كل أسبوع تقريبا ليرى ابنته .. وكان غالبا لا يجدنى فى البيت .. كان يأتى فى الصباح فلا يجدنى .. ويأتى فى المساء فلا يجدنى .. ولم أكن أهرب من عبد السلام .. ولكن كان هذا هو حالى .. لا أطيق أن أبقى فى البيت ، ولا من أجل ابنتى .. وبدأ عبد السلام يعترض .. انه يريد لابنته أما مثالية .. أما محترمة .. أما ترعى البنت وتبقى معها .. وعندما واجهنى باعتراضه ، ثرت فى وجهه قائلة :

ــ انت فاكر نفسك لسه جوزى ولا ايه .. ما لكش دعوى بى .. ما حدش له دعوى بى الا بابا وماما ..

ولكن عبد السلام لم يسكت ..

كان يرشو مربية ابنتى حتى يعلم منها أخبارى .. ونفخ اذنيه على الاشاعات التى تدور حولى والتى لم تكن قد وصلت الى السويس .. وسمع بحكاية الدكتور هاشم .. ثم حاول أن يناقشنى فيما سمعه .. وعدت أثور فى وجهه :

ــ انت مالك ومالى .. ايه البلاوى دى ..

وقال وهو يحاول أن يضبط أعصابه :

ــ ما تنسيش انك أم بنتى .. وحاافضل فى حياتك طول ما البنت عايشه .. والبنت لازم تتربى .. ولازم أمها تبقى انسانه محترمه ... اذا ما عرفتيش تربيها أخدها أربيها أنا ..

وخفت .. أحسست كأنه يمد يده لينتزع قطعة من لحمى .. وصرخت :

ــ ما تقدرش .. ما تقدرش ..

وقال فى ثقة وتحد :

ــ أقدر .. وأنا مش حاكلمك بعد كده .. انما مش حاسكت .. اتفضلى ورينى حاتربيها ازاى ..

وتركنى يومها وأنا ارتعد ..

ولكنه لم يحاول ان يأخذ منى ابنتى .. كل ما فعله أنه قطع عنى النفقة التى كان يدفعها لى ..

كان يدفع لى خمسة عشر جنيها فى الشهر .. وكنت فى حاجة الى هذه النقود .. فأبى لا يدفع لى سوى خمسة جنيهات فى الشهر كمصروف خاص .. ويدفع لى نفقات كسوتى .. ولم يكن مستعدا لأن يدفع أكثر .. ولم أكن استطيع أن اطلب من زوج أمى أن ينفق على ابنتى .. كفاه أنه يتكفل بى ، وبؤوينى من أجل خاطر أمى . ثم انى لم أكن أنفق الخمسة عشر جنيها كلها على ابنتى ، كنت أنفق جزءا كبيرا على نفسى .. على ثيابى .. وزينتى ..

واحترت ..

وخصصت لى أمى خمسة جنيهــات بعد أن انقطعت عنى نفقة ابنتى .. أصبح لى دخل خاص يصل الى عشرة جنيهات ..

ولكنى لم أكتف ..

انى مغتاظة .. الغيظ يفرينى .. احسست كأن عبد السلام يريد أن يذلنى بهذه النقود .. يريد أن يخضعنى لارادته .. ولكن .. لا .. لن اخضع .. لن أذل ..

وقلت لهاشم ..

قلت له وسحب الغيظ تكسو وجهى :

ــ انا حارفع قضيه على أبو بنتى .. تصور انه قطع عنى نفقة البنت ..

وقال فى بساطة :

ــ يا شيخه بلاش بهدلة .. ما فيش واحده كويسه تدخل المحاكم الشرعيه ..

قلت فى حدة :

ــ امال اعمل ايه ؟ ..

قال فى نفس البساطة واللامبالاة :

ــ ولا حاجه .. تلاقيه عايز يضـــايقك .. احسن طريقه انك تقنعيه بانك مش متضايقه ..

قلت ثائرة اتهمه بأنه لا يحس بمشكلتى :

ــ لكن أنا محتاجه للفلوس دى ..

قال وهو يبتسم :

ــ خديهم منى .. انتى نسيتى انى مسئول عنك ..

وكنت اعرف انه سيعرض على هذا العرض .. بل انى لم افاتحه فى الموضوع الا لأتلقى منه هذا العرض ..

ولم اتكلم ..

لم ارفض ..

ولم اقبل ..

وعاد يقول لى فى بساطة كأنه يتفق معى على أن اكون ممرضة فى عيادته :

ــ انا حاديكى خمسه وعشرين جنيه .. خمستاشر للبنت .. وعشره لك .. و ..

رقاطعته :

ــ مش ممكن يا هاشم .. وانت ذنبك ايه ؟

قال :

ــ ده يريحنى اكتر .. أقدر أنظم نفسى بالشكل ده أكتر .. ويريحك انتى كمان .. وبنظم عيشتك ..

قلت :

ــ لا .. مش عايزه ..

قال :

— مش أحسن ما اشوفك متلطمة قدامى فى المحاكم .. ما تنسيش انك بتاعتى .. وأنا مسئول عنك ..

وأدرت عنه عينى ، وبقيت ساكتة ..

ووضع يده تحت ذقنى ، ورفع وجهى اليه وقال وهو يبتسم

— انتى بتاعة مين ؟

قلت فى صوت خفيض :

— بتاعتك ..

وأخذت منه أول مرتب لى .. خمسة وعشرين جنيها ..

ولم تكن هذه أول نقود أخذها من هاشم .. فمنذ ان أعطانى خمسين جنيها كهدية يوم ولدت ابنتى .. وهو يعطينى هدايا كثيرة .. كلها نقود .. ودائما يكرر انه لا وقت عنده ليطوف بالدكاكين وأنى يجب أن أشترى هديته بنفسى .. أعطانى مرة ثلاثين جنيها لاشترى خاتما .. وأعطانى مرة عشرة جنيهات لأشترى ما شاء الله ذهبية .. وأعطانى مرة خمسة جنيهات لأركب تاكسى .. و .. و .. انا ضعيفة أمام النقود .. لا زلت الى اليوم ضعيفة امامها .. لا أستطيع أن اشد يدى عنها .. وكنت أقبل نقود هاشم على انها مرتب .. نفقة .

هل تساءلت نفسى لماذا أقبل هذه النقود .. نظير ماذا .. ماذا أعطيه بدلا منها ؟ ..

ابدا ..

فلم اكن أحس أنى أعطيه شيئا ..

كنت دائما أحس أنى آخذ منه ..

كنت أشعر بحاجتى اليه ، اكثر مما اشعر بحاجته الى .

وقد صور لى وهمى أن هذا المرتب الثابت الذى بدأت

أتقاضاه منه ، قد جعلنى كأنى زوجته .. ما الفرق بينى وبين الزوجات .. لا شىء .. الزوجة ، امرأة تعيش مع رجل وينفق عليها .. وأنا أعيش مع هاشم وينفق على .. ربما لم تكن حياتى كحياة الزوجات .. ولكن المبدأ واحد .. الأساس واحد .. المنطق واحد ..

لم يخطر على بالى أيامها ، أن هذه النقود ستعودنى على حياة لها مطالب خاصة ، لا أستطيع أن احققها الا عن هذا الطريق .. طريق مد يدى الى الرجال .. لم اتصور انى ابيع بهذه النقود كرامتى .. لا .. ليس جسدى .. فجسدى قدمته لهاشم من زمان مجانا .. ولكنها كرامتى .. وعندما استنزف هاشم كرامتى ، لم تعد لى كرامة أمام احد ..

كل هذا لم يخطر لى ..

بالعكس ..

لقد شعرت بقوة .. قوة كبيرة .. قوة استطيع أن استغنى بها عن اهلى كلهم وعن الناس كلهم .. لم أعد ضعيفة .. لم بها عن أهلى كلهم وعن الناس كلهم .. لم أعد ضعيفة .. لم أعد خائفة .. وانطلقت فى تصرفاتى .. اكثر جراة .. واكثر وقاحة ..

وشجعنى على احساسى بالقوة ان هاشم لم يحاول ابدا أن يضع لهذه النقود التى يعطيها لى ، معنى يمس كرامتى ، كان دائما مهذبا .. وكان يشعرنى دائما انى صاحبة حق .. وكان كريما .. انه فى الواقع لا يقيم وزنا للنقود .. انه يكسب كثيرا .. وكل ما أخذه منه لا يحس به .. كأنه لا يتعب ليحصل على هذه النقود ..

وبدأت أنفق على نفسى وعلى ابنتى باسراف ..

ولاحظت أمى ..

وكان يجب أن اقول لها شيئا ..

قلت لها انى أخذ هذه النقود من ابى ..

ونظرت الى أمى كأنها لا تصدقنى ، وقالت وهى تمصمص شفتيها :

— من امتى ابوكى يا ست ميتو ، بيدى لحد فلوس .. ده بقى له سنين ما شفناش منه غير الخمسة جنيه اللى بيدفعهم لك ..

قلت فى براءة :

— ده بابا تغير خالص يا ماما .. مراته الجديده عملت منه انسان جديد .. وبتحبنى خالص .

وعادت أمى تمصمص شفتيها ، وقالت وهى تتنهد :

— ممكن يا بنتى .. يمكن ..

ومنذ أن بدات اخذ مرتبى من هاشم ، اصبحت اخاف عليه اكثر .. اخاف أن يضيع منى ..

لقد أصبح هاشم حبى وحياتى ..

ولو ضاع منى هاشم ، فلن يضيع حبى وحده .. حياتى أيضا ..

وبدأت أفرض نفسى عليه اكثر .. واحاول أن اخذ منه اكثر .. وأغار الى حد الجنون .. كنت اذا لم أجده فى بيته أو عيادته .. فى اى ساعة من ساعات النهار ، انطلق كالمجنونة وأركب تاكسى .. وأذهب الى شقته .. فاذا لم اجده هناك ، اخذت أطوف بالتاكسى فى شوارع القاهرة ابحث عن سيارته .. بل انى أصبحت اتعمد أن أسأله عن حياة أصدقائه .. وأسأله اين تقع شقته كل منهم الخاصة ، لأبحث عنه فيها .. او على الأصح أبحث عن سيارته أمام بابها كلما اختفى عنى ..

وهاشم أيضا تغير منذ قرر لى هذا المرتب .. أصبح أكثر

اهمالا لى .. كأنه اصبح واثقا من حاجتى اليه .. أصبح واثقا انى أعيش فى جيبه .. بين اصابعه .. فبدا أكثر جفاء كلما حادثنى فى التليفون .. بل انه تعود أن يرفع سماعة تليفونه الخصوصى فى العيادة ، حتى لا ازعجه .. وأصبح لا يلقانى الا اذا لم يجد شيئا يفعله .. لم يعد يفضل علىّ مرضاه فحسب .. انه يفضل أصدقاءه .. وكتبه .. وأخته .. وعائلته .. فاذا ما التقينا ، كان دائما على عجل .. يأخذنى بسرعة .. بل اصبح يرفضنى، كلما عرضت عليه أن اقضى الليلة معه ، فى المرات التى ادعى فيها انى انام فى بيت أبى .

وربما لم يهملنى ايامها الى هذا الحد .. فقد كانت لا تزال لنا ليال جميلة .. بل انى سافرت معه الى الاسكندرية عدة مرات ، لنقضى يومى الخميس والجمعة .. واقمنا معا فى غرفة واحدة فى فندق العجمى .. وكان يوقع لنا فى دفتر الفندق .. هاشم محمد عبد اللطيف وحرمه .. يحذف لقب « دكتور » ، ويضيف اسم « محمد » .. وأنا « حرمه » .. وقد كنت احس فعلا فى تلك الأيام بأنى حرمه .. كنت اراه فى البيجاما .. وكنت أراه وهو يدخل الحمام وكنت اراه وهو يحلق ذقنه .. وأنام بين ذراعيه .. انفاسه تلفحنى ، وذراعه الثقيلة فوق ظهرى .. وأصحو فى الليل واقضى لحظات وأنا اتطلع الى وجهه النائم .. وأضحك لعينيه المنتفختين .. انهما اكثر انتفاخا وهو نائم .. واضحك لأنفه الكبير المتربع فوق وجهه كتمثال نهضة مصر .. ثم اوسد راسى على كتفه وانام .. كل عصب فى نائم مستريح شبعان .. وأصحو والفرحة تملأ قلبى .. ونعيش فى قبلات كثيرة ، حلوة ، هادئة .. ثم أقوم لأمثل دور الزوجة .. الزوجة المثالية .. أعد له الحمام .. واغسل له ادوات الحلاقة

.. وأقف بين ذراعيه وهو يرتدى ثيابه .. وأصب له الشاى ونحن نتناول الافطار فى شرفة حجرتنا .. ثم نخرج معا الى الشاطىء .. وأتباهى به أمام الناس .. وأتعمد أن أضع ذراعى فى ذراعه ، لألفت الناس الينا ، كأنى أصرخ فيــهم .. هــذا الرجل ملكى .. ملكى أنا .. وكان الرجل يتضايق كلما وضعت ذراعى فى ذراعه .. كنت احس به وهو يحاول أن يسحب منى ذراعه ، بحركة مهذبة حتى لا يجرحنى .. يفتعل أنه يريد أن يشعل سيجارة .. أو ينحنى ليعبث بالرمل ، فقط ليشد ذراعه من ذراعى ، كأنه يريد أن يقول للناس .. هذه المرأة ليست لى .. التقينا صدفة .. ولكنى كنت أعود واصر على أن اضع ذراعى فى ذراعه ..

كنا نعود الى القاهرة ..

ولا تكاد السيارة تتحرك بنا فى طريق العودة .. حتى يبدأ الحلم الجميل يطير منى .. وأواجه الحقيقة .. أواجه وحدتى فى غرفتى .. وأواجه ضياعى .. وحيرتى .. كانت الايام التى تعقب هذه الرحلات التى يأخذنى اليها هاشم ، أقسى وأمر من بقية الأيام .. أيام يتألم فيها جسدى وهو راقد فى الفــراش وحده بعد أن تعود على الذراع الثقيلة .. ويتألم قلبى وأنا أكتشف انى لست زوجة هاشم .. لست سوى جريمة تزوير فى دفتر أحد فنادق الاسكندرية .. ويتألم فيها خيــالى لأنه يصــطدم بالجدران الفارغة التى تحيط بى .. يتخبط بينها كالعصــفور الصغير ، يحاول أن ينطلق الى هاشم ..

ويعود الخوف يستبد بى ..

الخوف من أن افقد هاشم يوما ..

افقد حبى .. وحياتى .

والخوف هو الذى يصور لى أن هاشم قد تغير .. وانه يهملنى .. وانه لا يقبل على كما عودنى ..

والخوف يدفعنى الى شىء آخر ..

الى النهم ..

لم يعد يكفينى شىء .. أصبح كل شىء يفقد قيمته عنــدى بمجرد أن أطبق عليه يدى .. أصــبحت كالاناء المثقــوب كل ما أضعه فيه يضيع .. أفقده .. أفقد احساسى به ..

حتى النقود ..

لم تعد تكفينى الخمسة والعشرون جنيها التى أخذها من هاشم .. أريد أكثر .. كنت أحس فى كل شهر أنى سأفقد هاشم فى الشهر التالى .. فأحاول أن آخذ كل ما أستطيعه .. وتجرأت عليه .. ولم يكن هاشم يرفض أبدا أن يعطينى .. وظل يعطينى ببساطة ورقة .. ولكنى لم أطلب ببساطة .. كنت أتربص حتى أنتقى اللحظة التى أطلب فيها .. وكنت أكذب عليــه ، وألفق الأسباب .. واكتشفت أن انسب اللحظات التى يمكن أن أطلب فيها .. ونحن فى الفراش .. بعد أن يأخذنى .. وهو مسترخ .. مستريح .. سعيد فى هدوء .. سعيد برجولتــه .. ســعيد بأنوثتى .. وقد اكتشفت فيما بعد .. فى حيــاتى الضائعة .. أن هذه ليست أنسب اللحظات بالنسبة لكل رجل أريد منه شيئا .. لحظة غرور الرجل ، وتباهيه برجولته .

ووصل متوسط ما آخذه من هاشم الى خمســين جنيها فى الشهر ..

خمسة وعشرون جنيها ، مرتب ثابت ..

والباقى تناتيش ..

وأسرفت فى الانفاق على نفسى .. خصوصا على ثيــابى

.. وريتى .. وكان هذا الاسراف يعوضنى عن نقص أحس به ويضعضع من شخصيتى .. نقص أحس به فى عيون صديقاتى .. فى عيون كل الناس الذين يعرفون قصتى مع هاشم .. يعرفون أنى لست زوجته .. فقط عشيقته .. وأحس بألسنتهم تفرقع وراء ظهرى ، كلما مررت بهم .. كنت أريد أن أثير الحسد فى صدور هؤلاء الناس .. يحسدوننى على ثيابى ، وترفى .. ما دمت لا أستطيع أن أثير فيهم الحسد على مصيرى ..

وكنت أسعد فعلا عندما ألمح نظرات الحسد فى عيون صديقاتى وقريباتى ، كلما ظهرت أمامهن بثوب جديد ، أو حلية جديدة .. انهن يتحدثن عن جنونى .. يتحدثن عن الشرف .. عن المبادىء .. ولكن عيونهن تلعق حذائى حسدا ..

نعم ..

لقد أصبحت اكره الناس ..

كل الناس ..

حتى الذين يعتقدون انى مخطوبة لهاشم ..

وكراهيتى للناس تعقدنى اكثر .. وتزيدنى خوفا .. وأحاول أن أهرب من الخوف ، فأندفع أكثر .. أكثر بجاحة .. واكثر وقاحة ..

ولم تسكت أمى وهى ترى اندفاعى ، وترى مظاهر الاسراف التى أعيش فيها .. وشدتنى من يدى الى غرفتى . واغلقت الباب وراءنا .. وجلست على السرير ، مكانها المفضل كلما أرادت أن تحل مشكلة من مشاكلها .. وأجلستنى بجانبها . وقالت فى حزم :

— بيتو .. أنا مش حاقدر أسكت عليكى اكتر من كده ..

جوزى كل يوم يعمل لى هليله من تحت راسك .. وخلاص ما بقتش قادره أدافع عنك ولا عن تصرفاتك ..

قلت وأنا أسخر منها بوقاحة :

— اللى خلاكى ساكته لغاية دلوقتى .. يخليكى ساكته على طول ..

قالت وهى تصفعنى بعينيها :

— أنا ما كنتش ساكته .. أنا كنت مصدقاكى .. انما خلاص دلوقتى مش قادره أصدق ..

قلت بلا مبالاة :

— مش قادره تصدقى ايه ؟

قالت وعيناها فى عينى :

— قولى لى .. بتجيبى الفلوس منين ؟

وببساطة وقحة قلت وعيناى ثابتتان :

— من هاشم ..

وفوجئت .. قفز حاجباها فوق عينيها كأنهما جناحا عصفور مذعور ، وقالت وهى تخبط على صدرها :

— يا خبر .. ده يبقى مال حرام يا بنتى ..

قلت وأنا اضحك على سذاجتها :

— حرام ليه .. هو لما الواحد يحب واحده ويجيب لها هديه يبقى حرام ..

قالت ووجهها لا يزال محتقنا :

— بس دى مش هديه .. دى فلوس .. فلوس ..

قلت :

— الهديه يعنى فلوس .. لو اشترالى حتة شيكولاته يبقى

نسمه ادانى عشره صاغ .. وهو ما عندوش وقت ينزل يشترى حاجه ، بيدينى الفلوس أشترى بيها انا ..

قالت فى اصرار :

— دى اسمها فلوس حرام ..

قلت وانا ابتسم لها :

— حرام ليه يا ماما .. كل البنات بياخدوا هدايا ..

قالت :

— تسمحى تقولى لى بيديكى الفلوس دى كلها ليه ؟

قلت بسرعة :

— علشان بيحبنى ..

— لا يا شيخه .. عاشان بيحبك .. ولا علشان حاجه تانيه ..

قلت :

— ما تقوليش كده يا ماما .. ما فيش حاجه تانيه .. صدقينى ..

قالت :

— لا .. مش مصدقاكى ..

قلت :

— ماما ده راجل غنى وبيحبنى .. اذا ادانى مية جنيه ، زى ما يجيب واحد تانى هديه بجنيه ..

وقالت وهى تركن راسها فوق كفها :

— بيديكى كام الرجل الغنى ده ..

قلت وانا اطوى الحقيقة تحت لسانى :

— مش دايما .. بس بيدينى كتير ..

قالت :

— وبتوديهم فين ؟

قلت :

— باشترى بيهم الحاجات اللى بتشوفيها ..

قالت وهى تتنهد كأنها استسلمت لى :

— طيب بدل ما تشترى بيهم حاجات هايفه .. ويروحوا منك هدر .. اشترى حاجه تفضـــل لك .. حتـــة الماظ .. ولا بروش ..

وهكذا ..

وقفت منى أمى — مرة ثانية — موقفا سلبيا .. انقادت لى .. لم تحاول أن تعدل حياتى .. لم تحاول أن ترســـم لى مبادىء أتعلق بها . وقبلت الوضع .. بل انى اصبحت أعطيها النقود التى أخذها من هاشم لتحفظها عندها .. أصبحت بنكا لى ، وبينى وبينها حساب جار .. وكانت أمى تفرح بهذه النقود أكثر من فرحتى .. ربما ورثت حبى للنقود عنها .. بل انها أصبحت تشاركنى فى انتقاء الهدايا التى أطالب هاشم بثمنها .. فتحت عينى على أطماع أوسع من أطماعى الصغيرة .. وفى مناسبة عيد ميلادى الثانى والعشرين .. طافت بنفســـها على محلات الجواهر ، وانتقت حلقا من الماس .. ثمنه مائتا جنيه .. ليقدمه هاشم هدية لى .. وتركت الباقى على .. وقد دفع هاشم المائتى جنيه فى لحظة من لحظات غروره برجولته ، وسعادته بأنوثتى ..

ولكن أمى كانت تحرص فى الوقت نفسه على اشعال خوفى .. زادتنى خوفا على خوف .. كانت تذكرنى كل صباح وكل

مساء بأنى لست زوجة هاشم .. وكانت تروى لى قصص البنات اللاتى انقدن وراء عواطفهن وجنونهن .. ثم ضاع الرجل .. تزوج فجأه بنتا أخرى .. ومن يدرى .. ربما أصحو فى الصباح فأقرأ فى الصحف خبر زواج هاشم من أخرى ..

وينقبض قلبى لمجرد الفكرة ..

تتلوى اعصابى ..

وأحس بنفسى كأنى معلقة فى الهواء ، وريح عاتية تطوحنى ..

واطلعت هاشم على مخاوفى .. كشفت له عن قلبى الذى عصره الخوف . وقلت له فى تردد وضعف :

ــ احنا مش ممكن نتجوز أبدا يا هاشم .. ؟

قال فى بساطة حازمة :

ــ لأ ..

قلت وأنا أنظر اليه فى لوعة :

ــ بس أنا ما اقدرش أعيش من غير أمل ..

قال :

ــ يوم ما تفكرى فى الجواز .. يبقى لازم تفكرى فى واحد غيرى ..

قلت والدموع فى عينى :

ــ ما اقدرش أفكر فى واحد غيرك .. انا باحبك يا هاشم ..

قال وهو ثابت كأنه يناقش مسألة علمية :

ــ حبنا مالوش مستقبل ..

قلت :

ــ وايه عرفنى انك مش حا تتجوز واحده تانيه ..

قال :

ــ مش حاتجوز ..

قلب ودموعى على خدى .. دموع الغيظ والخوف :

ــ واطمن ازاى ؟ ..

قال :

ــ أنا عمرى ما كذبت عليكى .. اطمنى ..

ولم اطمئن ..

مخاوفى تزداد يوما بعد يوم ..

أحس كأنى فى معركة هائلة مع الغد .. كل غد بالنسبة لى وحش يريد أن يفترسنى .. وأتعلق بيومى حتى لا يقلبنى الى غدى .. بل اتعلق بالساعة التى أعيش فيها حتى لا تلقينى الى الساعة التالية ..

وكنت أعلم أنى لست الوحيدة التى تطمع فى الزواج من الدكتور هاشم .. ولست الوحيدة التي تريده بلا زواج .. ان حوله عشرات البنات .. بنات جميلات .. وبنات من عائلات كبيرة .. وبنات ثريات .. وأنا وحدى أقاوم كل هؤلاء البنات .. اقاومهن فى خيالى .. كل بنت اراها فى النادى .. وكل بنت تنشر الصحف صورتها .. تخيل الى انها تسعى للزواج من هاشم .. فأكرهها .. ازددت كرها لكل البنات .. الكراهية تجعل منى دون أن أدرى ، فتاة شريرة .. قاسية ..

وأحرص كل صباح .. وبمجرد أن أفتح عينى .. على أن أقرأ صفحة الأخبار الاجتماعية فى الصحف .. من يدرى .. لعله تزوج .. ثم لا أطمئن .. من يدرى لعل الصحف لم تعلم بخبر زواجه .. وأهرع الى التليفون ، وأتصل به ، لأطمئن أنه لا يزال لى .. يوما آخر !

الى أن كان يوم ..

وكنت أحادث هاشم فى التليفون ، وقال لى أنه لن يستطيع

ان يلقانى بعد الظهر ، لأنه مدعو الى الغداء عند عمه .. ثم سألنى .. ماذا سأفعل اليوم .. وأجبته بأنى سأبقى فى البيت .. وعاد يسألنى .. مش نازله البلد .. وأجبته بالنفى .. و ..

ولم تطمئنى لهجة حديثه ..

كان رقيقا أكثر من المعتاد ..

وأحسست انه يتعمد التأكد من أنى سأبقى فى مصر الجديدة طول اليوم ..

وحاولت ان اتخلص من الوسواس الذى يلح على خيالى .. حاولت أن اطمئن .. واهدأ .. ولكنى لم استطع .. فى الساعة الثالثة قفزت ، وخرجت من البيت .. وركبت التاكسى الى الزمالك .. ومررت من أمام العمارة ، فلم أجد سيارته .. ولكن .. لعله أوقف سيارته فى مكان بعيد عن العمارة ، حتى لا أكتشف وجوده فى الشقة .. ودرت بالتاكسى حول العمارة .. وفى جميع الشوارع المؤدية اليها .. ولم أكتشف شيئا .. ثم هدانى تفكيرى الى أن أمر أمام العيادة .. وهناك .. وجدت سيارته .. وبسرعة .. امرت السائق ان يعود الى شقة الزمالك .. والجنون يفتك بعقلى .. والنار تحرق عينى ..

ونزلت من التاكسى ، وانا اكاد أنكفىء على وجهى .. ولم انتظر المصعد .. جريت على السلالم الى ثالث دور .. وألقيت كل ثقلى على جرس الباب .. لم أرفع أصبعى عنه .. ولكن احدا لا يفتح .. فأخذت أخبط على الباب بكفى ، حتى التهبت كفى .. ثم خلعت فردة حذائى وأخذت اضرب بكعبها فوق الباب .. وأنا اصرخ :

ـــ افتح يا هاشم .. افتح .. أنا عارفه انك جوه ..

لم يهمنى ساعتها شىء الا أن يفتح لى الباب .. لم تهمنى

الفضيحه التى أثيرها فى العمارة .. ولا صوت عم محمود البواب وهو يصيح من اسفل السلم :

ـــ جرى ايه .. مين اللى بيزعق ..

وفجأة فتح الباب .. وقبض هاشم على يدى بقوة .

وجذبنى الى داخل الشقة ، وهو يقول فى صوت خافت كالضجيج :

ـــ يا مجنونة .. انتى عايزه تعملى لى فضيحه .. دى اخلاق بنت ناس دى ..

وقبل ان يضربنى .. نزعت نفسى منه .. كانت لى لحظتها قوة تهد الجبال .. قوة جنونى .. واندفعت الى داخل الشقة .. ورأيتها ..

انها نفس البنت ..

البنت التى سبق أن ضبطتها معه ..

وكنت قد عرفت اسمها .. مرفت ..

وقبل أن يلحق بى هاشم ، كنت قد انشبت أظافرى الطويلة فى وجهها .. رسمت على خديها ، وعلى عنقها خطوطا طويلة ينبثق منها الدم .. ثم امسكتها من شعرها .. وأوقعتها على الأرض .. ووقعت فوقها ..

ولحق بى هاشم .. جذبنى من شعرى فى قسوة ، ورفعنى من فوق مرفت ثم القى بى فوق السرير .. وانا لا ازال انظر الى مرفت بعينى المجنونتين ، واصرخ :

ـــ يا وسخه .. يا واطيه .. لسه بتجيله .. مش عارفه انه متجوزنى .. يا .. يا ..

كلمات كثيرة لم اكن اعرف انى اختزنها تحت لسانى .. كلمات افقدتنى كل رقتى .. كل جمالى .. كل أنوثتى ..

وفرت مرفت ..

خرجت ..

ورفع هاشم يده ، فصرخت فيه :

— ما تضربنيش .. انت مالكش حق تضربنى .. انت اللى غلطان ..

ولكنه انهال بيده على خدى ..

بلا رحمة ..

بلا شفقة ..

وصرخت ودموعى تنطلق :

— أتجوزنى .. اتجوزنى .. لازم تتجوزنى دلوقتى حالا ..

وصرخ وهو يرفع يده مرة ثانية :

— عايزانى اتجوز واحده مجنونه ..

وعدت أصرخ :

— لازم تتجوزنى .. انا ما اقبلش اكون زى اى بنت بتعرفها .. واللا علشان بتدينى فلوس ..

وانزل يده فجأة قبل ان يصفعنى صفعة أخرى ..

وأدار ظهره لى وسكت .. وهو يزفر انفاسه ..

ومرت لحظات لا يبددها الا نشيجى ..

وتكومت فى السرير ، وانا انظر اليـه من خلال دموعى .. فى ترقب .. وغيظ .. وكل شىء فى ينزف .. حبى .. كرامتى .. أنفاسى .. كيانى .. أيامى .. كل شىء ينزف .. والنزيف الأحمر يرتسم أمام عينى ..

ثم التفت الى وقال فى لهجة جادة وصوت عميق حزين . كأنى جرحته :

— انا ما باديكيش فلوس يا أمينه ، لانك زى اى بنت .. مافيش بنت اعرفها باديها فلوس ولا حتى باشترى لها هديه ..

انا باديكى لانى باحبك .. ولانك محتاجه للفلوس .. ولان معايا فلوس .. ويوم ما حاتسيبينى حافضل برضه اديكى فلوس . طول ما انتى محتاجه ، وطول ما انا معايا ..

واحسست ساعتها انه لا يعنى ما يقول .. كل ما هنالك انه يدافع عن كرامتى .. لا يريد ان يحس بانه يشترى امرأة بنقوده .. واكتشفت ساعتها أن هذه النقود ، لا تشيننى انا ، بل تشينه هو .. تجرح كبرياءه وغروره .. كرجل يعتقد فى نفسه أنه محبوب من كل نساء الأرض ..

وقلت وأنا متكومة فوق السرير وشعرى واقع فوق عينى :

— لو كنت بتحبنى ، كان بدل ما تدينى فلوس ، تتجوزنى .. لازم تتجوزنى يا هاشم .. لازم .. لازم ..

وقال فى هدوء :

— انتى عارفه انى مش حاتجوز .. وأحسن نسيب بعض ..

ونظرت اليه بعينين مذعورتين ، وقلت فى صوت يخرج من حلقى ولا يحرك لسانى :

— تسيبنى بعد ده كله يا هاشم ؟

ثم انكفأت على وجهى أبكى ..

الدموع تهز جسدى كله ، كأنى أشدها الى عينى ، من أطراف اصابع قدمى ..

وقال هاشم :

— مش كده يا أمينه .. خلينا نتكلم بعقل ..

ولكنى أبكى ..

أبكى كل دموعى ..

وجاء هاشم وجلس بجانبى .. يحاول ان يسكت بكائى .. يحاول ان يجعلنى ارد عليه .. وبدأ يمسح بيده على شعرى

.. ثم يطوف بها فوق كتفى .. وأنا لا أكف عن البكاء .. مستسلمة ليده التى تتمشى فوق ظهرى .. ثم انحنى يقبلنى فوق خدى .. وهو يقول :

ــ كفايه يا أمينه .. كفايه يا حبيبتى .. أنا آسف ..

ولم أكن أريده فى هذه اللحظة .. لم تتفتح مسام جسدى ظمأى اليه .. ولكن تملكنى احساس آخر .. كنت أريد أن أطمئن الى أن مرفت لم تأخذ منه شيئا .. شيئا مما تعودت أن آخذه منه .. كنت أريد أن أتأكد أنها تركته لى سليما .. لم تمتصه وتلقى الى ببقاياه ..

واستدرت اليه ، وألقيت جسدى كله فى أحضانه ، وأنا لا زلت أبكى هامسة :

ــ هاشم .. اخص عليك يا هاشم ..

وانحنى الى بشفتيه ..

ويده تنشط فوق أزرار ثوبى ..

وأنا فى انتظار أن أتأكد ..

وهمست وأنفاسه تلفح عنقى ، وشفتاه المجنونتان تطوفان بوجهى ، وذراعاه تعصران جسدى العارى :

ــ حاتسيبنى يا هاشم ..

وقال وأنفاسه اللاهثة تحرق كلماته :

ــ أبدا .. عمرى .. ما اقدرش ..

واطمأننت ..

لم تأخذ منه مرفت شيئا ..

ولكنى عدت الى البيت ورأسى يغلى .. ولم أكن حاقدة على هاشم قدر حقدى على مرفت .. كنت أريد أن أنتقم منها .. أريد أن أحطمها .. أخنقها .. وكنت فى خلال الشهور الطويلة منذ

ضبطتها أول مرة ، قد عرفت اسمها كله .. عرفت أخبارها .. وعرفت رقم تليفونها وعنوانها ..

وأدرت رقم تليفونها ..

وردت على أمها .. عرفتها من لهجتها .. كل الأمهات لهن لهجة واحدة عندما يرددن على التليفون .. وقلت لها :

ــ أنا حرم الدكتور هاشم عبد اللطيف ..

وقالت فى أدب :

ــ تشرفنا يا فندم ..

قلت فى جرأة وهدوء :

ــ رجعت ؟

قالت وفى لهجتها استطلاع :

ــ لا والله .. لسه ..

قلت :

ــ طيب .. لما ترجع ، حتلاقى على وشها خرابيش .. أنا اللى خربشتها .. لأنى ضبطتها مع جوزى ..

وأعدت السماعة بسرعة ..

واسترحت ..

ابتسمت .. أهنىء نفسى على ذكائى .. وشرى .. وانتقامى .. ثم ضاعت لذة احساسى بالانتقام عندما اكتشفت أم مرفت بعد أيام أن الدكتور هاشم عبد اللطيف ليس متزوجا ..

وبقى أمامى هاشم ..

انى لم أعد أحتمل ..

لم أعد أحتمل حياتى معه ..

ولكنى لن أتركه ..

انه حبى .. وحياتى .. فكيف أتركه ..

نعم ..

لن اتركه ..

ولكنى سأخونه

ما الذى دفعنى الى خيانة هاشم ؟ ..

دوافع كثيرة .. ليس اهمها انه يخوننى ..

ربما كان أهمها انشغاله عنى بعمله .. وهذا الفراغ الكبير الذى يحيط بى والذى لا أجد ما أشغله به ، سوى استعراض نفسى فى النادى ، وفى شوارع القاهرة ودكاكينها ... لم تكن لى هواية تصبرنى على الانتظار الطويل الى أن التقى بهاشم .. لم تكن لى هواية سوى جسدى ..

ثم الخوف ..

الخوف من أن أفقد هاشم يوما ، كان يجعلنى اتلفت حولى ، لألتقى الرجل الذى يعوضه عندما افقده ..

ثم انى أريد ان اتزوج .. ومن يدرى ربما التقى برجل احسن من هاشم يتزوجنى ..

ثم انى رغم ما فعلته ، ورغم طغيان شخصيته على شخصيتى ، ورغم حاجتى اليه .. كنت بينى وبين نفسى متمردة عليه .. اتمنى اليوم الذى أتخلص فيه من حبه .. ومن سيطرته .. بل انى كنت أصحو احيانا من النوم واقرر الا اتصل به .. كنت اثير عليه نفسى .. لماذا أجرى وراءه .. لماذا لا اتركه يجرى ورائى .. لماذا أبدأ انا بالتحدث اليه فى التليفون ، لماذا لا انتظر الى أن يتلهف على ويتصل بى هو .. لماذا .. لماذا .. وكل القرارات التى أتخذها وانا متمردة عليه ، لا تبقى سوى لحظات .. ثم أعود اليه .. لا تستطيع يدى أن تقاوم التليفون .. ولا يستطيع جسدى أن يقاوم اندفاعى اليه ..

ثم لانه يخوننى ..

انه يخوننى وهو يقسم انه يحبنى .. فلماذا لا اخونه انا ايضا وابقى على حبه ..

وقد بدأت بخيانات بريئة ..

سافرنا أيامها الى الاسكندرية لنقضى الصيف .. وكان هاشم لا يأتى الاسكندرية الا فى أيام الخميس والجمعة .. وانا وحدى هناك بقية الاسبوع .. أقضى يومى على شاطىء ميامى .. واترك ابنتى مع الخادمة تحت الشمسية .. ثم اقوم باستعراض نفسى .. وكنت اتفنن فى استعراض نفسى .. احيانا اتمشى وانا بالمايوه ، وشعرى مطلق ، وفى قدمى حذاء بكعب عال .. واحيانا ارتدى بنطلون « بلوجينز » وقميص رجالى مشمر الاكمام ، كأنى لا زلت فى التاسعة عشرة .. ثم اجرى الى البيت ، وابدل البنطلون بفستان .. كل يوم ثوب جديد .. بجنون .. ثم أجلس فى كابين صديقتى مها .. سيدة مطلقة فى مثل سنى ، وكل صديقاتها مطلقات ، أو على وشك الطلاق .. ودائما يحيط بهن مجموعة من الشبان .. الح شباب الشاطىء .. المعهم فى اجتذاب اهتمام البنات .. بينهم شاب اسمه مصطفى .. فى الثامنة والعشرين من عمره .. دمه خفيف .. وكانت تحبه احدى سيدات الشلة .. ولكنه كان يخصنى بكل اهتمامه .. ويلحقنى فى البحر .. ويملأ الساعات التى اقضيها معه بالضحك .. واخيرا .. رضيت أن اخرج معه .. ولكنى ما كدت اركب بجانبه فى سيارته حتى بدأت أفكر فى هاشم .. احسست أن هاشم جالس بينى وبين مصطفى .. لا استطيع أن انزع صورته من خيالى .. لا استطيع أن أوقف عقلى عن التفكير فيه .. بل خيل الى أنى اشم رائحته .. رائحة هاشم ..

وقال لى مصطفى وهو يقود سيارته فى الطريق الى ابى قير

— تعرفى تسوقى ؟ ..

قلت وأنا هائمة وراء هاشم :

— لا ..

قال وهو يبتسم ابتسامة طفل :

— تعالى أعلمك السواقه ..

واستخفته .. هذه لعبة عيال .. لعبة قديمة .. سيدعونى لأقترب منه .. ثم يدى على عجلة القيادة ويلف ذراعه ورائى .. ثم يتحسس كتفى .. ثم يضغطنى اليه ضغطة خفيفة .. ثم ينتهز فرصة ويقبلنى على خدى .. و .. و .. ماذا يظننى هذا الطفل ؟ مبتدئة ؟ !

وقلت فى زهق :

— لا .. مش عايزه أتعلم السواقه .. ومن فضلك رجعنى .. أنا اتأخرت ..

وقال فى سخافة :

— وده معقول .. ده احنا لسه ما وصلناش ابو قير ..

وأصر على ان يستمر فى طريقه ..

ولم أعترض .. من زهقى .. بقيت بجانبه ، وقد بدا لى الفرق كبيرا بينه وبين هاشم .. الشخصية الفجة التى لم تنضج بعد .. والشخصية القوية المجربة الثابتة .. شخصية هاشم ..

وعندما عاد هاشم فى نهاية الأسبوع والتقينا فى الشقة التى كان يستأجرها فى محطة سابا باشا ، قلت له كأنى أغيظه :

— تعرف ان فيه واحد عايز يخطبنى ؟

قال فى برود :

— مين ؟

قلت :

— واحد اسمه مصطفى ..

قال :

— مصطفى ايه ..

قلت وأنا ازداد دلالا :

— مصطفى سامح ..

وهز كتفيه وقال فى بساطة :

— ما اعرفوش ..

وهذا هو كل شىء .. لم يحاول أن يسألنى أكثر .. بل لم يحاول أن يسألنى فى الأسبوع التالى عن أخبار هذا الشاب الذى جاء يخطبنى .. كأنه نسيه .. كأنه لا يهمه أن بقيت له أو تزوجت .. أو كأنه كان واثقا أنى سأبقى له حتى لو تزوجت ..

وغاظنى اهماله ..

غاظنى غروره ..

وخرجت مع مصطفى مرة ثانية .. وثالثة .. ثم زهقت من مصطفى وخرجت مع أسامة .. ثم مع مجدى .. ثم مع أحمد .. كلها مغامرات بريئة .. أحمد فقط هو الذى استطاع أن يقبلنى فوق شفتى .. فرق كبير بين قبلته وقبلة هاشم .. قبلة أحس بها فوق شفتى .. وقبلة أحس بها تسرى فى جسدى كله ..

وكنت أسرد كل هذه الأسماء لهاشم .. وأسرد مع كل منها نصف الحقيقة .. وأحيانا ربع الحقيقة .. أقول عن واحد منهم أنى

قابلته مى كابين صديقتى .. واقول عن الآخر انه صـــديق لابن خالتى .. واقول عن الثالث أنه ابن طنط خديجة .. ولم أكن مضطرة أن أقول شيئا لهاشم .. ولكنى كنت أقول له .. كنت أحس أنى أبرىء ذمتى أمامه .. أحس كأنى أخفف من خيانتى له .. كأنى أرضى ضميرى وحبى ..

وهاشم يسمع هذه الحكايات ، وينظر فى عينى كأنه يعرف سرى .. ثم لا يجيب .. أو يرد ردا باردا ..

بل انى سألته يوما ، كأنى اريد أن أثيره :

— قولى يا هاشم .. لما الواحده تتجوز واحد .. تعمل ايه ؟

وكان لهذا السؤال أصل من الواقع .. فقد كنت أتمنى جدا لو تزوجنى شاب اسمه شريف .. يسكن امامنا فى سيدى بشر .. وأمه صديقة لأمى .. وأخته صديقة لى .. غنى .. مهذب .. نال بكالوريوس التجارة .. ووسيم ..

وأجابنى هاشم فى هدوئه الذى يثيرنى :

— نقنعه بأنها بنت كويسه وتصلح للزواج ..

وثرت فى وجهه صائحة :

— يعنى قصدك انى أنا مش كويسه وما انفعش للجواز ..

قال وهو ينظر الى فى دهشة :

— أنا ما قلتش كده ..

قلت وأنا أنتفض من جانبه :

— أمال ما بتتجوزنيش ليه ؟ .

ونظر الى كأنه يلومنى لأنى أطمع فى الزواج منه .. وقال :

— أنا حاجه تانيه ..

وعدت يومها الى البيت لأبكى .. خيل الى انى فعلا لا اصلح للزواج ، وأن هذا ليس رأى هاشم وحده ، بل رأى جميـــع

الرجال .. بدليل أن أحدا ممن خرجت معهم لم يفـــاتحنى فى الزواج ..

وانتهى موسم الاسكندرية دون أن أخرج منه بشىء ، سوى بعض نمر التليفونات ، وبعض نمر السيارات ..

ولا شىء أكثر .. لم يستطع أحد أن ينسينى حبى لهاشـــم أو يخفف منه .. ولم يستطع أحد أن يحررنى من حاجتى اليه ..

وبدأت فى القاهرة اكرر نفس ما كنت أفعله فى الاسكندرية .. أحادث الشبان فى التليفون ثم أخرج معهم .. وأضيف الى القائمة شبانا جددا .. بل أضفت اليهم ابن عمى .. وكان ابن عمى اقربهم الى قلبى .. كان انسانا شاذا ، بوهيميا .. يملك سيارة قديمة مهكعة ، بينه وبينها ألفة عجيبة ، ويحبها كأنها كلبة .. ولا يستطيع أحد غيره أن يقودها أو يفهم اسرارها .. وكان يسافر بها الى البحر الأحمر مع شـــلة من الأولاد والبنات .. وذهبت معه أكثر من مرة .. ذهبت باذن من أمى ، فهو ابن عمى .. ولا يمكن لأحد أن يعترض على رؤيتى مع ابن عمى .. ولكنى لم أرحم ابن عمى .. استطعت أن أشد قلبه .. وأعطيته أكثر مما أعطيت باقى الشبان .. ليس كل شىء .. فقط تركته يقبلنى أكثر ويحبنى أكثر .. وكنت أطمع فى الزواج منه .. بنيت فى خيالى حياة كاملة معه .. وفرحت عندما اكتشفت أن اسمى لن يتغير بعد الزواج منه .. أمينة سالم .. وسأصبح بعد الزواج .. مدام سالم .. يا فرحتى ! كأنى لا زلت طفلة ! ..

وقلت كل ذلك لهاشم .. قلت له أنى أتمنى لو تزوجنى ابن عمى .. وقلت له أنى ذهبت معه فى رحلات البحر الأحمر .. مع شلة كبيرة .. ولم اقل له الباقى .. لم أقل انى أتركه يقبلنى .. أو انى أرقد على شاطىء البحر بالمايوه وهو راقد بجانبى .

وراسى على كتفه .. طول النهار .. وان كل افراد الشـلة التى تسافر معنا ، تتركنا وحدنا ، وتفهم ما بيننا .. لم أقل له كل ذلك .. انى لا أقول الا ربع الحقيقة ..

وهاشم ينظر الى هذه النظرة الثابتة التى لا ادرى منها ان كان يصدقنى أم لا .. ويبتسم هذه الابتسامة ، التى لا أدرى ان كان يسخر بها منى ، أم يشفق بها على ..

كل ما لاحظته ان هاشم بدأ يروى لى قصصا عن بنات .. بنت جاءت الى عيادته .. وبنت دعى معها الى سميراميس .. وبنت أميركية .. وبنت .. وبنت .. ولعله كان يقول ربع الحقيقة .. فلم يكن يقول لى أنه بينه وبين واحدة من البنات شىء .. وكنت .. وهو يروى لى هذه القصص أحاول أن أقلده فى برووده ، وفى قلة اكتراثه ، ولكنى لم اكن أستطيع .. كنت أحتمل مرة .. وأنفجر فى المرة الثانية .. واتهمه بأنه يخوننى .. ولأنى أخونه .. كنت واثقة انه يخوننى .. فأجن .. وأدور بالتاكسى أبحث عنه كلما غاب عنى ..

ولم يتزوجنى ابن عمى .. ذهب .. قبل وظيفة فى الاسكندرية .. ولم يعد ...

ثم ..

حملت ..

حملت من هاشم ..

ليس هناك شك فى هذه المرة فى انى حملت منه ..

ولم تكن المرة الأولى التى أحمل فيها منه ..

حملت مرة .. منذ سنة .. ولكنى استطعت ان اتخلص من حملى فى الشهر الأول .. وقعت صدفة من فوق السرير .. واصطدم بطنى بحاجزه .. وبقيت بعدها أسبوعا فى السرير ..

وحاولت هذه المرة أن أقع من فوق السرير .. من فـوق الدولاب .. لعبت الحبل .. استحممت بما مغلى ..

ولا فائدة ..

انى لا زلت حاملا ..

ومضى شهران وأنا أخفى سرى فى بطنى ..

ثم ..

قلت لهاشم ..

ورفع الى عينين مذعورتين ، ثم تمالك أعصابه بسرعة ، وقال وهو يبتسم لى :

ــ بسيطة .. كيرتاج ! ..

وقلت بحدة :

ــ طبعا .. انت حايهمك ايه ... هو انت اللى حاتموت ..

قال فى هدوء :

ــ انتى عارفه انها عمليه ما بتموتش حد ، ما دام دكتور كويس اللى بيعملها ..

قلت :

ــ لا .. مش حاعملها .. اتفضل اتصرف ..

قال وسحابة من الكدر تطوف بعينيه المنتفختين :

ــ زى ما انتى عايزه ..

قلت والدم يرتفع الى راسى :

ــ أنا عايزه نتجوز ..

قال :

ــ ونخلف بعد خمسة أشهر .. مش كده ..

قلت :

ــ أحسن ما اموت ..

قال :

— تلتلك مش حاتموتى .. وما تفكريش فى نفسك بس .. فكرى فى اللى حاتخلفيه ..

عدنا نتناقش ..

نقاشا طويلا ملأ كل ساعات قضيتها معه خلال الاسبوع كله .. وهو مصر على رأيه .. يغلق فى وجهى كل الأبواب الا باب الطبيب الذى يجهضنى ..

الى أن قلت وأنا أرتعد ودموعى فوق خدى :

— طيب تيجى معايا عند الدكتور ..

قال وهو يمسك بيدى ويضغط عليهـا ونظرة اشفاق تطل من عينيه :

— مش ممكن يا أمينة .. مافيش راجل بيروح مع الست فى حالة زى دى .. حتى ولو كان جوزها .. ما تبقيش صغيره ..

قلت ودموعى ترتعش فوق أهدابى :

— أنا خايفه يا هاشم ..

قال وهو يضمنى الى صدره فى حنان :

— ما تخافيش .. لو ما كنتش مطمن عليكى ، ما كانش ممكن أسيبك تعملى العمليه ..

وأحسست ساعتها أنى لا أريد أن أرفع رأسى من على صدره .. أريد أن أختبىء فيـه .. أريد أن أبقى هنا .. لاهدأ .. لأستريح .. لأطمئن .. لأهرب ..

وبكيت ..

وبعد يومين ذهبت الى طبيب يهودى تقع عيادته فى أول شارع سليمان باشا .. وذهبت وحدى .. ولم أكن أعرف هذا الطبيب من قبل .. ولا هاشم كان يعرفه شخصيا .. بل ان

هاشم لم يرشحه لى .. رفض أن يرشح لى أحد أصدقائه الأطباء .. وتركنى أختار هذا الطبيب بعد أن سمعت اسمه يتردد كثيرا فى أوساط المطلقات ، كطبيب متخصص فى عمليات الاجهاض .. كل ما فعله هاشم هو أن دفع لى أجر العملية مقدما .. ودفع بسخاء ..

ودخلت عيادة الطبيب ، ودمائى هاربة منى .. وكل ما فى داخلى يرتعش .. قلبى .. معدتى .. ركبتاى ... خيل الى أنى داخلة الى سلخانة .. هنا ، سأذبح .. واستقبلتنى المرضة بنظرات وقحة ثابتة .. كأنها تبدى رأيها علنا فى صنف النساء اللاتى يترددن عليها .. وأشارت لى بيدها الى غرفة الانتظار دون أن تتكلم .. دون أن تبتسم .. كأنى لا أستحق منها كلمة .. ولا ابتسامة .. وتركتنى وحدى .. تركتنى طويلا ، رغم أنه لم يكن فى العيادة غيرى .. ودقات الساعة خبطات فوق رأسى وأعصابى .. ثم لمحت من باب غرفة الانتظار سيدة خارجة من غرفة الطبيب .. مستندة على ذراع المرضة .. ووجهها أصفر .. لا ، ليس أصفر .. أبيض .. لون الفراغ .. لون الموت .. وعيناها مطفأتان .. وشفتاها باهتتان جافتان ، ترتعشان ، كأنها تتنفس بهما .. وألقتها المرضة على مقعد عريض .. وتركتها .. كأنها ألقت شيئا فى صندوق الزبالة .. ثم نظرت الى نظـرة صارمة وقحة .. وانصرفت .. والذعر يملأ عينى .. أنظر الى السيدة التى أمامى ، ويخيل الى أنى أنظر الى مرآة .. أرى نفسى هكذا .. نصف ميتة .. وتملكنى خاطر جارف بأن أهرب .. أهرب من هذه السلخانة .. أهرب من الذبح .. ولكنى كنت مشدودة الى وجه هذه السيدة الملقاة أمامى كأنها نصف ميتة .. مشدودة بعينى وأعصابى .. كأن هناك نداء خافيا ينطلق منها

ويدعونى اليه .. نداء لا أستطيع أن أقاومه .. كقدرى .. كمصيرى ..

وجاءت المرضة وأشارت الى قائلة بالفرنسية :

— تسترحى ..

ونشبثت بمقعدى .. لا .. لن أسمح .. لن أذبح ..

ظلت المرضة واقفة أمامى تسلط على نظراتها القوية الوقحة ، كأنها تسلبنى ارادتى ..

وقمت اليها .. مسلوبة الارادة ..

ومشيت وراءها ، أحاول أن ألحق بها لأستند عليها ، قبل أن أقع .. ركبتاى لا تتحملانى .. وأمعائى تنقلب حتى خيل الى أنى سألفظ الجنين قبل أن أصل الى الطبيب ..

واستقبلنى الطبيب ..

رجل فى الخمسين .. أملس الوجه .. كل شىء فيه أملس .. لزج .. نظراته أوقح من نظرات ممرضته .. وأخذ يسلط على هذه النظرات فى جراة كأنه يفكر فى الاعتداء على .. كأنه يشتهينى ..

وقال وهو يشير الى سرير الكشف :

— تفضلى .

وتوقفت .. حاولت أن أتكلم .. قلت له انى زوجة .. وانى أم لابنة فى الثالثة من عمرها .. وانى حامل .. وانى اتفقت مع زوجى على أن أتخلص من الجنين لاننا .. و .. و .. حكاية طويلة كنت قد أعددتها قبل أن أصل اليه .. ولكنه لم يكن يستمع الى .. كأنه سمع الكثير من هذه الحكايات ، ويعلم أنها كلها كاذبة .. انشغل عنى فى اعداد بعض أدواته .. ثم جذبتنى المرضة الى سرير الكشف .. وساعدتنى فى خلع ثيابى .. ثم

تقدم ليكشف على .. كان يكشف على فى وقاحة .. يتحسسنى كأنه يتلذذ بى .. كأنه ينتقى القطعة التى يأكلها أولا .. ثم ابتعد عنى وهو يقول :

— بكره الساعة حداشر .. وتعالى من غير افطار ..

وخرجت من عيادته كالفرخة الدائخة التى نجت صدفة من الذبح .. وقضيت نهارى وليلى خائفة مذعورة .. أقرر فى دقيقة الا أذهب الى الطبيب ، وفى الدقيقة التالية أعدل عن قرارى .. وفكرت أن أطلع أمى على مصيبتى ، لتأتى معى .. حتى لا تتركنى أذبح وحدى .. ولكنى خفت من أمى .. فكرت أن أستعين بزوجة أبى ، وكانت أيامها لا تزال صديقتى ، ولكنى خجلت منها .. وتحدثت الى هاشم بالتليفون ليقوى قلبى .. ويشد أزرى .. حدثته بدموعى لعله يشفق على .. ولكنه كان رقيقا .. حنونا .. حدثنى طويلا ، على غير عادته .. ولكنه لم يشفق على .. كل ما فعله أن شرح لى العملية من الناحية العلمية ، ليثبت لى أنها ليست خطرا .

وذهبت فى اليوم التالى ..

وحدى أيضا ..

ودمائى هاربة منى .. وقد رأيت نفسى فى المرآة قبل أن أخرج من البيت .. ولم أكن أعتقد أنى يمكن أن أكون صفراء الى هذا الحد ..

وبكيت فى غرفة الانتظار .. بكيت فى صمت .. فهذا الطفل كنت أريده .. انه طفل الرجل الذى أحببته وتمنيته .. الرجل الوحيد الذى أردت طوال حياتى أن يكون أبا لطفلى .. ورغم ذلك فانى أقتله .. أقتل هذا الطفل .. الآن ليس من حقى أن أحمله فى بطنى .. وليس من حقى أن أكون أما له ..

والتقبت بنظرات الطبيب الوقحة ..

وعندما أعطانى حقنة البنج ، خيل الى مرة ثانية ، انه يريد أن يفقدنى وعيى ليعتدى على .. ولا ادرى لماذا تملكنى هـذا الخاطر .. ولكنه خاطر ملأ خيالى كله .. وذعرت .. خيـل الى أنى اريد أن اصرخ لأنادى هاشم ..

ولا أدرى هل صرخت أم لا ..

غبت عن الوعى ..

ولم اعد أدرى ما يحدث لى ..

وأفقت وانا راقدة على سرير العمليات .. ثم جاءت الممرضة وألبستنى ثيابى .. وساعدتنى على الوقوف .. وسحبتنى الى الغرفة الخارجية .. وألقتنى على نفس المقعد الذى القت عليه المرأة الأخرى .. وتركتنى .. وسكين يشق بطنى .. ألم حاد ..

وبقيت على هذا المقعد ، وانا أتصور نفسى فى شكل المرأة الأخرى .. مسكينة .. كأنى بقايا آدمية ألقيت فى صـندوق الزبالة .. وعقلى صاح ، وجسدى مخـدر ، ولا أحس فيـه الا الألم ..

كم بقيت ..

ساعة .. ساعتين .. ثم بدأ الألم يخف .. وبدأت استرد قواى .. واستطعت أن أقوم من صندوق الزبالة .. وخرجت .. لو يودعنى أحد الى باب العيادة .. ووقفت أمام باب المصعد ، مستندة الى حاجز حتى لا أقع .. هزيلة .. ضعيفة .. أرى كل شىء من خلال ضباب ..

وما كدت أصل الى الشارع حتى رأيت هاشم فى سيارته منتظرا امام الباب .. وخيل الي انى أخرف .. انى أحلم ..

واهتزت رموشى بعنف لتزيح من أمام عينى الضباب .. ولكنه هاشم ..

ونزل من سيارته بسرعة .. وتقدم منى .. وأمسك بذراعى كأنه يخاف على أن أقع ، وكان يخيل الى أنى سـأقع فعلا .. سأقع من الفرحة .. فرحة المفاجأة ..

وهمس هاشم فى أذنى :

ـ الحمد لله على السلامة ..

وابتسمت ..

وقادنى هاشم الى سيارته .. وأجلسنى .. ثم لف حول العربة بسرعة ، كأنه سائق مهذب .. وجلس بجانبى وهو يقول :

ـ مش قلت لك انها بسيطة ..

وعدت أبتسم له .. وقد أصبح احساسى بالتعب تدللا عليه أكثر منه تعبا ..

وعاد هاشم يقول :

ـ داوقتى تروحى البيت ، تنامى شويه .. وبالليل تقدرى تروحى سينما ..

وقلت فى صوت خافت :

ـ لأ .. بلاش تودينى البيت أحسن ماما تلاحظ حاجه .. ودينى بيت بابا ..

وأوصلنى هاشم الى بيت أبى .. وكان رقيقا حنونا طوال الطريق .. جعلنى أضحك .. وقد كان شىء فى يضحك ضحكة كبيرة منذ رأيته فى انتظارى .. خيل الى ساعتها أنى تأكدت من حبه .. انه يحبنى .. مهما تظاهر بالبرود .. ومهما سلط على غروره .. ومهما انشغل عنى .. فهو يحبنى .. ونسيت فى احساسى بحبه كل ما تحملته .. نسيت الجنين الذى قتلته

منذ لحظات .. بل خيل الى أن هذا الجنين ربط بيننا أكثر .. قد جمعنا الى الأبد .. كأنى والدته .. كأنى لم أقتله .. أحسست فعلا باحساس الأم ، عقب أن تضع مولودها ، وتنظر الى زوجها فى امتنان كأنها تشكره لأنه منحها الأمومة .. خيل الى أنى أنظر الى هاشـم نفس النظرة .. نظـرة الامتنان .. وخيل لى أنه ينظر الى كما ينظر الى زوجته .. نظرة تقدير وشكر .. تقدير لأمومتى ، وشكر لأنى جعلته أبا ..

ولم تكن هذه المرة الأخيرة التى أجهضت نفسى فيها .. أجهضت نفسى كثيرا .. أربع مرات .. خمسا .. لا أدرى . لقد أصبحت عمليات الاجهاض بالنسبة لى ، كخلع الضرس .. وأصبحت نظرات الطبيب اليهودى الى نظرات ترحيب بعد أن أصبحت زبونة مستديمة .. ولكن هذه المرة الأولى هى التى لا أزال أذكرها .. وهى المرة الوحيدة التى انتظرنى فيها هاشم ، وأبدى لى كل هذا الحنان ، وأثار فى كل هذه المشاعر الحلوة ..

وقد عشت شهورا فى هذه المشاعر ..

حاولت خلالها أن أكون محترمة .. أقلعت عن محادثة الشبان فى التليفون والخروج معهم .. وتجددت آمالى فى الزواج من هاشم .. تجددت أكبر وأعنف ..

ولكن هاشم لم يتغير ..

عاد كما كان ..

عاد يملأ حياتى بالفراغ الكبير .. ويثير فى الغـيرة .. ويهملنى . لالاحقه .. ويهملنى أكثر لالاحقه أكثر .. ولا يريد أن يتزوج .. بل لا يريد أن يقول سببا معقولا يمنعه عن الزواج .. فقط ، لا يريد .. ويخيرنى بين أن أبقى له بلا زواج ، أو أتركه وأتزوج ..

ولم أكن أستطيع أن أتركه ..

أبدا لن أتركه ..

والح عليه فى الزواج ..

ويغضب ..

يخاصمنى ..

ولكنى لا أستطيع أن أحتمل غضبه وخصـامه ، أكثر من يومين .. أو ثلاثة على الأكثر .. ثم أعود اليه ..

وأعود الح عليه ..

أستجديه أن يتزوجنى ..

وأمى فوق رأسى .. تثير فى الخوف من أن يتزوج هاشم غيرى .. وكل نقوده التى أودعها معها ، لا تسكت لسانها ..

ثم فكرت أن أستعين بأخته ..

لم أكن قد رأيت أخته من قبل .. ولكنى كنت أحادثها فى التليفون .. وكنت أدعى صداقتها فى أحاديثى مع الناس .. ومع مرور الأيام ، وكثرة لقائنا خلال التليفون ، أصبح بيننا فعلا نوع من الصداقة .. صداقة تليفون .. كنت أسألها عن الأولاد .. وكانت تسألنى عن ماما وبابا رغم أنها لا تعرفهما .. مجرد مجاملة ..

واعتمدت على هذه الصداقة ، وحادثتها فى التليفون دون أن أخبر هاشم ، وفى وقت كنت أعلم فيه أنه فى العيادة ، وقلت لها بعد أن وضعت فى صوتى رنة حزن عميق :

ــ اقدر أشوفك يا مديحه هانم ..

وسكتت برهة كأنها تفكر ، ثم قالت كأنها تحاول أن تخفف عنى :

ــ عايزه تشوفينى لوحدى ولا مع أبيه هاشم ؟

قلت :

ـــ لا .. لوحدك .. لو سمحتى .

قالت وهى تضحك ضحكة صغيرة تواسينى بها :

ـــ لازم حاتشكيلى من أخويا ..

قلت بعد أن ضغطت على عينى حتى انطلقت دموعى :

ـــ انتى ما تعرفيش عمل فى ايه .. دى شكوى كبيره .. ومش لاقيه حد أروح له الا انتى .. ما اقدرش أروح لماما .. ما اقدرش أروح لواحده من خالاتى .. ما فيش قدامى الا انتى ..

وقالت مديحة وأنا أحس بلهفتها على :

ـــ طيب ما تعيطيش يا أمينة .. بكره زى دلوقتى تشرفينى .. ونقعد على راحتنا ونتكلم سوى .. انا كل واحده بتعرف أخويا بتصعب على .. وانتى استحملتيه مده طويله .. انا عارفه استحملتيه ازاى .. بكره تحكيلى على كل حاجه ..

وقضيت الليل انتقى الثوب الذى سأذهب به اليها .. وأعد الكلمات التى سأقولها لها .. كلمة كلمة .. بل أعد ابتسامتى .. ودموعى .. وكل ما أحتاج اليه الأصل الى قلبها ..

وذهبت الى المعادى ، بعد أن تعمدت أن أنتقى لنفسى ثوبا حشمة ، وتعمدت أن أخفف من زينتى قدر امكانى ..

وعائلة هاشم ليست أكبر من عائلتنا .. بالعكس .. عائلتنا أكبر وأعرق ، حتى لو كانت عائلة هاشم أغنى .. ورغم ذلك فقد شعرت برهبة غريبة وأنا أدخل بيته .. خيل الى أنى أسير فى حلم انتظرته طوال عمرى .. وخيل الى أنى قزمة فى عالم مسحور .. أحسست بشخصيتى تضعف ، تضيع بين هذه الأبهاء الواسعة .. وهذا الهدوء .. وآنيات الورد .. وقطع الأثاث الضخمة .. والأوبيسون .. خيل لى أنى فى مغارة رهيبة

لاكتشاف كنز الدكتور هاشم .. وليس معنى هذا أن بيت هاشم أفخم بيت دخلته .. لا .. لكنها شخصية هاشم .. الشخصية التى تسيطر على وتتملكنى .. هى التى أشعرتنى بالرهبة ..

وقادنى السفرجى النوبى المهذب الى صالون جانبى .. وجلست وأنا أدير عينى فوق الجدران ، وأتلصص بهما من خلال الباب .. ولم أنتظر طويلا .. جاءت مديحة تحمل بين شفتيها ابتسامة كبيرة ، وتحمل فى يدها علبة من زجاج البكاراه مملوءة بالشيكولاتة ..

وقبلتنى فوق خدى قائلة :

ـــ أهلا وسهلا ..

ثم ابتعدت عنى قليلا ، ثم أخذت تنظر الى من خلال ابتسامتها الكبيرة ، ثم قالت :

ـــ لا ، ده انتى حلوه قوى .. أول مره أخويا يبقى ذوقه كويس ..

وأرخيت عينى فى خفر ..

وجلسنا احدانا بجانب الأخرى ، على أريكة واحدة .. وقدمت لى الشيكولاتة .. اخذت واحدة ، وأنا أرفع عينى اليها لأملأها منها .. انها أصغر مما كنت أعتقد .. هاشم كان يقول لى أنها فى الرابعة والثلاثين .. ولكنها تبدو أقل من الثلاثين .. أنيقة فى وقار .. وأكثر مرحا مما يعبر عنها صوتها فى التليفون ..

وتبادلنا كلاما كثيرا ، استطاعت به مديحة أن تريح أعصابى ، وتكسب ثقتى واطمئنانى .. ثم بدأت أروى لها حكايتى مع أخيها .. قلت لها كيف عرفته .. لم أقل لها انى ادعيت المرض لأذهب اليه .. قلت لها انى كنت مريضة فعلا عندما التقيت به .. وقلت لها كيف تركت زوجى من أجله ، رغم أنى كنت حاملا .. وقلت

لها كيف احتملت الاشاعات التى ثارت من حولنا .. وقلت لها كيف أحتمل سخط أمى وأبى وعائلتى .. وكيف أعرض مستقبل ابنتى كله للخطر من أجله .. وأفضت طويلا فى الحديث عن ابنتى .. فهى أيضا لها ابنة .. وقد يرق قلبها لى .. ثم قلت لها انى منذ ثلاث سنوات وأنا رفض كل خاطب يتقدم الى .. فى انتظار أن يتقدم هاشم .. و .. دموعى أعصرها مع كلماتى ..

واستمعت الى فى هدوء وصبر .. لم تقاطعنى .. الى أن قالت وأصابعها تعبث بعضها فى بعض لتخفى غضبها :

ــ والله مش عارفه أقول لك ايه يا أمينه ..

ثم سكتت قليلا واستطردت قائلة :

ــ هو وعدك بالجواز ؟

ونظرت اليها كأنى ألومها . وقلت :

ــ تقريبا .. ولكن حتى لو ما كنش وعدنى بالجواز .. كان بيحبنى .. ولغاية دلوقتى مفهمنى انه بيحبنى .. وهو عارف آخرة الحب ايه ؟ .

وعادت تقول :

ــ انتى عايزه رأيى ..

قلت فى مسكنة :

ــ أيوه ..

قالت وهى تزفر كأنها ضاقت بفظائح أخيها :

ــ سيبيه .. سيبى أخويا .. غلطتك انك فضلت معاه لغاية دلوقتى .. ما كانش حد ممكن يستحمله كل ده الا انتى ..

قلت لها وأنا أشهق ، وقد فوجئت برأيها .. رأى قاس يسد كل الأبواب :

ــ اسيبه ازاى بس ..

قالت بسرعة :

ــ ما اعرفش تسيبيه ازاى .. انما اللى اعرفه ان أخويا مش حايتجوز .. دى ماما قعدت تتحايل عليه انه يتجوز من يوم ما تخرج وبقى دكتور .. عرضت عليه أحسن بنات البلد .. ما فيش فايده .. وقبل ما تموت بتلات اشهر بس ، رضى انه يتجوز علشان يفرحها .. خطبنا له بنت مدهشة .. جمال .. وعيله .. وثقافه .. وأخلاق .. وأعلنا الخطبه فعلا .. والبنت حبته .. وماتت المرحومة ماما .. ماتت فرحانة .. وبعد ما ماتت بثلاثة شهور بس .. يدوبك بعد الأربعين .. اتلكك على سبب هايف وفسخ الخطبه ، وكسر قلب البنت .. ده حرام عليه .. حرام ومن يومها .. ما فيش فايده يتجوز .. وما اعتقدش انه ينفع فى الجواز .. أخويا فيه حاجات كتير كويسه الا حكاية الجواز دى ..

وبكيت ..

لم أفتعل البكاء ..

ولكن بكيت فعلا .. وبكل دموعى ...

ومديحة تربت على كتفى .. وتضغط على يدى .. وتمسح على شعرى .. وهى تقول :

ــ انا بااقولك الحقيقه يا أمينه .. مش عايزه أضحك عليكى .. لازم تسيبيه .. انسيه .. كل حاجه بتتنسى ..

وتنهدت تنهيدة عميقة ، وقالت فى صوت خافت :

ــ كل واحده فى حياتها حاجه اضطرت تنساها ..

ولم أستطع أن اناقشها طويلا ..

انها كأخيها .. تصدمك بالحقيقة .. بلا رحمة ..

وأخذتنى الى الحمام لاغسل وجهى بعد بكائى الطويل ..

ونظرت الى الجدران القيشانى .. وادوات الزينة الانيقة الملقاة فوق الحوض .. كأنى أودع كل شىء أراه .. وخرجت ..

خرجت وأنا أكره مديحة ..

أكرهها وأحقد عليها ..

انها تستطيع أن تقول لى ببساطة .. انسيه .. لأنها ليست هى التى ستتحمل ألم النسيان .. انها لم تفكر فى انى قد لا أستطيع أن أتحمل هذا الالم .. قد لا أنساه .. والا لكانت انتقت لى نصيحة أخرى غير النسيان .. ولوقفت بجانبى حتى تجبر أخاها على زواجى ..

ولكن ..

انسيه ..

هكذا ببساطة ..

انى أكرهها ..

وأكره هاشم أيضا ..

وعقلى يغلى طول الطريق ..

الى ان وصلت الى البيت .. واندفعت نحو أمى قائلة كأنى اصرخ :

— ماما .. أنا خلاص حاسيب هاشم .. شوفى لى واحد أتجوزه ..

وقالت أمى والفرحة تزغرد على وجهها :

— بركه يا بنتى .. خلاص .. من بكره يجيلك العريس .. أهى خالتك نعيمه جايبه عريس بالدنيا كلها .. اسمه حسن عبد الكريم .. مهندس .. وابن باشا من بتوع زمان ..

ولم أرد عليها ..

دخلت غرفتى وارتميت على فراشى وعيناى معلقتان فى السقف ..

قررت أن أنسى هاشم ..

وكنت مخلصة فى محاولة نسيانه ..

صدقونى ..

كنت مخلصة فعلا ..

وكل هذه النار التى أحرقت حياتى ، شبت لأنى حاولت نسيانه .. كل يوم من أيامى التى مرت بعد ذلك ، لويته بيدى ، لأصنع منه آلة حادة اقطع بها ما بينى وبين هاشم .. ولم أكن أدرى أنى اقطع فى نفسى .. فى قلبى .. فى عقلى ..

ما هو النسيان ..

هو أن أستبدل بقلبى قلبا جديدا .

وأن أستبدل بعقلى عقلا جديدا ..

وأن أستبدل بجسدى جسدا جديدا ..

كنت أعتقد أن هذا هو النسيان .. وكنت أعتقد أن هذا ممكن .. ولكن .. لا .. ليس هذا هو النسيان .. ولا يمكن أن نعثر على قلب جديد ، ولا عقل جديد ، ولا جسد جديد .. القلب واحد ، والعقل واحد ، والجسد واحد .. الى أن نموت ..

والنسيان هو أن تحتمل جرح قلبك الى أن يندمل .. وتحتمل جرح عقلك الى أن يجف .. وتحتمل جرح جسدك الى أن يلتئم .. أن تحتمل العذاب الهائل المريع ، شهرا .. شهرين .. سنة .. سنتين .. الى أن يجف العذاب .. وحتى بعد أن يجف العذاب ، سيترك وراءه أثرا مشوها ، كالشرخ فوق لوح الزجاج .. وتعيش طول عمرك بقلب مشروخ ، وعقل مشروخ ، وجسد مشروخ ..

ليس هناك انسان استطاع أن ينسى .. أبدا .. كل

ما يستطيعه الانسان هو أن يزيح ذكرياته من أمام عينيه ، ويضعها فى مؤخرة رأسه .. وعملية الازاحة هذه هى العملية الصعبة .. هى العذاب الأكبر .. عذاب لا يستطيع كل انسان أن يحتمله ..

ولم أحتمله أنا ..

وكنت أعتقد أنى أستطيع احتماله .

كنت أعتقد أنى يكفى أن اتخذ قرارا بأن أهجر هاشم ثم أتزوج .. وينتهى كل شىء .. أفيق من هذه الحياة القلقة المهوشة ، لأعيش فى استقرار وهدوء .. كما تعيش ابنة عمى مع زوجها وأولادها .. وكما تعيش ابنة خالتى .. انى لست أقل منهما .. أنا أجمل منهما وأذكى ، وأولى منهما بسعادتهما .. كنت أقول لنفسى هذا الكلام .. ثم أعود وأذكر نفسى بالمرات السابقة التى حاولت أن أنسى فيها هاشم وفشلت .. وأقول لنفسى .. يا بت مش حاتقدرى .. ده انتى واقعة لشوشتك .. مش ممكن حاتسيبيه ، ولا حاتنسيه .. ولكى أشد ارادتى ، وأعود أحاول أن أقنع نفسى بأنى لم أكن جادة فى المرات السابقة .. كنت لا أزال أعش فى بعض الأمل .. ولكننى الآن فقدت كل الأمل .. واليأس من هاشم سيعيننى على هجره ونسيانه ..

ومر يوم ولم أتصل به ..

ولم يحاول أن يتصل بى .. ليس من عادته أن يتصل بى اذا لم اتصل به ..

وحاولت أن أشغل نفسى فى هذا اليوم بكل شىء يبعدنى عن التليفون .. التصقت بأمى حتى تحمينى من نفسى .. ولعبت الكتشينة مع اخوتى .. وذهبت معهم الى السينما فى حفلة الساعة الثالثة .. ثم خرجت مع أمى فى المساء لزيارة احدى خالاتى ..

ونمت ..

نمت وكل عقلى وكل قلبى مع هاشم .. ترى ماذا فعل فى هذا اليوم .. هل أشتاق الى .. هل تنبه الى انى لم أحادثه فى التليفون .. هل قالت له أخته انى ذهبت الى زيارتها .. هل ذهب الى لقاء فتاة أخرى .. لعله حمد الله لأنى أخليت له الطريق فالتقى بمرفت دون أن يخشى ملاحقتى .. والغيرة تعصف بى .. وتخف الغيرة حينا لتنقلب الى شوق .. والحنين اليه يقرصنى فى قلبى ، ويشد من جسدى ..

وقمت فى اليوم التالى .. والفراغ يمتد أمامى .. الملل .. والزهق .. والخطوات البطيئة المتكاسلة .. ولكننى لن أتصل بهاشم .. مستحيل .. ان ارادتى قوية .. وقرارى نهائى .. ولكن .. لعل من حقه أن يعلم بهذا القرار .. انى لا أستطيع أن أهجره هكذا ، دون كلمة وداع .. ثم أنه صاحب حق على .. أربع سنوات من عمرى ليست شيئا هينا حتى أسحبها منه بلا كلمة .. و ..

ورفعت سماعة التليفون واتصلت به ، وسمعت صوته منطلقا طبيعيا كأنه لم يشعر بأنه مر يوم دون أن أتصل به .. وقال :

ـ كنتى فين .. ما تكلمتيش امبارح ليه ؟ ..

قلت فى وقار وقلبى يخفق لصوته :

ـ وحشتك ؟ ..

قال :

ـ طبعا ..

قلت وأنا أضع رنة تحد فى صوتى :

ـ يظهر حاوحشك على طول ..

قال وقد هدأ انطلاق صوته :

— قصدك ايه ؟ ..

قلت :

— خلاص .. حاتخطب ..

وسكت ..

سكت برهة طويلة ..

وقلت وكأنى شامتة فيه :

— زعلت ..

قال وفى صوته حشرجة طفيفة :

— أبدا .. بس اتفاجئت ..

قلت متهكمة :

— على كل حال أنا عملت زى أختك ما وصتنى ..

قال فى أسى :

— أختى لها حق .. وانتى لك حق ..

وسكت قليلا ثم قال .

— ومين الخطيب المره دى ..

قلت كأنى أغيظه :

— واحد كويس قوى ..

قال :

— اسمه ايه ؟ ..

قلت :

— ما اقدرش أقول لك ..

قال :

— ما دام كويس .. مش عايزه تقولى اسمه ليه ..

قلت :

— مش دلوقتى .. يمكن أقول لك بعدين .. المهم انى مش حالقدر أشوفك بعد كده ..

قال وهو يتنهد :

— برضه أحسن ..

واغتظت .. كنت أريده أن يطلب لقائى ولو لآخر مرة .. كنت أريده أن يتوسل الى .. أن يبكى .. أن يشعرنى بأنه لا يستطيع أن يستغنى عنى .. لا يستطيع أن يعيش بدونى .. وربما كنت ذهبت اليه .. بل قطعا كنت سأذهب اليه لو طلب لقائى ، فقد كانت كل قطعة منى تحن اليه .. ولكنه لم يفعل .. تركنى لقرارى ..

وأعدت سماعة التليفون وأنا نادمة .. نادمة لأنى حادثته ..

وانقضى اليوم أثقل من سابقه .. وجاءت خالتى سعدية لتحدثنى عن العريس الجديد .. عريس لقطة .. وهو فعلا لقطة .. ولكنى كنت أستمع الى حديثها فى برود .. ليس هناك أمل يحرك دمائى ، أو يثير لهفتى .. كنت يائسة .. اكتشفت أنى يئست من نفسى منذ قررت أن أيأس من هاشم ..

وجاء العريس ..

حسن ..

شاب فى الرابعة والثلاثين .. أسمر .. حلو التقاطيع ، يحمل فوق وجهه شاربا كثا كبيرا ، أكبر من سنه .. ربما اقتبسه من الانجليز عندما كان يتلقى علومه فى انجلترا .. وضحكت لشاربه عندما رأيته لأول مرة .. ولمحت الفرحة فى عينيه عندما رآنى كأنه لم يكن ينتظر ان يجدنى جميلة الى هذا الحد .. انه من الناس الذين لا يرون صدرى الصغير ، ولا ظهرى الممسوح ؛

ولا يعتقدون أن عينى الواســعتين جاحظتــان ، أو أن بشرتى البيضاء صفراء ..

وجلست أمامه وأنا أدعى خفر العروس وهدوءها ..

وهو ثابت الشخصية .. جرىء .. لم يرتبك .. ولم يتلعثم .. رغم فرحته بى التى تبدو فى عينيه .. ولم تنقض لحظات حتى ملك الحديث كله .. وأثار ضحكات أمى .. وقهقهة زوجها .. وفى خلال حديثه كنت ألمح عينيه يتفحصانى .. يسقطان على ساقى .. ويرتفعان الى صدرى .. ويتوقفان عند شفتى .. وربما جرأته لم تجرحنى ..

وتحمس له زوج أمى الى حد أن أصر على أن يدعوه ليلتها الى العشاء .. وفتح له زجاجة ويسكى .. وزوج أمى لا يفتح زجاجة ويسكى الا فى المناسبات العزيزة ..

وامتلأ الليل بالضحكات التى أثارتها نكات حسن وتعليقاته ..

وعندما هم بالانصراف أمسك بيدى وضغط عليها ضغطة واضحة جريئة ، ورفع الى عينيه الفرحتين بى ، ثم انحنى يقبل يدى ..

وسرت قبلته حتى كوعى ..

لا أكثر ..

وسحبت منه يدى ، وأنا أنظر اليه وأبتسم فى خفر .. لا زلت أمثل دور العروس ..

وبعد أن خرج ، سألتنى أمى والفرحة تزغرد على وجنتيها :

ــ ايه رايك باه ؟ ..

قلت بلا مبالاة :

ــ باين عليه جدع كويس ..

وصاح زوج أمى :

ــ كويس بس .. ده لقطه .. علم ومركز وعيله .. عمرك ما حتلاقى أحسن منه ..

وابتسمت لزوج أمى كأنى اطمئنة .. ودخلت غرفتى أفكر فى حسن .. ووجدت نفسى أقارن بينه وبين هاشم .. انه لا يقل عن هاشم .. لا فى المركز ولا فى العيلة .. ربما يقل عنه فى شهرته .. هاشــم كطبيب اشــهر مــن حســن كمهنــدس ويختلف عنه فى الشخصية .. كلاهما له شخصية تبرز فى أى مجتمع .. ولكن شخصية هاشم أثقل فى وزنها من شــخصية حسن .. وكلاهما وسيم .. ربما لو كان أنف حسن أكبر قليلا ، لأصبح فى وسامة هاشم ..

ولكنى وجدت نفسى بعد قليل أفكر فى حسن من وجهة نظر هاشم .. لم يعد المهم هو رأيى فى حسن ، بل رأى هاشم فيه .. وأخذت أتصور ماذا يمكن أن يقول هاشم عن حسن .. عن شكله .. عن مركزه .. عن عائلته .. وهل يمكن أن يغار منه .. ثم أخذت أنساق وراء أحلام كأحلام الأطفال .. تصورت نفسى أتعشى فى سميراميس مع حسن ، وهاشم جالس فى مائدة مواجهة ينظر الينا فى غيظ ونكد .. وانا أميل على حسن واضع رأسى بجانب رأسه ، ونضحك .. ثم أنظر من طرف عينى الى هاشم لأشرب من غيظه ومن نكده .. ثم تستطرد بى الأحلام .. فأتصور أن هاشم أيضا معه امرأة أخرى .. وأتصور حالى .. هل أستطيع أن أبتسم ساخرة .. هل أستطيع أن أهز كتفى بلا مبالاة .. لا .. لن أستطيع .. ربما قمت وانصرفت بمجرد أن أراه مع أخرى .. ربما صرخت .. ربما هجمت عليها وأنشبت اظافرى فى وجهها .. وأحسست بقلبى يرتعش لمجــرد هــذا

التصور .. أحسست بدمائى تثور .. رأسى يلتهب .. عيناى تشقان ظلام الغرفة لأتأكد أن ما أتصوره هو مجرد تصـــور .. وأنى لم أر هاشم .. فى سميراميس مع أخرى ..

وانتهيت الى أنى أصبحت أفكر فى هاشم وحده .. نسيت حسن .. وبدأت قول لنفسى كلاما يضعفنى .. لماذا قررت أن أهجر هاشم الآن .. لماذا لا أنتظر الى أن تعلن خطوبتى رسميا ثم أهجره .. قد لا تعلن الخطبة .. قد يحدث أى شىء .. فلماذا لا أحتفظ بهاشم حتى آخر يوم . انى فى حاجة اليه .. وأنا أشعر وهو معى بأنى قوية .. أستطيع على الأقل أن أتمعن فى الرجل الذى سأتزوجه ، ولا أرتمى عليه لمجرد الخلاص من هاشم ..

وتملكنى هذا الضعف ..

وكنت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ..

والبيت كله نائم ..

وتسللت على أطراف أصابعى الى التليفون ، وعدت به الى غرفتى ، وأدرت رقم هاشم .. فى البيت .. وسمعت صوته .. انه يضع التليفون دائما بجانبه عندما يكون فى البيت .. انه طبيب ..

وقلت فى صوت هامس ، رغم انه لم يكن هناك داع للهمس :

— ازيك ..

وقال وهو يقلدنى فى همس :

— ازيك انتى ..

وهمست :

— انت فاضى بكره الساعه أربعه ؟

وهمس :

— آه ..

وهمست :

— طيب حاشوفك بكره .. تصبح على خير ..

وضعت سماعة التليفون ، وقمت أتسلل وأعدت التليفون الى مكانه ..

ولم أندم ..

استرحت ..

ونمت ..

وذهبت اليه فى اليوم التالى .. وكنت أشعر بأنى قوية وأنا ذاهبة اليه .. قوية فى شخصيتى ، وفى اعتزازى بنفسى .. قوة أستمدها من حسن .. فلم يعد هاشم هو الرجل الوحيد فى حياتى .. لم أعد فى حاجة اليه لأتزوج .. انى أستطيع أن أتزوج غيره بسهولة ..

وكان فى انتظارى ..

فتح لى الباب .. ووقف ينظر الى ، كأن كل حبه تجدد فى لحظة واحدة .. ولا أدرى لماذا شعرت ساعتها بأنه مهتز .. فيه شىء مهتز .. وابتسمت له ابتسامة قوية كأنى أشفق عليه .. أتعطف عليه ..

وألقى نظرة سريعة على أصابع يدى ، كأنه يبحث فيها عن شىء .. فلم يجد فيها سوى دبلته الفضية .. واتسعت ابتسامته .. ثم أخذنى بين ذراعيه .. وضمنى اليه فى حنان عجيب لم أشعر به منه من قبل .. كأنه يستريح فى صدرى .. ثم أبعدنى عنه وابتسامته لا تزال تملأ همه .. وقال :

— انتى صحيح اتخطبتى ..

وهززت رأسى وقلت :

ــ تقريبا ..

قال وهو ينظر فى عينى كأنه يبحث عن الحقيقة :

ــ تقريبا يعنى ايه ..

قلت وأنا أبتسم فى تدلل :

ــ يعنى كان عندنا امبارح لغاية نص الليل ..

وأدار لى ظهره ، وقد انهار وجهه حتى خيل الى أن أنفه سيقع من مكانه ، وتقدم من المكتبة الصغيرة والتقط كتابا ، أخذ يقلب فيه كعادته عندما يغضب ..

وقلت فى لهجة قوية :

ــ هاشم .. ما تعملش كده .. لازم تشجعنى على انى اتخطب .. وأتجوز .. انت عارف انى مش ممكن أعيش بالشكل ده على طول ..

قال وهو يحاول أن يسترد بروده وغروره :

ــ يعنى عايزانى أعمل ايه ؟ ..

قلت :

ــ عايزاك تبقى لطيف معايا ..

قال :

ــ لو كنتى عايزانى أشجعك على الجواز يبقى لازم ماكنش لطيف معاكى .. لازم أخليكى تكرهينى ..

قلت وأنا أقترب منه :

ــ انت عارف ان عمرى ما حاكرهك .. ولو حاولت تخلينى اكرهك ، حاتعلق بيك زياده .. لو كنت عايزنى أتجوز بصحيح خليك لطيف معايا لغاية ما اتجوز .. لغاية ما اقدر أستغنى عنك ..

قال وهو يلقى الكتاب من يده وينظر فى عينى :

ــ واقدر أكون لطيف ازاى وانتى كنتى قاعده مع واحد تانى لغاية نص الليل ..

وقاطعته وأنا ألتصق به :

ــ بتغير على للدرجه دى يا هاشم ..

قال وهو يشيح بوجهه عنى :

ــ مش غيره .. مبدا .. مبادىء يا أمينه .. لازم تعرفى ان مش ممكن تكونى لرجلين فى وقت واحد .. .. الجوازه اللى فاتت ، استحملناها لأنك كنت متجوزه غصب عنك ، ولأنك اتجوزتى قبل ما تشوفينى . انما الدور ده بتتجوزى بارادتك .. ما لكيش عذر .. ولا لى عذر ..

قلت وأنا أطوق عنقه بذراعى :

ــ عذرى انى لازم اتجوز وعذرك انك مش عايز تتجوز ..

ورفع يديه ليزيح ذراعى من حول عنقه .. وهو يقول :

ــ ده مش عذر .. ده موضوع تانى .. ده ..

وقبل أن يتم ، أسكته بشفتى ..

ذابت بقية كلماته فوق لسانى ..

وذبت فى قبلته .. ذبت .. كأنى لم اقبله منذ مائة سنة .. وكل قطعة منى تتمسح فيه .. وجسدى الذى شققه العطش ، يشرب ..

ولكن هاشم تغير

ليس عنيفا ..

لا يضربنى ..

أخذنى برفق واحترام .. كأنى شىء كبير محترم .. وفى عينيه نظرة ضعيفة مبتهلة .. كأنه يودعنى .. أو كأنه يأخذ

شيئا لم يعد من حقه .. أو كأنى أصبحت أقــوى منه لمجرد أن رجلا آخر تقدم ليخطبنى ..

انى لا أريده هكذا ..

لا أريد أن أكون أقوى منه .

لا أريد أن أكون محترمة ..

أريده عنيفا كما تعودته .. يضربنى .. يمزقنى .. يلوى خصلات شعرى بين أصابعه .. وفى عينيه هــذه النظرة التى تخيفنى . كأنه سيخنقنى .. سيشرب دمى .. ســيأكلنى .. و ..

وأنشبت أظافرى فى كتفه العارى .. بكل حدتها .. فصرخ .. وضربنى ..

ورغم ذلك .. فبعد أن انتهت هذه اللحظات عدت أتمتع باحساسى بالقوة .. قوتى عليه .. وتمتعت بنظرته الضعيفة وهو يسألنى فى لهفة :

ـــ حاقدر أشوفك تانى ؟ ..

وقلت وأنا ابتسم ابتسامة واثقة فيها خيلاء :

ـــ مش عارفه لسه ..

وخرجت وأنا أدب الأرض بكعب حذائى العالى فى خيلاء كأنى فتحت عكا .. كأنى امبراطورة زمانى ..

وقد عدت اليه ..

عدت مرات كثيرة ، وأنا أتعلل بأن خطبتى الى حسن لم تعلن بعد .. ويوم تعلن لن أذهب اليه .. سأقطع ما بينى وبينه ..

وحسن يتردد على البيت كل يوم ، يحمل شاربه الكث تحت أنفه ، ويحمل فى يديه هدية .. ولكنه يأتى وحده .. المفروض أن تأتى معه أمه ، أو أبوه ، أو احدى اخوته البنات ، حتى نبدأ

فى اتخــاذ اجراءات الخطبة .. أبوه ســافر .. أخته دخلت المستشفى ..

ولم أصدق كل هذه التعللات ..

وخفت ..

خفت أن يكون قد سمع شيئا عن حكايتى مع هاشــم .. ومنذ أن جاء ورأيته لأول مرة ، وأنا أسائل نفسى هذا السؤال .. هل يعرف شيئا .. وطمأنتنى مواظبته على التردد على البيت ، واستمراره فى مشروع الخطبــة .. ولكنى عدت أخــاف .. والخوف يضعفنى أمام هاشم ..

الى أن كان يوم ..

وجاء حسن كعادته .. وبعد أن جلس مع العائلة كلها بعض الوقت ، نظر الى نظرة طويلة ، وعلى شفتيه ابتسامة باهتة . ثم التفت الى أمى قائلا :

ـــ أقدر أقعد أنا وميتو لوحدنا شويه ؟ ..

والتفتت أمى الى زوجها ، ثم ترددت قليلا ، وقالت :

ـــ وماله يابنى .. ده حقك ..

وكانت أمى حريصة حتى هذا اليوم على ألا تتركنا وحدنا أبدا ، حتى تدخل فى وهم حسن اننا عائلة محافظة .. ولكنها اضطرت أمام نظرة حسن الجادة ، أن تذعن لطلبه ..

والتفت الى حسن وقال :

ـــ تحبى نقف فى الفرانده شويه ؟

وهززت رأسى بالموافقة ، وخــرجت الى الشرفة وقــلبى يرتجف ، واستندت على حاجزها ، أطل على الشارع ، وجاء حسن ورائى ووقف بجانبى .. وأشعل سيجارة .. وصمت قليلا .. ثم قال ودخان سيجارته يتخلل شعرات شاربه الكث :

— أنا حاكلمك بصراحه يا ميتو .. مش حا اخبى عنك حاجه .. واللى يخلينى أكلمك بصراحه ، انى فعلا اتمنى اليوم اللى نتجوز فيه .. أنا حاسس من دلوقتى انى باحبك .. وباحبك قوى كمان ..

ورفعت اليه عينى الواسعتين ، ثم خفضتهما ، دون أن اتكلم .. لم أجد شيئا أقوله ..

واستطرد حسن قائلا :

— أنا أمى واخواتى ، معارضين فى جوازنا ..

ورفعت رأسى اليه فى لفتة عنيفة ، كأنى ضقت بخوفى وارتجافة قلبى ، وقلت والدماء تتجمع فى رأسى :

— أنا كنت حاسة بكده .. واحب أقول لك من دلوقتى اننا مش ممكن نتجوز الا اذا كانوا أهلك موافقين .. وييجوا يخطبونى كلهم ..

وقال كأنه يعتذر لى :

— أرجوكى يا ميتو .. استحملى كلامى للآخر .. لازم نتكلم بصراحه .. ومن غير زعل .. أنا حاسس انك تقدرى تفهمينى أكتر ما أهلى يقدروا يفهمونى ..

وعدت أطل من فوق حاجز الشرفة ، وقلت :

— اتفضل اتكلم ..

قال :

— اننى عارفة الأمهات ، وعقلية الأمهات .. أمى كانت الأول بتعارض لأنك سبق اتجوزت ولأنك مخلفة .. وطبعا هى فاهمه ان ابنها صغير وما يصحش انه يتجوز واحده مطلقه .

وأحسست انه يشتمنى ، ولكنى بقيت صامتة .

وعاد يقول :

— وطبعا ده كلام فاضى .. وأنا عارف انى أقدر أقنع أمى .. وعارف ان أمى مستعدة تضحى بكل آراءها علشان سعادتى .. انما فيه موضوع تانى ..

وعدت أرفع رأسى اليه ، وعاد قلبى يرتجف ، وقلت وأنا أحاول أن أضع على شفتى ابتسامة ساخرة :

— خير ..

وقال وهو يدير عينيه عنى :

— سمعت انك تعرفى .. أو كنت تعرفى الدكتور هاشم عبد اللطيف .. وفضلت تعرفيه مده طويله ..

وسقط قلبى فى قدمى ..

وبقيت كما أنا ، أطل من فوق حاجز الشرفة ، دون أن ألتفت اليه ، وقلت وأنا أحس بشوكة فى زورى :

— سمعت من مين ؟

قال كأنه يواسينى :

— من اخواتى البنات .. والحقيقة ناس كتير عارفين الحكايه دى ..

والتفت اليه والدموع تنبثق من عينى ، وقلت :

— انت عايز الحق .. أيوه كنت أعرفه .. قعدت سنتين أعرفه .. وكان مفروض نتجوز .. ومتجوزناش .. وسبته .. وما كانش ممكن انى اقبل أتخطب لك الا اذا كنت سبته ..

وغلبتنى دموعى ..

بكيت من الغيظ .. بكيت من خوف الفشل ..

ونظر الى حسن فى حنان ، وقال كأنه يريد أن ينتهى من الموضوع حتى أخره :

— أقدر أعرف ما تجوزتوش ليه ؟ ..

قلت بسرعة :

ــ لأنه سافل .. زى أى واحد بيعرف بنت ولا بيتجوزهاش ..

قال فى هدوء :

ــ كنتى بتحبيه ؟ ..

قلت بحدة وأنا أنظر اليه فى غضب :

ــ طبعا كنت باحبه .. أمال كنت حا اعرفه ليه ..

قال وهو لا يزال هادئا :

ــ ولسه بتحبيه ؟ ..

قلت وأنا أزداد حدة :

ــ لأ .. لو كنت لسه باحبه كان زمانى لسه معاه .. قلتلك سبته .. وكفايه يا حسن .. كفايه .. انت مالكش حق تحقق معايا .. أنا مش واحده خانتك ولا ضحكت عليك .. احنا لسه ما تجوزناش علشان تعذبنى بكلامك .. أنا قلت لك على كل حاجه ، وبعد كده انت حر ..

وهممت أن أتركه .. ولكنه أمسك بيدى فى رفق ، وقال :

ــ أنا آسف يا ميتو .. انما كان لازم اقولك كل اللى فى قلبى .. أنا ترددت كتير قبل ما أفاتحك فى الموضوع ده .. بقالى سبعة ايام ما بنمش .. وأنا مقدر صراحتك .. ماتقدريش تعرفى اد ايه أنا سعيد لأنك اعترفت لى بكل حاجه .. الاعتراف لوحده معناه انك أحسن بنت فى مصر .. معناه انك ست الستات كلهم ، وأشرفهم .. وانتى عارفه انى عشت فى انجلترا .. مانيش مقفول ولا شيخ طريقه .. وعارف ان كل بنت ضرورى فى حياتها راجل قبل جوزها .. ومش عيب .. انما أنا عايزك تسيبينى أفكر يومين .. فيه حاجه لازم أتخلص منها قبل ما آخد قرارى .. و ..

وقاطعته قائلة فى حدة :

ــ فكر زى ما انت عايز ..

وهممت أن ادخل الى الغرفة .. ولكننى تذكرت زوج أمى .. فتوقفت وقلت له ، وأنا أمسح دموعى :

ــ حانقول لماما وجوزها ايه !

قال :

ــ حا اقول لهم انى لسه باقنع أمى ..

قلت :

ــ من فضلك ما تقلهمش حاجة .. روح دلوقتى حالا .. ومش ضرورى ترجع ..

وقال وهو يبتسم ابتسامة حزينة :

ــ حاضر ..

ثم دخلنا معا الى الغرفة .. وأمى تبحلق فى وجهى لتقرأ فوقه ما تبادلناه من حديث ..

وصافح حسن أمى وزوجها وقبل اخوتى الصغار .. وخرج معتذرا بأنه على موعد .. وصاح زوج أمى ورائى بلهجته العسكرية :

ــ قالك ايه ؟

قلت وأنا أدخل غرفتى :

ــ بعدين ماما تقولك ..

ودخلت غرفتى ..

ولحقت بى أمى ..

وقلت لها ما قاله لى حسن .. قلت لها ان أمه واخوته معارضين فى زواجه منى ، لأنى مطلقة .. ولأن عندى ابنة .. ولأنى أعرف هاشم ..

دقت أمى على صدرها ، وقالت :

ـــ طار الرجل ..

ثم التفتت الى بكل عينيها قائلة :

ـــ وقلتى له ايه على سى هاشم بتاعك اللى مهبب عيشتنا ، وخارب بيتنا .

قلت وأنا انظر الى السقف :

ـــ قلت له انى كنت أعرفه وسبته ..

وعادت تدق على صدرها قائلة :

ـــ وده اسمة كلام ده .. كان لازمته ايه تقولى له انك كنت تعرفى هاشم .. اذا كانت الناس فاضحاكى ، مش ضرورى تفضحى نفسك ..

قلت وأنا لا زلت أنظر الى السقف :

ـــ كده أحسن ..

وصرخت والدموع تنطلق من عينيها :

ـــ ولا أحسن ولا حاجة .. أعمل ايه بس ياربى .. يا رب حرام .. حرام .. حرام تميل بخت البنت بالشكل ده ..

ثم خرجت تمسح دموعها ..

وأنا لا زلت أنظر فى السقف ..

هل كان الأفضل لى أن أنكر علاقتى بهاشم .. وأصر على الانكار .. لعله كان يصدقنى ، ويكذب كل الناس .. أم كان الأفضل هو ما فعلته .. هو أن أعترف .. انى لم أعترف بلا تفكير ، بل فكرت بسرعة .. فى لحظة خاطفة كان عقلى قد تحرك واتخذ قرارا بالاعتراف .. وكنت معتمدة على أن الاعتراف قد يقنع حسن بأن علاقتى بهاشم كانت بريئة ، نظيفة ، بدليل أنى أعترف بهـا .

هل صدق حسن براءتى ..

هل يعود ..

لا أدرى ..

ولكنى تبينت ساعتها أنى بعت مستقبلى كله لهاشم .. انى لم أعد أستطيع أن أتزوج .. لا يكفى أن أكون جميلة ، وأن تكون أمى وخالاتى الخمس حتى أستطيع أن أتزوج فى أى وقت أشاء .. وامتلأت بالحقد .. الحقد على هاشم .. لقد بعته مستقبلى وربما مستقبل ابنتى ، وهو لم يعنى شيئا سوى هذه اللحظات القصيرة ، وهذه النقود التى يعطيها لى ..

وشعرت كأنى أفيق .. أفيق الى الهوة السحيقة التى ترديت فيها .. وتصورت نفسى كأنى أنشب أظافرى فى جدار أملس لأتسلقه وأصعد الى وجه الدنيا .. الى النور .. الى المستقبل ..

لا ..

لن أعرف هاشم بعد اليوم ..

كفانى ..

ورغم ذلك ، اتصلت به فى التليفون صباح اليوم التالى .. كان اليوم فارغا ، وانتظارى القرار الذى سيتخذه حسن يقتلنى .. فاضطررت أن أحادث هاشم .. كأنى اريد أن أطمئن الى أنه لا يزال حيا حتى أقتله .. ولم اقل له ما جرى بينى وبين حسن بالأمس .. خفت أن يشمت فى .. أن يفرح .. اكتفيت أن أحادثه حديثا باردا .. ولم احدد معه موعد لقاء .. كنت قد صممت الا أذهب اليه ..

ومر يوم ولم أسمع شيئا عن حسن ..

واليوم الثانى ..

وفى اليوم الثالث اتصل بى فى التليفون ..

كان رقيقا مهذبا وفى صوته رنة ألم .. وحدثنى عما سمعه من الناس ، وكذبت له كل ما سمعه .. انت عارف كلام الناس يا حسن .. يعنى هم كانوا معانا يا حسن .. الناس ما يصدقوا يلاقوا حكاية يتكلموا فيها يا حسن .. أصل علشان هاشم مشهور الكلام كتر حوالى يا حسن ..

وحسن يبذل كل جهده ليصدقنى .. وليخرج من حيرته ..

واستمر حسن يحادثنى فى التليفون كل يوم .. أحيانا مرتين وثلاث مرات فى اليوم .. انه يحبنى .. لا شك أنه يحبنى .. وأمى واقفة بجانبى تتلقى منى نشرة الأخبار .. ويطمئن قلبها حينا .. وتبأس حينا ..

وطوال هذه المدة لم أذهب الى لقاء هاشم ..

كنت خائفة على نفسى من لقـائه .. خائفة أن يطير منى حسن .. ولم يكن حسن وحده يكفى ليشغلنى عن هاشم .. أبدا .. انى لا زلت أفكر فى هاشم كل يوم .. كل دقيقة .. وقلبى وجسدى يتمزقان لهفة عليه .. ولكن المعركة كانت تعيننى على الابتعاد عنه .. المعركة التى أخوضها لأسترد حسن .. وأسـترد ثقتى فى نفسى .. فى ذكائى .. فى جمالى .. فى قدرتى على التحكم فى مستقبلى ..

وعاد حسن ..

عاد يخطبنى .. وضغط على أمه واخوته البنات ، حتى جئن معه ...

وحددنا موعد اعلان الخطبة فى الأسبوع التالى ..

وامتلأ وجه أمى بالفرحة .. وزغردت خالاتى الخمس .. وقهقه زوج أمى قهقهته العسكرية .. وخيل الى أن شارب حسن ما هو الا رذاذ ضحكة كبيرة تجمدت فوق شفتيه ..

واستعدت ثقتى فى نفسى ..

كل ثقتى ..

ثقتى بأن مستقبلى بين يدى .. ملك ذكائى .. أستطيع أن أتصرف فيه كيف أشاء .. مهما فعلت .. مهما قال الناس عنى ..

وفى نفس اليوم الذى جاء فيه حسن وأمه ليخطبانى ، وبعد أن انصرفا اتصلت بهاشم فى التليفون ..

وذهبت الى لقائه فى اليوم التالى ..

ترى .. لو لم يعد حسن ليخطبنى ، هل كنت أعود الى لقاء هاشم ؟

لا أدرى ..

ولكن يخيل الى أنه لو كان حسن قد صمم على العدول عن الخطبة ، لكان ألقى على درسا ينبهنى الى خطورة الطريق الذى أسير فيه .. ولامتلأت حقدا على هاشم الذى أضاع مستقبلى وهجرته .. ولكن .. لأن حسن عاد ، فقد ازددت اسـتهتارا .. وازددت اندفاعا فى جرأتى .. وفى خطيئتى ..

المهم ..

ذهبت الى هاشم ، وأنا لا زلت أتحجج بينى وبين نفسى بأن الخطبة لم تعلن بعد ، وأنا يوم تعلن ، فسأكف عن هاشـم .. بضعة أيام أخرى .. ثم ينتهى هاشم من حياتى ..

واستقبلنى هاشم ، ونظرة ضعيفة مسكينة تطل من عينيه المنتفختين .. كان يتألم .. ويقاوم حتى لا يبدو عليه الألم .. كان يعرف أنه لم يعد الرجل الوحيد فى حياتى .. هناك آخر ..

وشعرت بالسعادة ، وسرت القـوة فى شخصيتى ، وأنا أرى النظره الضعيفة تطل من عينيه ..

يبدو أننى لا أستطيع أن أكون سـعيدة ولا قوية ، الا اذا كنت لرجلين فى وقت واحد ..

وقال هاشم وهو يتنهد :

ــ احنا مش لازم نشوف بعض بعد كده ..

قلت فى استهتار ساخر :

ــ ما تخافش كلها يومين ومش حاشوفك أبدا .. يا ترى حاتقدر تعيش من غيرى يا هاشم ؟

وهز كتفيه والألم مرتسم فوق شفتيه :

ــ مش عـارف حاعيش ازاى .. انما متـأكد انى مش حاموت ..

وضحكت :

ــ بعد الشر عليك من الموت ..

وقضيت ساعة معه أو ساعتين .. وأنا أميرة .. أنا المسيطرة .. أنا القوية ..

وكل يوم القاء ..

آخذ منه كل ما يستطيع ، وأكثر مما يريد .. كأنى أريد أن أعتصره حتى لا أترك فيه شيئا بعدى ..

الى أن أعلنت خطبتى ..

أقمنا حفلة عائلية صغيرة .. بدوت فيها جميلة .. جميلة .. أجمل مما تعودت أن أبدو .. ربما كان سر جمالى يومها هو فرحتى بنفسى ..

والتوب « البروكار » الذى كنت أرتديه ، اشتراه لى هاشم عندما سافر الى دمشق فى العام الماضى .. والحلق الماسى الطويل الذى يتدلى من أذنى اشتراه لى هاشم فى عيد ميلادى .. والخاتم ذو اللؤلؤة الواحدة اشتراه لى أيضا هاشم ...

وثيابى الداخلية كلها .. قطعة ، قطعة .. اشتريتها من نقود هاشم .. وكنت أحس بكل ذلك .. أحس بأن هاشم معى فى حفلة خطوبتى .. بل أحسست أن حسن لم يخطبنى وحدى ، بل خطبنى أنا وهاشم .. مع بعض .. أو .. على بعض ..

وضحكت لهذا الاحساس ..

وأخذنا حسن بعد الحفلة الصغيرة الى الهيلتون لنسهر هناك ، ومعنا أمى وزوجها .. واعتذر أبى وزوجته ، لأنهما لا يحبـان السهر فى المحال العامة ..

ودعانى حسن فى اليوم التالى لنسهر سويا .. فى ملهى قاصد خير ، وحاولت أمى أن تعارض .. حاولت أن تبدو سيدة محافظة على التقاليد لا تسمح لابنتها أن تخرج وحدها مع رجل الا بعد عقد القران ، حتى لو كان خطيبها .. ولكن أمى لم تستطع أن تصر على رأيها ، فهى تعلم أن حسن يعلم عن ماضى الكثير ..

وهمس حسن فى أذنى :

ــ احنا لازم نظهر مع بعض كتير ، علشان النـاس تنسى الحكايه القديمه ..

وخرجت معه ، ومعنا صديق له وزوجته ..

وحسن انسان مرح .. يرقص .. ويشرب .. ويضحك كثيرا .. وضحكته تهز شاربه هزات سريعة ، فتجعلك تضحك معه .. وهو جرىء فى كلماته .. جرىء فى لمسات يده .. ان يده لا تكف عنى .. أجدها فوق يدى .. ثم أجدها فوق فخذى .. ثم أجدها على كتفى .. وأجدها تعبث بشعرى .. وأجدها تمسح على ظهرى وهو يرقص معى .. لا أستطيع أن أتخلص منها .. انى أقضى السهرة كلها ، أزيح يده عنى ..

وعندما أوصلنى بسـيارته بعد قضاء السهرة ، مال على

ليقبلنى .. لم يكن يريد قبلة هادئة .. قبلة على خدى .. أو على يدى .. كان يريد قبلة كبيرة .. وفوجئت به فوق شفتى .. لا يريد أن يتخلى عنهما .. وأنفاسه تهب على كنفخ النـــار .. وأعصابه كلها مشدودة حولى .. واضـــطررت أن أكون عنيفة لأزيحه عنى .. وأنا أكاد أصرخ :

— مش كده يا حسن .. ما تبقاش مجنون ..

وفتحت باب السيارة ، ونزلت بسرعة ، كأنى أهرب .. وابتسمت له .. كأنى أرطب أعصابه بابتسامتى ..

وكل ذلك لم يغضبنى من حسن ..

لم أكن أحبه .. قطعا انى لا أحبه .. ولكنى كنت أستطيع أن أحتمله .. ولكن ما لم أحتمله منه هو انه لم يستطع أن ينسى هاشم .. كان يذكرنى به دائما .. كان يقطع ضحكته العالية ويهمس فى أذنى .. النهارده شفت الدكتور بتاعك .. ثم يندمج فى حديث مع أصدقائه ويعود الى هامسا .. كنتى بتروحى معاه فين .. ثم يشرب من كأسه ويعود يهمس .. فيه واحده قالت لى النهارده انك مش ممكن تنسى هاشم .. انه مسيطر عليكى .. ساكنك من جوه .. و .. و ..

وقد ذكرت له كل ما استطيع أن أذكره عن علاقتى بهاشم .. وأصر دائما على أنها كانت علاقة بريئة .. وكنت أجيب على بعض أسئلته السخيفة .. وأتجاهل البعض الآخر .. ولـــكنه لا يكف عن الحديث عن هاشم ..

وكان حسن يتركنى ، وبمجرد أن يتركنى اجد نفسى أفكر فى هاشم .. أفكر فيه بكل قطعة منى .. كان حسن يتركنى لهاشم ..

ومنذ أن أعلنت خطوبتى وقد امتنعت عن لقاء هاشم .. حادثته

فى التليفون مرة أو مرتين .. وذكرت له الأماكن التى أسهر فيها مع خطيبى ، فقط لأغيظه .. ولم أطلب منه شيئا .. ولا هو طلب منى شيئا ، فقط قال فى هدوء وألم :

— أرجوكى يا أمينه تبقى تقوليلى حاتسهرى فين ، علشان ما اسهرش فى نفس المكان ، ونحرج بعض ..

وقلت وقلبى ملهوف عليه :

— حاضر ..

ولكنى لم أكن أحادثه فى التليفون كل يوم حتى أقول له أين أسهر هذا المساء .. كنت أريد أن أعود نفسى على الحـــرمان من صوته كما حرمت من لقائه ، وربما كنت أستطيع .. كان يمكن أن اقلل من هذه المحادثات التليفونية الى أن تنقطع .. لو أن حسن ساعدنى .. ولكن حسن لم يساعدنى .. بالعكس .. انه يذكرنى دائما به .. بهاشم .. يذكرنى بأنى لازلت أحبه .. بأنى لا زلت فى حاجة اليه .. يذكرنى به وأنا معه .. ثم يتركنى له بعد أن يوصلنى الى البيت ..

ولم أستطع أن أقاوم طويلا ..

ذهبت الى هاشم ..

دبلة الخطوبة .. فى اصبعى !

اتصلت به فى التليفون ، وقلت :

— عايزاك ضرورى ..

قال :

— خير ..

قلت :

— ما قدرش أقول لك فى التليفون .

قال :

— أحسن بلاش نتقابل يا أمينه ..

قلت فى حدة :

— انت فاكر أنا عايزه أقابلك علشان حاجه .. أبدا .. لولا انها مسألة مهمة ما كانش ممكن أفكر انى أشوفك ..

واستسلم ..

ولقينى بوجهه متجهم .. وبوزه شبرين .. كأنه يضع نفسه فى حالة يستطيع بها أن يدافع عن نفسه ..

لا داعى للتفاصيل ..

لقد استمرت علاقتى بهاشم وأنا مخطوبة لحسن .. واستمر هاشم يدفع لى مرتبى الشهرى .. والتناتيش .. وربما رضى هاشم أن تستمر علاقتنا لأنى أقنعته بأنه لو تركنى الآن فسأتعلق به أكثر ، ولن أحتمل أن أعيش بعيدا عنه .. ولكنى اكتشفت يومها شيئا جديدا فى هاشم .. اكتشفت انه يخافنى .. أو على الأصح يخاف الفضيحة .. وقد كان يعتبرنى مجنونة .. ويخاف أن ينطلق جنونى اذا عاندنى ، فأتسبب له فى فضيحة تهز مركزه واحترامه .. لذلك رضى أن يستسلم لى الى أن يوصلنى الى باب زوجى ، كما كان يقول ..

وكنت فعلا أمنى نفسى بأن أقطع علاقتى به بعد أن أدخل بيت زوجى .. بعد كتب الكتاب .. وقد فشلت فى أن أقطع علاقتى به بعد اعلان الخطبة .. ولكن ما هى الخطبة .. انها مجرد كلام .. انها شىء لا يربطنى بحسن .. انها مجرد فترة تفاهم .. بل انى الى الآن لا أعتبر أنى أخون حسن .. انى لم أصبح زوجته بعد حتى أحاسب على خيانته .. أما بعد كتب الكتاب فسأصبح زوجته ، ويومها يستطيع أن يحاسبنى الناس : وأستطيع أن أحاسب نفسى اذا خنته ..

واقنعت نفسى بهذا الكلام .. وأصبحت أخرج مع خطيبى حسن .. وأتسلل لألتقى بهاشم .. عشرات الحيل كنت أبتدعها لألتقى به .. وكل حيلى تجوز على حسن .. وكلاهما — حسن وهاشم — سعيدان بى .. كل منهما يأخذ نصيبه .. وآخذ منه نصيبى .. وأنا قوية .. أشعر بشخصيتى كاملة ثابتة .. قوية على حسن بهاشم .. وقوية على هاشم بحسن .. وسعيدة بقوتى .. كنت أيامها فى منتهى السعادة .. سعادة سوداء .. سعادة مدنسة .. ولكنها سعادة ..

وقد حدث فى هذه الأثناء حادث صغير أعتقد أنه كان له فى حياتى أثر كبير .

كنت فى زيارة أبى ، وأستقبلتنى زوجته مرحة أكثر مما تعودتها .. ترتدى قميص نوم فوقه روب دى شامبر ، مشغولين بالدانتيل .. وابتسامة كبيرة تقفز فوق شفتيها وتطل من عينيها .. وسألتها وأنا دهشة لحالها :

— مالك يا فايزه .. ايه اللى مفرحك كده ؟ ..

ونظرت الى والفرحة تلمع فوق خديها :

— أقول لك ولا تقولبش ..

قلت وأنا لازلت غارقة فى العجب :

— قولى ..

قالت كأنها تزغرد :

— أصلى امبارح اتجوزت أبوكى ..

وخبطت على صدرى وأنا أضحك قائلة :

— انتم كنتم لسه ما تجوزتوش ..

قالت وهى تعوم فى ضحكة رنانة :

— لا .. أصلى أنا اتجوزت أبوكى حته حته ..

قلت فى دهشة :

— حته حته ازاى ؟ ..

قالت كأنها تروى قصة عمرها :

— شوفى يا ستى .. بأه أنا عرفت أبوكى وهو متجوز البلوه الى كان متجوزها .. وقعدت معاه سنتين من غير جواز .. وبعدين كتبنا ورقه واحده .. ورقه عرفيه .. وفضل أبوكى شايل الورقه معاه .. وطبعا ما سكتش بعد كمان سنه .. خليته طلق مراته .. وكتب الورقه التانيه .. اديتها لأبويا ، وجبت قعدت مع أبوكى .. يعنى اتجوزنا جواز عرفى .. وبرضه ما سكتش .. فاتت كما سنتين .. وامبارح بس كتب على شرعى .. هو أنا كنت أقل من مين .. ده ضفر رجلى بعمر الستات اللى اتجوزهم كلهم .. ما عدا مامتك طبعا .

ونظرت الى زوجة أبى وأنا مبهورة ، كأنها فتحت لى عالما جديدا مستورا . لم أسمع عنه من قبل .. وبسرعة وجدت نفسى أفكر فى هاشم .. لم يخطر على بالى من قبل أن أتزوج هاشم حته حتة .. حتة .. وكنت أسمع عن الزواج العرفى .. ولكنى كنت أسمع عنه كما أسمع عن الحشيش ، وعن الأفيون .. أشياء موجودة ولكنها ليست موجودة فى حياتى .. فقط أسمع بها .. ولكنى اكتشفت أن الزواج العرفى يمكن أن يوجد فى حياتى .. انه موجود فعلا وأبى قد تزوج عرفيا .. واكتشفت أيضا أن الزواج العرفى قد يبدأ بورقة واحدة .. ثم ورقتين .. ثم زواج شرعى .. حتة حتة ..

وعدت أنظر الى زوجة أبى ، مبهورة الأنفاس .. كأنى أنظر الى ساحرة .. الى سيدة عظيمة .. شاطرة وامتلأت عيناى الواسعتان بالحسد .. حسدتها على شطارتها .. وعلى ذكائها ..

ترى . لو كنت حاولت أن أتزوج هاشم بورقة واحدة .. ثم ورقتين .. هل كان قد انتهى بى الأمر الى أن أصبح زوجته الشرعية ؟

من يدرى ..

وأخذت أستزيد زوجة أبى من التفاصيل .. عصرت منها كل ما تعرفه عن الزواج العرفى ، وعن الطريقة التى اتبعتها لتقنع أبى بها .. وتركتها وقد أصبحت مثلى الأعلى بين النساء .. وكان هذا المثل الأعلى كفيلا بأن يدمر ما بقى منى ..

ولم أحاول بعدها مباشرة أن أقنع هاشم بالزواج العرفى .. صحيح أنى كنت أتمنى أن أتزوجه أكثر من أى شىء فى الدنيا .. فلم يكن زواجى به هو مجرد نظرة الى المستقبل ، بل كان أيضا تصحيحا للماضى الذى عشت فيه .. كان زواجى به براءتى من كل خطاياى .. يغسل قلبى وجسدى .. ولكنى رغم ذلك ، لم أحاول فى مبدأ الأمر أن أفتح له موضوع الزواج العرفى .. انما كنت أحاول أن أكتفى بنصيبى .. أكتفى بحسن .. وأحمد الله .. ولكنى لم أستطع أن أنزع فكرة الزواج العرفى من رأسى .. كنت أقضى ساعات طويلة وأنا أتصور أن هاشم كان من الممكن أن يتزوجنى زواجا عرفيا .. على الأقل بورقة واحدة ، يحتفظ بها معه .. فهو لن يخسر شيئا بهذه الورقة .. ويستطيع أن يمزقها فى أى وقت يشاء .. ويستطيع أن ينكر زواجه بى أمام الناس اذا أراد .. ولكنها تحمل لفظ الزواج .. انها على الأقل ترضى كبريائى .. ترفعنى عن مستوى البنات اللاتى يعرفهن هاشم .. ويمكن بعد ذلك أن تصبح الورقة ورقتين .. ثم تصبح زواجا شرعيا .. بعد أن يكون هاشم قد

تعود على نوع من الحياة الزوجية .. واطمأن الى .. وشفى من غروره .. تماما كما فعلت زوجة أبى ..

وكنت أحاول أن أطرد هذه الأفكار من رأسى ..

ولكنها تعود الى ..

وفى كل يوم أرى أفكارى أوضح من اليوم السابق .. وفى كل يوم أقسو فى لوم نفسى لأنى لم أعرض على هاشم فكرة الزواج العرفى قبل أن أعلن خطبتى على حسن .. وأندم على العمر الطويل الذى فات وأنا جاهلة ، مغمضة العينين ، لا أدرى أن هناك طريقا للزواج اسمه الزواج العرفى ..

وهذا الاحساس دفعنى دون أن أدرى الى التهاون فى اتخاذ الحيل التى تعودت أن ألجأ اليها حتى لا أثير شك حسن فى كلما ذهبت الى لقاء هاشم .. فاندفعت فى لقائه ، أكثر جرأة .. وتهاونت حتى فى ملاحظة نظرات الشك التى بدت تطل من عينى حسن .. وأسئلته الكثيرة السخيفة التى يوجهها لى .. ثم لم أحاول أن أكتشف سر تغير معاملة حسن لى .. لقد أصبح يعاملنى كأنى عشيقته لا خطيبته .. ويقبلنى قبلات وقحة .. ويطالبنى بأشياء لا يمكن لرجل يحترم خطيبته أن يطالب بها .. بل انه عرض على ذات ليلة ونحن عائدان من سهرتنا ، أن يصحبنى الى شقة أحد أصدقائه .. وغضبت يومها .. ثرت .. وكدت أصفعه على وجهه .. ونزلت من السيارة ، وتركته يجرى ورائى ، ويقبل يدى وهو يعتذر لى ويؤكد أنه لم يكن يقصد شيئا ..

الى أن كان يوم ..

وكنت مع هاشم فى شقته فى الزمالك .. وكنت قد قلت

لحسن انى ذاهبة الى زيارة أبى .. واطمأننت الى انه سينام بعد الغداء كعادته ..

ثم تركت هاشم ..

وما كدت أخرج من باب العمارة حتى وجدته أمامى ..

حسن ..

فى سيارته ..

وقفت أنظر اليه ودمائى تنسحب منى .. وقشعريرة تسرى فى بدنى .. وهو يطل من نافذة السيارة ، ويبتسم ابتسامة تسيل من تحت شاربه الكث .. كأنه فرح لأنه ضبطنى .. كأنه يتباهى على بذكائه ..

ولا أدرى هل فكرت ساعتها أم لم أفكر .. ولكنى وجدت نفسى أندفع الى سيارته ، وأفتح بابها ، وأجلس بجانبه ثم قلت فى برود :

— من فضلك وصلنى البيت .

ونظر الى فى دهشة ، واهتزت ابتسامته تحت شاربه ، كأنه فوجىء بتصرفى .. ثم قاد سيارته فى صمت ..

واستمر الصمت بيننا فترة طويلة الى أن وصلنا من الزمالك الى شارع رمسيس .. ثم التفت الى وقال ، وشاربه مسدل فوق شفتيه وعلامات الجد تكسو جبينه :

— اسمعى .. ميتو .. أنا ..

وقاطعته قبل أن يتم ، وأنا لا أنظر اليه :

— احنا لازم نسيب بعض يا حسن .. انا لسه باحب هاشم .. وهو مستعد يتجوزنى ..

وارتفع حاجباه ، وقال وقد انقلب موقفه من الهجوم الى الدفاع :

— ازاى ده .. هى المسائل سهله بالشكل ده يا مينو ..
قلت :
— كل حاجة صريحه سهله . . وانا باكلمك بصراحه ..
قال وقد بدأ ينهار :
— واشمعنى عايز يتجوزك دلوقتى ..
قلت فى سرعة وبرود :
— لأنه ما استحملش ان واحد تانى يتجوزنى ..
قال والألم ينضح من عينيه :
— يعنى انا كنت لعبه فى ايديكى .. لعبت دورى .. ورميتينى .. مش كده ..
قلت وقد بدأت أشفق عليه :
— أبدا يا حسن .. أنا ما كنتش فاكره ان هاشم بيحبنى للدرجه دى .. ما كنتش منتظره ابدا انه حايفكر يتجوزنى ..
قال وكأنه على وشك أن يبكى :
— بس أنا حبيتك أنا كمان يا ميتو .. وفكرت أتجوزك قبل ما يفكر ..
وفكرت لحظتها أن أعدل عن خطتى .. أن أفيق من جنونى .. أن أقبل حب حسن .. وأن أسأله الصفح .. ولكن كان من المستحيل أن أعدل .. كنت منساقة فى خطتى بدافع مجهول .. كأنى ألقى نفسى فى البحر .. فى النار .. وقلت :
— أنا آسفة يا حسن .. مش عارفه أقولك ايه .. بس كده أحسن ..
ولعل ما حدث كان هو الأحسن فعلا .. لعل حسن لم يكن ليصفح عنى أبدا بعد أن رآنى خارجة من العمارة .. من شقة عشيقى .. وربما كان خوفى من الا يصفح عنى حسن ، هو الذى

دفعنى الى التمسك بخطتى .. بكذبتى .. رغم الحاج حسن .. رغم توسله .. رغم دموعه التى بللت شاربه ..
وقد كان حسن نبيلا ..
لم يقل شيئا لأهلى ..
كل ما قاله اننا لم نتفاهم ، واننى أنا التى طلبت فسخ الخطبة .. وانسحب .. رفض أن يسترد هداياه .. بل رفض أن يسترد الدبلة .. دبلة من ماس ..
ولطمت ساعتها أمى ..
وحاولت أن أكرر عليها قصة هاشم وانه قرر أن يتزوجنى .. ولكنها لم تصدقنى .. انها تبكى .. تبكى كل دموعها ، وتدعو على هاشم ، وسنين هاشم ..
المهم هو زوج أمى ..
لقد صرخ فى وجهى :
— على الطلاق بالتلاته مانتى قاعده فى بيتى .. انتى جرستينا وخليتى راسنا فى التراب .. انتى فاكره انى مش عارفك وعارف بتعملى ايه .. انتى طالعه لابوكى .. منحله .. بايظه .. انتى ما يصحش تقعدى فى عيله .. انتى تقعدى فى الشارع .. فى كباريه .. أنا عندى بنات خايف عليهم .. وخايف على سمعتهم .. اطلعى بره بيتى .. بره ..
وصرخت أمى ..
وارتمت على صدره تستعطفه بدموعها :
— اهدى بس يا خويا .. مش كده .. حرام عليك دى مالهاش حد غيرك .. دى بنتك .. انت ربيتها وهى لسه عندها تلات سنين .. علشان خاطرى .. أبوس رجلك ..
وعاد يصرخ :

— أنا حلفت بالطلاق .. فاهمه يعنى ايه الطلاق .. وعلى الطلاق بالتلاته ما انى شايفه بنتك دى بعد النهارده .. لو شفتيها تبقى طالقه .. طالقه .. حرام عليكى خافى على بنتك الصغيره .. خافى على بنتنا .. وسمعتنا ..

ولم أعد أحتمل .. لم أبك .. لم أتوسل .. لقد ركبنى ساعتها شيطان أهوج .. وصرخت فى وجه زوج أمى :

— انت فاكر انى ماليش أب .. أنا كنت قاعده هنا علشان ماما مش علشان محتاجه لك .. أنا رايحه لبابا ..

وحملت ابنتى .. فى قسوة كأنى أحمل حقيبة ثيابى ..

وخرجت ..

وتعلقت أمى بأذيالى ، ودموعها تجرى على خديها ، وتقع تحت أقدامى :

— استنى يا مينو .. استنى ..

وقلت كأنى أكبر منها :

— لا يا ماما .. مش ممكن أسيبك تطلقى علشانى ..

قالت وهى تحاول أن تمد يدها الى ابنتى هدى :

— طبب سيبى هدى .. الدنيا ليل يمكن تاخد برد ..

قلت وأنا أنتزع نفسى منها ، وأبعد ابنتى عن يديها :

— لا .. دى بنتى ..

وخرجت ..

طردت ..

وذهبت الى بيت أبى ..

واستقبلنى أبى فى صمت حزين ، فقد كان زوج أمى قد اتصل به ، وأبلغه أنه لم يعد يستطيع ان يحمل مسؤوليتى بعد ان فسخت خطبتى لحسن .. وقال له كل ما يعرفه عنى ..

وكانت لى غرفة فى بيت أبى كما ذكرت ، وكنت أذهب اليه وأقضى فى بيته أياما .. ولكنى فى هذا اليوم لم أشعر أنى ذهبت الى بيت أبى .. شعرت أنى دخلت الى بيت غريب .. ليس هذا بيتى .. لأن ليس فيه أمى .. وأنا غريبة هنا ..

ووضعت ابنتى فى فراشى ..

وانكفأت بجانبها أبكى ..

بكيت الليل كله ..

ولم أعد من ليلتها الى بيت أمى .. وأصبحت لا أراها الا سرا .. كأننا عاشقان .. خوفا من أن يعلم زوجها بلقائنا فيوقع عليها يمين الطلاق .. كنا نتقابل فى بيت خالة من خالاتى .. وأحيانا نتفق على اللقاء عند الخياطة .. وأحيانا فى دكان من دكاكين شارع قصر النيل ..

ودخلت من يومها فى حياة جديدة ..

وقد هرعت الى هاشم فى اليوم التالى ، وقلت له والدموع تملأ عينى :

— أنا فسخت خطبتى .. سبت خطيبى ..

وامتلأ وجهه بالذعر ، وقال وكأنه بلع حصاة :

— ليه ؟ ..

قلت :

— علشانك ..

قال وهو يبتعد عنى ويشوح بذراعيه :

— علشانى أنا .. ليه أنا عملت ايه .. أنا قلت لك سيبيه ..

قلت وأنا أنشج فى بكائى :

— شافنى وأنا خارجه من عندك ..

ونظر الى وكأنه يتهمنى بالكذب :

— وعرف الشقه منين ..

قلت :

— مش عارفه .. يمكن كان بيراقبني ..

وصرخ :

— انتى السبب .. انا قلت لك مش لازم نشوف بعض بعد ما تخطبتى ..

قلت وأنا أحتد فى بكائى :

— أنا ضيعت حياتى كلها علشانك يا هاشم .. حياتى كلها ضاعت .. مش بس سببت خطيبى .. وجوز أمى طردنى من البيت ..

ثم ارتميت على الأريكة أبكى بكاء صارخا .. وأشد شعرى بأصابعى .. أشد بقسوة .. لعل الألم الذى أشعر به من شد شعرى ، يخفف من الألم الذى أشعر به فى صدرى ..

وجاء وجلس بجانبى وأخذ يربت على ظهرى بيد ثقيلة ليس فيها حنان .. وقال فى صوت جاف :

— ما تعيطيش يا أمينه .. العياط مش حايحل حاجه ..

وعندما رفعت رأسى اليه ، رأيت وجهه مكتسيا بالألم ، وشفتيه مقلوبتين ، كأنه قرفان من حياته .. ومنى ..

والقيت نفسى من فوق الأريكة ، وسجدت تحت قدميه ، وتعلقت بركبته ، ورفعت اليه عينى المخضلتين بالدموع ، وقلت فى توسل :

— احنا لازم نتجوز يا هاشم .. لازم .. لازم ..

وأدار رأسه عنى ، وقال وهو يتنهد :

— ما حدش بيتجوز بالطريقة دى يا أمينه ..

قلت على الفور :

— نتجوز جواز عرفى ..

ونظر الى فى دهشة كأنه فوجىء باقتراحى ، وقال :

— ما فيش حاجه اسمها جواز عرفى ، وجواز شرعى .. يا جواز ، يا مش جواز ..

قلت كأنى لم أسمع كلامه :

— نكتب ورقه واحده .. وخليها معاك .. بس نتجوز .. أى جواز ..

وأزاحنى من تحت قدميه ، وقام واقفا ، وقال محتدا :

— ايه اللى ورقه واحده .. ورقتين .. جايبه الكلام ده منين .. ما فيش بنت عيله تفكر التفكير ده أبدا ..

قلت :

— طيب تعال نقف فى البلكونه .. ونرفع راسنا لربنا .. وتقول انك اتجوزتنى ..

وصرخ :

— انتى حاتجننينى .. الجواز مش كلمه .. ولا ورقه .. الجواز بيت وعيله ، وأولاد .. وأنا مش عايز لا بيت ولا عيله ولا أولاد .. ولازم تواجهى الحقيقه .. لازم تعرفى ان احنا مش متجوزين ، ومش حانتجوز .. وما تضحكيش على نفسك .. واجهى الحقيقه علشان تعرفى تتصرفى ..

وبقيت صامتة ..

كل شىء فى داخلى صمت فجأة ، حتى دموعى ..

وقلت وأنا ساهمة :

— طيب بلاش .. بلاش يا هاشم .. حاافضل معاك من غير جواز .. حاواجه الحقيقه ..

ولم أكن صادقة فيما قلت ..

ولكننى فجأة ، اكتشفت انى تعجلت .. كان يجب أن أنتظر مناسبة أخرى لأحاول أن أقنعه بالزواج .. والزواج العرفى ..

وتركته ..

عدت الى بيت أبى ..

وفى بيت أبى حياة تختلف تماما عن الحياة فى بيت أمى .. حياة منهارة ، ضائعة ، مفكوكة .. ليس لها تقاليد ، ولا صواميل تربط كل قطعة منها بالأخرى .. وكان أبى يخرج فى الصباح .. ويعود فى المســاء .. ويجلس مع زوجته ، ومعى وأحيانا يدعو معنا أحد أصدقائه .. ويشرب زجاجة كاملة من الكونياك .. ويداعب زوجته مداعبات جريئة صريحة .. أمامى .. وأمام صديقه .. وأحيـانا يداعبنى أنا أيضـا نفس المداعبات .. ثم بدأ يداعب ابنتى أيضا بنفس الجرأة .. ويأكل كثيرا من اللحم .. ثم ينام ، ويرتفع شخيره حتى الصباح .. ليخرج من البيت ، بعد أن يترك لنا عشرين قرشا لنشترى بها العيش والخضار ، أما اللحم فكان يشتريه بنفسه ويحمله معه عندما يعود فى المساء .. وأجلس أنا وزوجته طوال النهار ليس لنا عمل الا انتظار أبى .. قد تذهب زوجته الى زيارة جيرانها فى العمارة .. وأبقى أنا أتحدث فى التليفون .. وأشغل نفسى بابنتى هدى .. أو أنزل البلد ، لأطوف بالدكاكين وأشترى ما يروق لى ..

وكان أبى يرانى أشترى كثيرا .. كل يوم أدخل بقطعــة قماش ، أو حذاء ، أو حلية .. فلا يسألنى أبدا من أين أحصل على النقود التى أشترى بها .. هل كان يعرف .. لا أدرى .. هل كان من الغفلة بحيث لا يخطر على باله أن يسألنى .. لا أدرى أيضا .. ولكن زوجته لم تكن غافلة ، ولا طيبة .. انها تواجهنى والسؤال الكبير يطل من عينيها .. واضطررت أن أعترف لها ..

قلت لها انى أعرف الدكتور هاشم .. وضحكت ضحكة باردة وأنا أقول لها :

ــ اللى بينى وبينــه ، زى اللى كان بينــك وبين بابا قبــل ما تتجوزوا ..

وضحكت ضحكة صارخة كهدير الشلال .. وقالت فى مياعة :

ــ عقبالكو زينا .. ونبقى كلنا فى الهوا سوا ..

والأيام تمر .. وعقلى يطن كخلية النحل وأنا أفكر فى الطريقة التى أتزوج بها هاشم حتة حتة .. وكنت أستعرض كل ما ضحيت به من أجله ، فأجد أن لا سبيل أمامى الا الاستمرار فى المجازفة .. أصبحت كالمقامر الذى خسر معظم ماله ، ولم يبق الا القليل ، فيضطر أن يجازف به لعله يسترد ما خسره ..

وقررت أن أبدأ بأن أقنع هاشم بأنى فتاة فاضلة .. عاقلة .. لست مجنونة كما يعتقد .. فأصبحت لا أخرج من البيت الا نادرا ، وبعد أن أستأذنه .. وامتنعت فعلا عن التسلى فى التليفون .. وكان هاشم ــ بعد أن انتقلت الى بيت أبى ــ يستطيع أن يكلمنى فى التليفــون فى أى وقت .. فأبى غائب طول النهار .. حتى لو كان أبى فى البيت ، فهو لم يتعود الرد على التليفون ، وكان يتركنى أنا أو زوجته نرد عليه .. ولكن هاشم لم يكن أبدا يطلبنى فى التليفون ، كنت أنا التى أطلبه .. لم يكن يطلبنى الا بعــد أن ألح عليه ، وأتظاهر بالغضب .. ويعتذر لى بأنه مشــغول .. وبأنى فاضية .. وفى المرات التى طلبنى فيهــا بالتليفون فرحت .. فرحت فرحة كبيرة كأنه جاء يخطبنى ..

ولم أكن أريد من هاشم شيئا خلال هذه الفترة الا أن يخلص

لى .. أن اخلاصه لى هو الأمل الوحيد فى أن يتزوجنى يوما ما .. ولو بورقة واحدة .

ومرت ثلاثة أسابيع منذ فسخت خطبتى الى حسن ..

ثم ..

تكررت المأساة ..

بحثت عن هاشم فلم أجده فى العيادة ، ولا فى البيت ولا فى مطعم الجريون ، ولا فى أى مكان يذهب اليه .. ولم يقل لى التومرجى أنه ذهب لعيادة مريض ..

وذهبت الى الشقة والجنون يزحف على عقلى ..

ووجدت سيارته أمام العمارة ، لم يحاول اخفاءها ..

وصعدت ودمائى تتجمع فى عينى .. وقلبى يدق كأنه يمزق نفسه .. وضغطت على الجرس بيد باردة .. ولم يترك لى هاشم فرصة لأثير فضيحة فى العمارة .. فتح لى الباب بسرعة .. وتركنى أدخل .. وأغلق الباب ورائى .. ثم وقف أمامى وهو بالقميص والبنطلون وفى عينيه نظرات متحدية متحفزة ، كأنه صمم على قتلى ، لو حاولت أن أدخل لأبحث عن الفتاة التى معه ..

ووقفت أمامه أرتعش ..

ثم صرخت ..

صرخت صرخات كثيرة كأنى أطلق النار من صدرى .. وأشد شعرى .. وأخبط الأرض بقدمى ..

ثم وقعت على أقرب مقعد ، وأنا أبكى وأقول كأنى أصرخ :

ــ حرام عليك يا هاشم .. حرام عليك .. حرام تعمل فى ده كله ..

وهو واقف أمامى ، صامت .. يحمى بجسده المرأة الأخرى التى فى الداخل ..

وفجأة جرت دموعى ..

ورفعت اليه رأسى ، وقلت والجنون يطل من عينى :

ــ انت ما تستاهلش .. انت سافل .

ثم انتفضت واقفة .

وخرجت ..

ورزعت الباب ورائى ..

وعدت الى البيت .. وبقايا دموعى متجمدة فوق خدى .. وبقايا صراخى تجرح حلقى ..

ورفعت سماعة التليفون وأنا لا زلت الهث ، واتصلت بحسن ، وقلت له بمجرد أن سمعت صوته :

ــ حسن .. أنا مستعده أرجع لك ، واعمل فى اللى انت عايزه .. كل اللى انت عايزه .. بس رجعنى يا حسن .. أرجوك .. أنا خلاص .. تبت .. حرمت ..

وقال حسن فى لهفة :

ــ طيب اهدى يا ميتو .. حصل ايه ..

وقلت وقد عادت دموعى المتجمدة تذوب :

ــ قوللى الأول انك مستعد ترجعنى ..

قال فى حنان ملهوف :

ــ طبعا مستعد .. انتى عارفه يا ميتو انى باحبك ..

قلت :

ــ طيب فوت على بعد ساعة .. استنانى قدام باب عمارتنا ..

وقال :

— حاضر .. بعد ساعه حاكون عندك ..

وكان حسن طوال هذه الفترة التى أعقبت فسخ خطوبتنا لا يزال الانسان النبيل .. لا يزال يرفض أن يسترد هداياه .. أو يسترد الدبلة .. وكان يحدثنى فى التليفون .. ويقول لى كلاما رقيقا حنونا .. ويؤكد أنه يحبنى .. وأنه لا يستطيع أن يصدق أننا فسخنا خطبتنا ..

كنت متأكدة أن حسن انسان نبيل ..

وبدأت أستعد للقائه .. ووجهى فى المرآة أصفر فى لون الموت .. وعيناى شقت فيهما دموعى خطوطا حمراء .. ومعدتى تتقلص .. وقلبى يتلوى .. وصدرى ينقبض كأنى أحمل فوقه ألف كيلو .. ان ألم الغيرة .. ألم الفشل .. ليس مجرد ألم نفسى انه ألم جسمانى أيضا .. كأن فى داخلى آلات تعذيب تنطلق لتكوى كل قطعة من جسدى ..

ودخلت الحمام ، ووقفت تحت الدش مدة طويلة لعلى أغسل عن جسدى العذاب .. لعلى أسترد بعض شبابى .. بعض نضارتى .. ثم سكبت على جسدى نصف زجاجة كلونيا .. ونصف علبة بودرة « تلك » لعلى أنتعش ..

وخرجت أتزين أمام مرآتى ...

ولعلى بالغت فى وضع الكحل .. وبالغت فى صبغ جفونى باللون الأخضر .. وبالغت فى وضع « الريمل » على رموشى .. حتى بدا كل رمش كأنه سهم منطلق فى الهواء .. ولعلى أيضا بالغت فى صبغ شفتى بالروج .. لقد كنت ساعتها عصبية .. فاقدة الثقة فى جمالى .. فبالغت .. وكلما بالغت ازدادت عصبيتى ، وتهاوت ثقتى فى نفسى .. فبالغت أكثر ..

وقد رأيت أثر هذه المبالغة فى عينى حسن عندما نظر الى وهو جالس أمام عجلة القيادة فى سيارته .. نظر الى كأنه يرى أمامه ، مجنونة ..

وجلست بجانبه صامتة .. وقلبى لا يزال يتلوى ..

وقال والسياره تتحرك بنا :

— تحبى نروح فين ..

قلت وأنا لا أنظر اليه :

— زى ما انت عايز .. خدنى فى حته نقعد نتكلم فيها ..

قال وصوته يرتعش قليلا :

— تحبى نروح نقعد فى بيت ..

قلت بلا مبالاة :

— بيت مين ؟

قال :

— بيتى .. تصدى يعنى .. شقة ..

— انت عندك شقه ؟ ..

قال :

— كانت عندى من زمان .. وناوى أبيعها .. من يوم ما تخطبنا وأنا بادور على حد يشتريها .. صدقينى ..

وقلت والابتسامة الساهمة على شفتى :

— مصدقاك ..

وقاد سيارته فى اتجاه شارع سليمان باشا .. وعاد يقول فى تردد :

— تحبى نروح هناك ؟ .. علشان تشوفيها .. وانتى اللى تبيعيها .. تبيعى كل حاجة كانت فى حياتى قبل ما اقابلك ..

ونظرت اليه كأننى أختبره ، ثم قلت :

— زى ما انت عايز ..

وذهبنا الى شقته ..

كل الشقق التى من هذا النوع لها ريح واحد .. قد تختلف فى أثاثها .. قد تختلف فى نظافتها . قد تختلف فى اهتمام صاحبها بها .. ولكن كلها لها ريح واحد .. هذا الريح الحزين الصامت .. كأن على جدرانها بقايا دموع ..

ودخلت بلا مبالاة .. وتطلعت حولى فى صمت .. لم يرتجف فى شىء .. كانت الصدمة التى صدمنى بها هاشم قد سحبت كل احساسى ..

وجلست على مقعد دون أن أنظر الى حسن ..

وجاء وجلس قبالتى على مقعد آخر .. وأمسك بيدى وقال وشاربه الكث يرتفع فوق ابتسامة حنان :

— احكى يا ميتو .. احكى لى على كل حاجه ..

وتعلقت عيناى بشاربه الكث ، كأنى أعد شعراته .. وقلت وأنا ساهمة :

— أنا سبت هاشم خلاص .. عمرى ما حارجع له تانى .. عمرى .. ضحك على مره تانيه ..

وأخذت أروى قصتى لحسن .. رويتها كلها .. ما عدا أن هاشم يدفع لى مرتبا شهريا .. وكنت أتكلم ساعتها كأنى أتكلم مع نفسى .. كأنى أراجع كل يوم من أيام عمرى الضائع ..

وحسن لا يزال يمسك بيدى .. وفى عينيه نظرة رثاء كبيرة .. يشوبها غيظ .. غيظ من هاشم ..

وقلت له ودموعى على خدى :

— أنا كنت باحبه .. انما اللى عمله يخلينى أتوب عن حبه .. يخلينى أكرهه .. أنا باكرهه .. باكرهه موت .. لو كان بايدى كنت قطعت قلبى اللى حبه .. كنت قطعت من جسمى كل حته حط ايده عليها ..

وقال حسن وهو يضغط على يدى :

— لا يا ميتو .. مش ممكن يكون ده حب .. اللى خلاكى تعملى ده كله انك اتعودت عليه .. وكنتى دايما بترجعى له لأنك اتعودت عليه ، مش لأنك بتحبيه .. والعادة أصعب من الحب .. انتى ممكن تستحملى ألم الحب .. انما مش ممكن تستحملى الم انك تسيبى حاجه اتعودت عليها .. زى السكير اللى يحاول يبطل شرب .. زى الحشاش اللى يحاول يبطل الحشيش .. عيبك انك استنيتى معاه لغاية ما تعودت عليه .

وفتحت عينى ، كأنى رأيت فى كلامه عالما جديدا .. عالم يريحنى .. نعم .. أنى لم أحب هاشم .. ولا أحبه .. فقط تعودت عليه ..

وقلت وأنا ساهمة :

— أنا حانساه .. حاشطبه من حياتى ..

وقام حسن وجلس على حافة المقعد الذى أجلس عليه ، وأحاطنى بذراعه وقال فى رقة :

— وأنا حاخليكى تنسيه .. زى ما بيقول المثل .. المسمار ما يطلعوش الا مسمار .. أنا المسمار اللى حايطلع هاشم .. وأنا عارف انك بتحبينى يا ميتو .. مش ممكن تكونى ما بتحبنيش .. وحا تحبينى أكتر .. يوم ما تنسى هاشم ..

وكان وهو يتكلم قد وضع خده على خدى .. ثم أدار وجهى اليه وقبلنى .. فوق شفتى ولم يرفع شفتيه عنى ..

واستسلمت ..

تركته يعبث بشفتى كما يريد ..

وكنت ضعيفة ..

وكنت قد قررت أن أبدأ محاولتى للتخلص من هاشم ..

وتركت حسن يأخذنى كلى ..

جسدى عار ..

بارد ..

لا أحس الا بثقل حسن ، وشاربه الكث يدغدغ أنفى ..

وسقطت عيناى فوق السوار الذهبى الذى اشتراه لى يوما هاشم ..

وتعلقت عيناى بهذا السوار ..

لم أرفع عينى عنه ..

وأفكر فى هاشم ..

وحسن يعبث بجسدى ..

ثم ..

بقيت معه الى الساعة العاشرة .. حدثنى كثيرا .. حاول أن يضحكنى .. حاول لن يروى لى أيامه التى قضاها بعيدا عنى .. ولكنه لم يحاول أن يحدثنى أبدا عن اعلان خطبتنا من جديد .. ثم عاد يحدثنى عن هاشم .. وقاطعته فى ضعف :

— ما تكلمنيش عنه .. أنا عايزه أنساه وأنسى سيرته ..

وقال حسن :

— أنا آسف ..

ثم أعادنى الى البيت .. واستقبلنى أبى ضاحكا ، وقال وأمامه زجاجة الكونياك :

— كنت فين ؟

قلت :

— كنت عند بنت خالتى ..

قال بلا مبالاة :

— اتعشيتى ؟

قلت :

— أيوه ..

قال :

— ما تيجى تقعدى معايا شوية ..

قلت :

— تعبانه ..

ودخلت حجرتى وأغلقت بابها على .. وارتميت على الفراش .. نسيت حتى أن أطل فى وجه ابنتى ..

لقد خنت هاشم ..

خيانة كاملة ..

وحاولت أن أشعر بالتشفى .. حاولت أن أشعر بأنى انتقمت منه .. ولكن .. لا .. لم أشعر بشىء من هذا ..

شعرت بأنى بائسة ، مسكينة ..

وبكيت ..

ونمت من التعب ، ودموعى صاحية بين عينى ..

واتصل بى حسن فى اليوم التالى ..

وذهبت معه الى شقته أيضا .. وتركته يأخذنى .. وتعلقت

عيناى بالسوار الذهبى فى معصمى .. ورياح هاشم تهب على عقلى وقلبى .. وشارب حسن الكث ، يدغدغ أنفى ..

ثم خرجت مع حسن الى سميراميس فى اليوم التالى ..

تعشينا هناك ..

وطلب لى حسن كأسا من الويسكى .. كأسين .. ثلاثة .. سكرت ..

وذهبت معه الى شقته وأنا سكرانه ..

وكنت اضحك .. وأهذى .. وكان عقلى السكران لا تزال فيه قطعة صاحية ، تحس أنى أفتعل الضحكات الكبيرة ، وأفتعل الهذيان ..

وزدت فى هذيانى ..

أقبلت على حسن .. أقبله أكثر مما يقبلنى .. وأداعبه أكثر مما يداعبنى .

ولكن ..

عندما أصبحت عارية ، تعلقت عيناى بالسوار .. وهبت على ريح هاشم .. ولا أشعر من حسن بشىء ، الا بشاربه الذى يدغدغ أنفى ..

ومضى أسبوع ..

أسبوعان ..

وأنا لا اتصل بهاشم ..

وهاشم لا يحاول الاتصال بى ..

وكل يوم اذهب الى لقاء حسن .. لعلى انسى .. لعلى أتخلص من تعودى على هاشم .. وحسن لا يحدثنى عن اعلان خطبتنا من جديد .. بل هو لا يأتى لزيارة أهلى .. ولا يأخذنى لزيارة أهله .. الى أن قلت له :

ـ انت مش حاتروح تتفق مع بابا يا حسن ..

وقال حسن ، وهو يبتسم فى رقة ويضغط على يدى :

ـ أنا مستنى لغاية ما أتأكد انك خلاص .. بقيتى لى .. خايف نستعجل يحصل زى المره اللى فاتت .. وتحنى .. اللى عايزك تتأكدى منه انى باحبك .. وحافضل أحبك لغاية ما نتجوز ..

ولم أرد عليه ..

ولم أغضب منه ..

له حق .. له حق أن يقول هذا الكلام .. لقد سبق أن جرحته .. سبق أن أهنته أمام أصدقائه ، وأمام كل الناس . عندما فسخت خطبتى له ..

يكفى أنه يساعدنى على نسيان هاشم ..

ولكنه لا يساعدنى ..

انه يشعل احساسى بهاشم .. ان كل مرة أكون له ، تؤكد لى أنى لن أكون أبدا الا لهاشم .. لن أحس برجل الا هاشم .. لن أروى عطشى الا من هاشم .. لن يملأ عقلى ، ولا قلبى . الا هاشم .. مهما فعل بى .. مها عذبنى ..

لماذا أستمر ..

ان حسن لن يتزوجنى .. انى أحس أنه لن يتزوجنى .. يستطيع دائما أن يدعى انى لم أنس هاشم .. ويكون صادقا فى ادعائه ..

وهاشم أيضا لن يتزوجنى .. ولكنى أحبه ..

فلماذا اترك رجلا أحبه ، الى رجل لا أحبه ..

و ...

وعدت أحادث هاشم فى التليفون .. قلت له كاذبة ، أن حسن تقدم لخطبتى من جديد ..

فلم يبال ..

وبدأت أبلغه فى كل يوم كذبة جديدة .. حسن كان عندنا أمس .. حسن يلح فى تحديد موعد الخطبة .. حسن حسن ..

وقال لى مرة وهو ثائر ، وأذكر أنى يومها كنت أحادثه فى صباح يوم جمعة :

— أرجوكى يا أمينة ما تكلمنيش تانى .. احنا خلاص سيبنا بعض ..

وقلت كأنى لم أسمع شيئا :

— انت حاتعمل ايه دلوقتى ؟ ..

وقال فى برود :

— عندى ميعاد :

قلت وأنا أبتسم :

— فين ومع مين ؟

قال :

— فى الشقه .. مع واحده ..

قلت فى توسل :

— بلاش تروح ..

وصرخ :

— يا ستى انت مالك ومالى .. أنا خلاص بقيت حر ..

قلت وأنا أكاد أبكى :

— يعنى مصمم تروح ..

قال كأنه يبصق فى وجهى :

— ايوه ..

ثم ألقى سماعة التليفون ..

ولم أعد أحتمل ..

هل كان هاشم يتعمد اثارة غيرتى عندما قال لى أنه على موعد مع فتاة أخرى ، حتى يعيدنى اليه ، وهو يعلم انى أجن عندما أغار .. أم كان يعيش حياته الطبيعية بعد أن اعتبر نفسه حرا ، واعتبر أن علاقتنا قد انتهت ..

لا أدرى ..

ولكنى لم أطق أن أتصوره مع فتاة أخرى ..

حاولت ..

حاولت كثيرا أن اقنع نفسى بألا أهتم به ، سواء كان مع فتاة أخرى ، أو كان على وشك أن ينتحر .. بل انى حاولت أن اقنع نفسى بأنه يكذب على ، وأنه ليس على موعد مع أى فتاة ، وأنه يحاول فقط أن يثير غيرتى حتى يجننى ، فأعود اليه ..

ولكن ..

كل هذه المحاولات لم تدم سوى نصف ساعة .. ساعة على الأكثر .. والنار تأكل فى قلبى ، وتشتعل فى رأسى .. ثم لم أعد أستطيع .. خرجت دون أن أتزين .. بل لم انظر الى المرآة كأنى أفر من الحريق الذى نشب فى صدرى ..

ووقفت أمام باب الشقة مترددة .. قلبى يرتجف .. أطراف أصابعى باردة .. كنت أعرف ما سأجده فى الداخل .. سأجد فتاة أخرى .. وسأجد هاشم بالقميص والبنطلون .. وسأحاول أن أضرب الفتاة .. سأجن .. ستشق الصرخات حلقى .. سأشد شعرى .. ستجحظ عيناى .. ويضربنى هاشم .. واقع على الأرض أبكى .. كنت أعلم كل ذلك .. وكنت أراه خلف الباب ،

كأن عينى تثقبان الخشب ، وتثقبان الزمن لترىا ما يمكن أن يحدث لى بعد دقائق .. ورغم ذلك امتدت يدى ، كأن قوى مجهولة تحركها ، وضغطت بأصبعى المثلجة ، على الجرس ..

وفتح هاشم فى الحال ، كأنه كان واقفا خلف الباب ..

ونظر الى وقد اتسعت عيناه من الدهشة .. بل خيل الى أن فتحتى أنفه قد اتسعتا أيضا من الدهشة ..

كان صادقا فى دهشته ..

تأكدت ساعتها أنه لم يكن يكذب على عندما قال لى أنه على موعد مع فتاة أخرى .. لقد فتح الباب وهو ينتظر أن يرى الأخرى ..

وابتسمت ابتسامة مرتعشة ذليلة ..

وظل واقفا أمامى صامتا ، وقد ارتخت دهشته ، واكتسى وجهه بتعبير جاد كأنه واقف أمام مشكلة ..

وقلت فى صوت مسكين :

ــ فى حد معاك ؟

وقال فى صوت باتر :

ــ لا ..

قلت :

ــ أقدر أخش ؟

قال وهو ينظر من فوق رأسى كأنه يخاف أن يرانا أحد :

ــ اتفضلى

ودخلت وأنا لا انظر فى عينيه ... وجلست وابتسامة باهتة فوق شفتى .. ومرت لحظة صمت بيننا ثم لمحت على شفتيه ظل ابتسامة ، فقلت وأنا أشعر برجفة فى قلبى ، رجفة خوف :

ــ بتضحك ليه ؟ ..

قال وقد اتسعت ابتسامته

ــ باضحك على حالنا .. يظهر ما فيش فايده اننا نسيب بعض ..

قلت وأنا أنظر اليه فى ابتهال :

ــ لأننا بنحب بعض ..

قال :

ــ وبعدين .. أخرة الحب ده ايه ؟

قلت :

ــ أنا مش عايزه منك حاجه الا انك تكون كويس معاى .. ما تعرفش بنات تانيه ..

قال :

ــ ما اقدرش ما اعرفش بنات تانيه ، لانى عارف ان جاييجى يوم تتجوزى وتسيبينى ..

ــ أنا مش حاتجوز .. خلاص ..

قال وهو يهز كتفيه :

ــ ده كلام .. مش ممكن ست تعيش من غير جواز ..

قلت :

ــ أنا لو كنت بافكر فى الجواز ، فبافكر انى اتجوزك انت ..

قال وهو يلوى شفتيه :

ــ انتى عارفه انى مش حاتجوز ..

قلت :

ــ عارفة .. بس ما اقدرش أعيش من غير أمل ..

قال كأنه يسخر من أملى :

ــ الأمل بعيش سنة والا سنتين .. انما مش ممكن يعيش

خمس سنين .. لو كان اللى ربطك بى هو الأمل .. كان زمانك يئست وسيبتينى ..

قلت كأنى الومه :

— أمال ايه اللى ربطنى بيك ؟ ..

قال بسرعة :

— جنانك ..

قلت :

— أنا مش مجنونه يا هاشم ..

قال :

— مجنونه قوى .. ويوم ما حاتعقلى حاتسيبينى ..

قلت :

— ده ما اسمهوش جنان .. اسمه حب ..

قال :

— طيب .. ما تزعليش .. حب !

وأدار ظهره لى ..

ومرت فترة صمت أخرى ..

ثم عدت أقول ونظراتى تتمسح بقامته الطويلة :

— أمال فين البنت اللى انت مواعدها ؟ ..

قال بلا مبالاة :

— زمانها جايه ..

قلت :

— لازم جديده ..

والتفت الى وقال فى دهشة :

— ليه ؟ ..

قلت :

— علشان اتأخرت .. أنا كمان كنت بتأخر لما كنت جديدة ..

ولم يرد على ..

جلس على مقعد ، وهو يزفر أنفاسه واستطردت قائلة :

— بكره تاخد لها قلمين ، تقوم ما تتأخرش .. وتبتدى انت تتأخر .. مش كده ! ..

ونظر الى كأنه يعايرنى ، وقال :

— وحاضرتك عامله ايه مع سى حسن بتاعك ..

قلت :

— ده خطيبى ..

قال :

— طبعا قلتى له اننا كنا مخطوبين ، وانك فسخت الخطبة ، لأنى سافل .. مش كده ! ..

قلت :

— أنا اعترفت له بكل حاجه ..

وابتسم ابتسامة ساخرة وقال :

— ما أظنش ..

قلت :

— ده انسان نبيل .. قدر يفهمنى .

قال :

— وعملتى ايه مع الانسان النبيل ده .

قلت :

— ولا حاجة ..

قال فى حدة :

— يعنى اية ولا حاجة .. بتسهرى معاه لغاية نص الليل ، وبعدين تقولى لى أن ما حصلش حاجه بينكم ..

قلت وأنا أنكس راسى :

— باسنى ..

قال :

— باسك بس ..

قلت :

— طبعا .. أمال فاكر ايه ؟ ..

قال :

— لا يا شيخه ..

قلت :

— وحياة بنتى ..

وربما كانت هذه هى المرة الأولى التى احلف بها بحياة ابنتى ، كذبا .. وربما ارتعشت شفتاى وأنا اقسم بحياتها .. ربما رجف قلبى .. ربما شعرت بالخوف على ابنتى وأنا أستهين بحياتها وغلاوتها عندى الى هذا الحد .. ولكنى بعد ذلك أصبحت أقسم « بحياة بنتى » فى كل كبيرة وصغيرة .. أصبحت كلمة « وحياة بنتى » ألوكها فى فمى كقطعة اللادن .. أطرقع بها .. وكنت أرى لطرقعتها صدى على وجوه الذين اقسم لهم .. كأنهم يصدقوننى .. لأنى اقسمت بابنتى ..

ولكنى لم أعرف أبدا اذا كان هاشم قد صدقنى أم لا .. لقد اطل على بهذه النظرة التى تنطلق من تحت جفنيه المنتفختين .. والتى لا تكشف أبدا عما يدور فى رأسه ..

وفجأة ..

دق جرس الباب ..

وابتسمت ..

وتعقد جبين هاشم .. وزم شفتيه .. وبقى فى مكانه صامتا ..

ودق الجرس مرة ثانية ..

وهاشم جالس فى مكانه ، لا يتحرك ...

وقلت :

— مش حاتقوم تفتح ؟ ..

قال فى حزم وهو ينظر الى والشرر يتطاير من عينيه :

— لا ..

قلت وأنا أرفع صوتى ، متعمدة أن يصل الى ما وراء الباب .

— حرام عليك ، قوم افتح ..

ونظر الى كأنه يخنقنى بعينيه ، وقال هامسا :

— اذا ما سكتيش ، حاموتك من الضرب ..

ورن الجرس ثالثة ..

واحسست برنينه كأنه زغرودة فى قلبى .. زغرودة تنطلق بالشماتة من هذه الأخرى التى تقف خلف الباب .. زغرودة لانتصارى على كل فتاة تحاول أن تأخذ منى هاشم ..

وكف الرنين ..

وسمعت صوت أقدام الفتاة تبتعد عن الباب ، فى اتجاه المصعد ..

وقلت وأنا أبتسم له ساخرة :

— طبعا حاتضرب لها تليفون وتعتذر لها بأن جات لك حاله مستعجله .. مش كده .

قال وهو يضغط على اسنانه :

— لأ .. حاتقولها آن فيه واحده بتفرض نفسها على ، وبتتهجم على الشقه من غير ما حد يقول لها تعالى ..

وضحكت .. ضحكة ملأت كل قلبى .. وعدت أقول :

ــ أقدر أعرف مين المسكينة دى ..

قال وهو لا يزال غاضبا مغتاظا :

ــ لا ..

وقمت من مكانى ، وجلست على ركبتيه .. وكنت أنتظر أن يلقى بى على الأرض .. أو يضربنى .. ولكنه لم يفعل .. تركنى أجلس على ركبتيه .. كل ما فعله أن أشاح بوجهه عنى ..

قلت وأنا أضع يدى على خده :

ــ احنا الاتنين مجانين يا هاشم .. انت عارف انك ما تقدرش تستغنى عنى ، وأنا ما اقدرش أستغنى عنك ..

وسحب خده من تحت خدى ، وظل صامتا مديرا وجهه عنى ..

وعدت أقول :

ــ أنا حاسيب حسن تانى .. وعمره ما حايكون فى حياتى راجل تانى أبدا ..

وظل صامتا ..

ووجهه محتقن من الغيظ ..

ودرت بوجهى لأواجه شفتيه ، وحاولت أن اقبله .. ولكنه أشاح عنى وأبعدهما قبل أن أصل اليهما ..

وقلت فى توسل :

ــ بوسنى يا هاشم ..

وقال فى صوت مخنوق بغيظه :

ــ لأ .. ما اقدرش أبوس شفايف لسه واحد تانى بايسهم قبلى .. أنا قرفان منك ..

قلت :

ــ اشمعنى أنا ما باقرفش من شفايفك وانت بتبوس ستات غيرى ..

قال :

ــ أنا حر .. اذا كنتى انتى ما بتقرفيش منى .. أنا باقرف منك .. حر ..

قلت ودموعى تتجمع فى عينى :

ــ هاشم .. ما تعذبنيش ..

قال :

ــ من فضلك قومى اقعدى مطرحك ..

وهمست :

ــ .. هاشم .. هاشم .. حرام عليك ..

ثم بكيت ..

بكيت على كتفه ..

وأنا لا زلت جالسة على ركبتيه ..

ورفع كفه وبدأ يربت على ظهرى لأكف عن البكاء ..

ولا أطيل ..

انى أعرف دائما كيف أستعيد هاشم ..

وأحسست بعد أن استعدته كأنى انتصرت عليه .. لا ادرى لماذا .. ربما لأنى أعود اليه بعد أن خنته .. بعد أن خدعته .. بعد أن أعطيت جسدى لرجل آخر .. هذا الجسد الذى كان هاشم يعتقد أنه ملك له . تحرر منه .. انطلق الى رجل آخر .. أصبح قادرا على أن يتحرك وحده ..

ربما كان هذا هو السر فى احساسى بالانتصار على هاشم عندما استعدته .. وهو احساس دمرنى .. دمر ما بقى منى .. فقد تعودت من يومها أن أتعمد الاحساس بالانتصار .. الاحساس

بأنى أخدع هاشم .. أحطم غروره .. ولم أكن ادرى أن هـذا الاحساس بالانتصار لم يكن الا انعكاسا لهزيمتى .. هزيمتى أمام نفسى ..

وقد تركت هاشم يومها ، وذهبت الى لقاء حسن بعد الظهر .. رفضت أن ألقاه فى شقته .. كانت لا تزال فى بقيـة من احساس تمنعنى من أن أدخل شقتين فى يوم واحد ..

قابلته فى سيارته ، وقلت له بصراحة وبساطة :

— أنا رجعت لهاشم ..

وفغر شفتيه كالأبله ، وقال وشعرات شاربه ترتعش :

— ليه ؟ ..

قلت :

— ما اقدرتش ..

قال كأنه على وشك البكاء :

— بس احنا كنا حانتجوز ..

قلت فى حزم :

— انت ما كنتش ناوى تتجوزنى يا حسن .. ولك حق .. أنا اللى عملته فيك مش شـويه .. وحتى لو كنت اتجـوزتنى ما كنتش حاتقدر تنسى ، وكنا حانعذب بعض .

قال وقد انهمرت دموعه فعلا :

— بس أنا باحبك يا ميتو ..

قلت وأنا أنظر الى دموعه ، والغرور يسرى فى كل عروقى :

— عارفه ..

وظلت عينـاى معلقتين فوق دموعه .. ان منظـر الرجل وهو يبكى يثير الشفقة .. الرثاء .. انه ينزف رجولته .. كأنه يعصر شخصيته .. وتمنيت وأنا أرى دموعه ، لو كانت هـذه

الدموع دموع هاشم .. كنت كرهته .. كنت استرحت منه .. ولكن هاشم لا يبكى .. انه قطعة جامدة من الصلف والغرور .. والدم الثقيل ..

وعدت اقول :

— أنا آسفه يا حسن .. اعتبرنى مجنونه .. اعتبرنى وحشه .. اعتبرنى أى حاجه ..

قال وهو يمسح شاربه المبلل بالدموع :

— أنتى عملتى فى كتير يا ميتو .. ومش ممكن تسيبينى بالطريقه دى .. أنا لى حق عليكى ..

وفكرت قليلا ، وقلت وقد خيل الى أنه فعلا صاحب حق على :

— احنا حانفضل أصدقاء .. مش ممكن أسيبك زى ما انت فاكر .. انت انسان نبيل ..

قال :

— وحاشوفك ؟ ..

وعدت أفكر برهة ، ثم قلت :

— أيوه .. حا ابقى أشوفك ..

وأشرقت ابتسامة فوق شفتيه ..

وبخرت الابتسامة دموعه ..

وقد عدت الى لقاء حسن فعلا .. ولكن ..

ليس كصديق .. لقد كنت أذهب اليه فى شقته .. ربما لأملأ نفسى بالاحساس بأنى أخدع هاشم .. وبأنى أقوى منه .. ربما لأن هاشم كان يضن على بوقته .. كان لا يزال يلقى الى بهذه الكلمات السريعة فى التليفون ، ويلقانى كل يومين أو ثلاثة .. ساعة أو ساعتين .. فكنت أحاول أن أملأ فراغى بأن ألهو بجسدى .. هوايتى الوحيدة .. وألهو به مع حسن .. ولكنى

اكتشفت أنى كلما ذهبت الى لقاء حسن ، وضعت فى يدى هذا السوار الذهبى الذى أهدانيه هاشم .. وأجد نفسى فى لحظة معينة ، وقد تعلقت عينى بهذا السوار .. وانسحب من جسدى كل احساس .. لم يعد فى احساس الا احساسى بهذا السوار فى معصمى .. كأنى أستغيث به .. كأنى أناديه .. هاشــم ..

وكنت فى كل مرة ألتقى فيها بحسن أقول لهاشم :

ــ تعرف امبارح شفت مين فى الشارع .. حسن ..

ويزوم هاشم بشفتيه ، ولا يعلق بشىء ..

وكنت أحيانا أقول أكثر من هذا ، لعلى أثير شكوكه ، لعله يحس بى كامرأة مرغوبة من عشرات الرجال .. كنت أقول له :

ــ النهارده حسن ضرب لى تليفون .. تعرف انه لســـه بيحبنى .. ولسه عايز يتجوزنى ..

ويرد فى برود :

ــ خسارة .. كان لازم تتجوزيه ..

وأجن لبروده ..

وأرد :

ــ اللى لازم أتجوزه .. انت ..

ثم أضحك ضحكة باردة ، حتى لا يغضب منى ..

وكنت فعلا لا زلت أحاول أن أتزوج هاشم ، ولو على طريقـــة زوجة أبى . حتة حتة .. وكنت أجلس طويلا مع زوجة أبى وليس لنا حديث الا الوسيلة التى يمكن أن نقنع بها هاشم بالزواج .. بل أنى أخذتها يوما معى الى هاشم فى الشقة .. وربما جاءت معى لترى هاشم الذى سمعت بشهرته كطبيب ، أكثر مما جاءت لتساعدنى على اقناعه بالزواج .. ومن يدرى .. ربما جاءت معى وهى تتمنى أن تأخذ منى هاشم ..

وكان هاشم يعلم أن زوجة أبى تعلم ما بيننا .. وكان يعلم أى صنف من النساء هى .. ولكنه دهش الى حد الذهول عندما فتح الباب ووجدها معى .. وأسرعت أقول له :

ــ أصل بابا فى البيت النهارده .. ولولا فايزه ما كنتش حاقدر أشوفك أبدا ..

وقلب هاشم شفتيه امتعاضا ، وترك البــاب وتقدمنا الى داخل الشقة .. ودخلنا وراءه .. وأغلقت الباب بيدى .

وجلست زوجة أبى وهى تدير عينيها حولها ، كأنها خبيرة فى الشقق الخاصة ، تستطيع أن تقدر قيمة الرجل بمجرد التطلع الى جدران شقته ..

وجلست بجانبها كأنى تلميذة عبيطة ..

وجلس هاشم قبالتنا وفى عينيه نظرات تحد ، كأنه يعـلم ما فى رأسنا ..

ودارت بيننا كلمات تافهة سخيفة ، الى أن قالت فايزة :

ــ والنبى يا دكتور دى ميتو بتحبك قوى .. أنا ما شفتش حب بالشكل ده أبدا ..

ونظر اليها هاشم بعينين ملؤهما التحدى ، وقال :

ــ بس يا خساره ، مش ممكن نتجوز .

وفوجئت زوجة أبى ، بهذه الصراحة كأن هاشم سحب الأرض من تحتها .. الأرض التى مهدتها لتلعب فوقها بذكائها .. وقالت :

ــ ليه بأه ؟ ..

قال فى بساطة .. لا .. وقاحة :

ــ علشان أنا مش حاتجوز ..

ونظرت اليه فى هلع كأنها بدأت تخافه ، وقالت كأنها تدافع عن آخر حصونها :

— ولو نكتبوا ورقه كده .. ترضى ربنا ..

قال دون أن يهتز :

— ولا ورقه .. ولا حاجه .. أنا ما باعتقدش فى الحاجات دى ..

قالت كأنها قررت أن تتحداه :

— أمال تعتقد فى ايه ؟ ..

قال :

— أعتقد ان اللى عاوزه تتجوز تدور على واحد تانى غيرى ..

قالت :

— بس ده حرام .. يعنى تسيب البنت تحبك .. وبعدين تقول لها روحى دورى على واحد تتجوزيه .. مالكش حق يا دكتور .. دا كلام ما يرضيش ربنا ..

قال :

— أمينه عارفه الكلام ده من أول يوم شفنا بعض فيه ..

وتدخلت أنا قائلة وأنفاسى تضج فى صدرى :

— بلاش الموضوع ده يا فايزه ..

قالت :

— بس يا ميتو ده كلام مش معقول .. ده انتى بنت ناس .. ولك أب وأم .. وعيلتك أحسن عيله فى البلد مش ناقصك حاجه .. ..

وقاطعتها قائلة :

— أعملى معروف .. بلاش الموضوع ده أحسن هاشم يفتكر اننا متفقين مع بعض .. وجايباكى مخصوص علشان كده .. وانتى عارفه مش عايزه أتجوز دلوقت ..

وابتسم هاشم فى غرور ، كأنه هزمنا ..

ولا ادرى لماذا لم أغضب يومها من هاشم .. بالعكس .. احسست أنى فخورة به ، احسست كأنى اتباهى به أمام زوجة أبى .. وقلت لها ونحن ننزل على السلم :

— مش قلت لك انه راجل مش سهل ..

وقالت فى غيظ كأنها تتحمل الهزيمة وحدها :

— ده مغرور ، ما ينطقش .. أنا عارفه استحملتيه السنين دى كلها ازاى ؟ ! ..

وابتسمت ..

فخورة بهاشم !...

ولم تكن زوجة أبى وحدها هى التى تحدثت معه ..

وكنت لا زلت ألتقى بأمى سرا عند الخياطة أو عند احدى خالاتى الخمس ، أو فى دكان من دكاكين شارع قصر النيل .. حتى لا يطلقها زوجها اذا علم بأننا نلتقى .. وكنا نضحك كلما التقينا سرا .. أو كلما استطاعت أن تحدثنى فى التليفون خفية عن زوجها .. كنا نعتبر نفسينا عاشقين .. وكانت أمى تسمينى « الخواجه ميتو » وتقول لخالاتى انها ذاهبة للقاء الخواجه الذى تحبه .. وتخبط على صدرها وتقول وهى تضحك ، على أخر الزمن أخرج أقابل بنتى من وراء جوزى .. آه منك يا خواجه ميتو ..

وكنا فى لقاء عند خالتى سعدية ، وكنا نتحدث عن هاشم عندما قالت أمى :

— هاتى لى الجدع ده أكلمه ..

وقلت لها :

— ما فيش فايده يا ماما .. بلاش أحسن ..

وعادت تقول :

— بالقولك خلينى اكلمه .. مش حاستريح الا لما اكلمه .. أما اشوف اخرتها معاه ايه ..

وأصرت أمى ..

وأدرت لهم رقم تليفون هاشم وأعطيتها السماعة .. ووضعت أذنى بجانب أذنها ..

وقالت أمى :

— صباح الخير يا دكتور .. أنا مامة ميتو .. امينه ..

ورد عليها هاشم فى أدب حقيقى .. وكنت أعرف أن هاشم يحترم أمى ويقدرها ويحبها ، أكثر مما يحترم أبى .. وسمعته يقول لها :

— صباح النور يافندم .. ده شرف كبير ..

وقالت أمى :

— أنا يا دكتور باسمع عنك دايما سمع طيب .. ما فيش حد الا بيشكر فى أخلاقك وشهامتك وشطارتك .. بس يا بنى نفسى تطمنى على بنتى ميتو .. انت ناوى على ايه ..

وقال فى أدب وفى صوت هادىء :

— والله يافندم أنا مش ناوى على حاجه أبدا .. وأنا قلت الكلام ده لأمينه كتير .. ونصحتها انها تتجوز .

وقالت أمى :

— ده مش كلام يا بنى .. تتجوز ازاى دلوقتى وهى متعلقه بيك بالشكل ده .. دى سابت خطيبها علشان خاطرك .. راجل ما يتعوضش .. وقبل كده سابت جوزها .. حقه مالكش حق يا دكتور ..

وقال هاشم وهو لا يزال هادئا مؤدبا :

— يا افندم أنا ماليش ذنب .. أمينه غلطانه فعلا لأنها سابت خطيبها ، وأنا عمرى ما وعدتها بحاجه ..

وتنهدت أمى قائلة :

— صعب على يا ابنى انى أتحايل عليك .. بنتى مش وحشه ولا ناقصه حاجه ، علشان أتحايل على حد يتجوزها .. انما اعمل معروف يا ابنى .. البنت بتحبك .. استرها ربنا يسترك ..

وسمعت صوت هاشم وقد ارتعش رعشة خفيفة لا تتبينها الا أذناى اللتان تعودتا على صوته ، وأحبتا كل نبرة فيه :

— أنا آسف يا افندم .. أنا عارف انى غلطان . وغلطتى هى اللى مخليانى أستحمل كتير من أمينه .. انما أرجوكى انك تتأكدى انى لو كان ممكن أتجوز كنت اتجوزت أمينه من زمان .. انما مش ممكن .. مش ممكن أبدا يا هانم .

وسكتت أمى برهة ثم قالت بطيبتها :

— كده .. طيب يا ابنى .. ربنا يرضى عليك .. أنا آسفه .. انما اعذرنى يا حبيبى . أنا كلمتك بقلبى .. قلب الأم .. مع السلامه يا ابنى .

وضعت أمى سماعة التليفون ..

وبكت ..

وبكيت معها ..

لم أشعر هذه المرة بأنى اتباهى بهاشم لأنه هزم أمى . أحسست بالسخط عليه لأنه أهان أمى .. وكنت أضعف من أن أحيل سخطى الى ثورة .. ثورة على حياتى .. على هاشم .. على خطيئتى .. كل ما فعلته أنى ذهبت يومها الى لقاء حسن .. لأتوهم أنى أنتقم من هاشم ..

وحدثت فى حياتى فى هذه الأثناء حادثة أخرى كان لها أثر

كبير فى حياتى .. فقد كانت العلاقات بينى وبين زوجة أبى ، قد بدأت تسوء يوما بعد يوم .. فقد كانت تغار منى بسبب النقود الكثيرة التى آخذها من هاشم ، وأشترى بها فى كل يوم شيئا جديدا .. رغم أنى كنت أشترى لها هدايا كثيرة من هذه النقود حتى أضمن صداقتها ، واضمن مساعدتها لى فى نزواتى كلما غبت عن البيت .. وفى الوقت نفسه كنت أيضا أغار منها .. لأنها استطاعت أن تتزوج من أبى رغم انها كانت عشيقته قبل الزواج ، وأنا لا أستطيع أن اتزوج هاشم .. ثم أغار منها على أبى .. غيرة أى بنت من زوجة أبيها .

وتضخمت خلافاتنا ، وخناقاتنا ، الى حد لم يعد بقاؤنا فى بيت واحد ممكنا .

وأبى ليس له طاقة على الخناق ، وليس له قوة على مواجهة المشاكل ولكنه يهرب منها ، ليضمن لنفسه ليلة هادئة يشرب فيها زجاجة الكونياك ..

وقد هرب أبى من مشكلتى أنا وزوجة أبى ، بأن استأجر شقة أخرى فى نفس العمارة وانتقل اليها هو وزوجته ، وتركنى وحدى أنا وابنتى .. وأصبح يعاملنا كزوجتين .. يعود فى المساء فيمر على ويجلس ساعة ثم يصعد الى زوجته ليقضى الليل معها .. ويشرب زجاجة الكونياك .. وأحيانا يقرر أن يستريح من زوجته . فيأتى بزجاجة الكونياك ويشربها معى ..

وفرحت بهذا الحل ..

واصبح لى بيت .. لأول مرة اشعر أن لى بيتا .. عندما كنت زوجة كان بيت حماتى .. وعندما كنت مع أمى كان البيت بيت زوج أمى .. وعندما انتقلت لأعيش مع أبى كان البيت بيت زوجته .. أما الآن فقد أصبح لى بيت .. وحدى . وأحببت

بيتى ، واحببت أبى أكثر لأنه منحنى بيتا .. وفكرة الزواج من هاشم نامت فى رأسى فترة ، كأنى استغنيت بهذا البيت عن الزواج ..

وكانت اشاعة زواجى من هاشم قد ازدادت انتشارا بعد أن فسخت خطبتى من حسن ، فقد اعتقد الناس أنى لم أفسخ خطبتى الا لأتزوج هاشم .. لم يكن يخطر على بال أحد أن هناك مجنونة يمكن أن تفسخ خطبتها للاشىء .. حتى بلا وعد بالزواج .. ولذلك انتشرت الاشاعة .. واكتفيت بأن أعيش فى اشاعة .. اشاعة زواج ..

واصبحت حرة ..

أكثر حرية ..

واندفعت فى حريتى الى اخرها .. لم أعد أكتفى بالخروج فى النهار .. أصبحت جريئة فى الخروج بالليل .. كنت أنتظر الى أن يصعد أبى الى زوجته وأطمئن الى أنه نام .. وأترك ابنتى مع الخادمة ثم أخرج .. كنت أخرج مع هاشم ونذهب الى شبرد ، والهيلتون ، وسميراميس ، ومينا هاوس .. والناس تعتقد أننا زوجان .. وهاشم لاه عما تعتقده الناس .. غروره يعمى عينيه ويسد أذنيه عن سماع الاشاعة .. أنا وحدى التى أسمعها وأراها فى العيون ، وأفرح بها ..

ولكن هاشم لم يكن يرضى أن يخرج معى كل ليلة .. كان مشغولا .. وكان يتدلل علىّ كثيرا .. يعذبنى .. فأصبحت أخرج مع حسن .. ولكنى لم أكن أخرج معه الى المحال العامة .. حتى أبقى على اشاعة زواجى من هاشم .. كنت أذهب معه الى شقته .. أو أتنزه معه فى سيارته .. ثم .. لم يعد حسن وحده الذى أخرج معه بالليل .. كان هناك محام آخر شاب

التقيت به فى حفلة أقامتها ابنة عمتى .. اسمه عادل .. كان انسانا هادئا .. حديثه كله منطق وكان يكره هاشم ويحاول أن يخلصنى منه .. فخرجت معه أيضا .. ولكنى لم أذهب الى شــقته ..

وحريتى تتسع أمامى ، ولا يملؤها شىء .. والرجال يزغللون عينى فى كل مكان .. وكل واحد منهم يقترب منى ، أقنع نفسى بأنه يريد أن يتزوجنى .. وأشجعه .. وأتركه يحدثنى فى التليفون وقد أخرج معه .. ثم يذوب .. أزهق منه . أو يزهق منى ، قبل أن يفاتحنى بالزواج .. لم احب واحدا منهم .. لم التق بالرجل الذى يستطيع أن ينزع هاشم من قلبى ومن جسدى ، ويحتل مكانه ..

ولكنها عقدة الزواج .. العقدة التى كانت تأكل من عمرى دون أن أدرى .. هى التى كانت تدفعنى الى كل هؤلاء الرجال .. وتدفعنى الى محاولة التخلص من هاشم ..

واحساسى بأنه أصبح لى بيت ، دفعنى الى أن أملأ هــذا البيت برجل .. كنت أريد أن يملأه هاشــم .. وكنت أعرف أن هاشم لن يقبل أن يأتى الى فى البيت بمجرد أن أدعوه ..

وفى ليلة .. وكانت الساعة الحادية عشرة .. اتصلت به فى سميراميس وادعيت له أنى مريضة .. مغص حاد يمــزق أحشائى .. وبكيت له فى التليفون .. من شدة الألم .. وصدقنى هاشم .. وجاء ..

وكنت قد أعددت نفسى له .. لبست قميص نوم أزرق فاتح مشغولا بالدانتيل .. وتركت شعرى مسدلا على كتفى .. وتعطرت بعطر « أربيج » الذى يحبه ..

واستقبلته ضاحكة ..

وغضب ..

غضب عندما اكتشف أنى خدعته بمرضى .. ورفع كفه يحاول أن يضربنى ، ولكنه عاد وخفضها عنــدما تنبه الى أنه فى بيت غريب عنه .. وهم أن يتركنى ويعود .. ولكنى تعلقت به .. التصقت به ، وجسدى ساخن تحت القميص الحـــرير .. وتركت عطرى يملأ أنفه .. وكنت أعلم أنه شرب كأسين .. وهو عندما يشرب يصبح رقيقا ، متفتح الاحساس كما تفتح أنبوبة البوتاجاز .. يكفى بعد ذلك أن تقرب منها عود الكبريت ..

واشتعل هاشم ..

وسحبته الى غرفتى ..

وابنتى هدى نائمة فى الغرفة المجاورة مع الخادمة ..

حياة جديدة ..

ومغامرات جديدة ..

وقد تعلمت فى هذه الفترة شيئا جديدا لم يخطر ببالى .. تعلمت كيف أعامل البوابين .. انه شىء يجب أن تتعلمه كل فتاة مثلى .. وقد كان بواب عمارتنــا يحترمنى فى أول الأمر .. ولكنى عندما بدأت أتأخر فى العودة بالليل ، تغيرت معاملتــه .. كان يستقبلنى بنظرة ملؤها القرف .. ثم أصبح يغلق باب العمارة .. ويتركنى بالليل أدق الباب .. ربع ساعة .. نصف ساعة .. الى أن يفتح لى ..

وثرت فى وجهه أول مرة ، فقد ظننت أن من حقى كساكنة فى العمارة — بل ان أبى يستأجر شقتين — أن أثور عليه .

وتحمل ثورتى فى هدوء .. واحتقار ..

ولكنى ، عندما تأخرت فى العودة مرة ثانية ، تركنى ملطوعة ساعة كاملة .. وعنــدما حاولت أن أثور .. هب فى وجهى صارخا :

— لما انتى بتزعلى كده ما تبقى ترجعى بدرى .. ولا فاكره انى مش فاهم يعنى ..

ودوى صوته فى العمارة كالرعد .. وخفت .. وقفت أمامه أرتعش .. وحاولت أن أعود وأصرخ فى وجهه ، ولكن صوتى انحبس فى حلقى . وكان هاشم هو الذى يوصلنى ليلتها ، فنزل من سيارته بسرعة .. ووضع فى يد البواب خمسة وعشرين قرشا وهو يقول له مبتسما :

— ما تزعلش يا ريس .. أصلها تعبانه شويه .. احنا آسفين اللى أزعجناك ..

ثم نظر الى نظرة قوية يأمرنى أن اصعد الى بيتى ..

ومن يومها أصبحت أخاف من البواب اكثر مما اخاف من أبى .. وأدفع ثمن خوفى خمسة وعشرين قرشا ، كلما تأخرت بالليل .. أو كلما زارنى رجل .. وأصبح البواب يحترمنى .. ويبتسم لى .. ويترك باب العمارة مفتوحا الى أن أعود ..

ولم يكن هذا هو البواب الوحيد فى حياتى ..

لقد عشت حياة مزدحمة بالبوابين .. كلهم أخاف منهم .. وكلهم أدفع لهم الخمسة والعشرين قرشا ..

شىء لا تعرفه البنات المحترمات ..

و ...

ولم تكف عنى زوجة أبى ..

حاولت أن تثير أبى على علاقتى بهاشم .. قالت له أشياء كثيرة تحاول أن تثير بها نخوته واعتزازه بشرفه .. ولكن أبى لم يثر .. بل ان حياتى الجديدة جعلته يستسلم اكثر لعلاقتى بهاشم .. ويكاد يعترف بها .. فقد كان يرى النقود فى يدى ، ولا يسألنى من أين أتى بها .. ثم تركنى ادفع فاتورة التليفون

.. ثم بدأت حالته المالية ترتبك اكثر .. فتركنى أدفع أجرة الخادمة .. وفى بعض الشهور دفعت أجر البيت .. ثم اشتريت أثاث حجرة طعام جديدة ، كلفتنى مائة وخمسين جنيها .. وجلس أبى يأكل على المائدة الجديدة . دون أن يسألنى من أين أتيت بها .. لابد أنه كان يعرف أن هاشم هو الذى يدفع .. أصبح هذا أمرا مسلما به بيننا .. أنا وأبى .. بل ان أبى اقترض منى يوما .. اقترض مائة جنيه لم يردها حتى اليوم ..

وهاشم يدفع ..

كان يدفع كثيرا ..

الموضوع الوحيد الذى كان يثير نقاشا بيننا هو أن اشعره بأنى فى حاجة الى نقود .. كان يدفع بسرعة .. ولكنه لم يعد يبذل مجهودا ليكون رقيقا وهو يدفع لى ..

ثم ..

وقعت مصيبتى الكبرى ..

فقد يئست زوجة أبى من أن تثير أبى ..

وبدأت تتصل بزوجى السابق عبد السلام .. أبو ابنتى ..

وكان عبد السلام يأتى كل أسبوعين مرة .. وأحيانا كل أسبوع .. ليرى ابنته .. وكنت أتعمد الا التقى به .. كنت أخرج من البيت قبل أن يأتى .. وفى المرات القليلة التى كنا نلتقى فيها . كان ينهال على بالنصائح .. ويستحلفنى بحياة ابنتى أن أحرص على سمعتى .. وأن أتزوج .. حتى أضمن للبنت حياة مستقرة هادئة .. وكنت أستمع الى نصائحه فى زهق .. وضيق .. وأترك له هدى وأخرج من البيت ..

ثم بدأ عبد السلام فى المرات التى نلتقى فيها يحدثنى عن هاشم .. وعن علاقتى به .. ويقول لى تفاصيل لم أكن أعلم

أيامها من أين عرفها .. ثم يثور .. ويرفع صـــوته الكريه ليملأ به البيت كله .. ويهددنى .. يهددنى .. أن يأخذ منى ابنتى ..

ولم أكن أصدق تهديده ..

كنت أتحداه وأغيظه ...

ثم فجأة .. بدأت معاملته تتغير .. أصبح رقيقا ، هادئا .. بل بدأ يدفع لى نفقة البنت .. أعطانى عشرين جنيها .. ثم أستأذن فى أدب أن يصحب هدى ليشترى لها بعض الثياب واللعب .. وسمحت له .. وأخذها وخرج .. وأعادها بعد ساعتين محملة بمشتريات كثيرة .. وبعد أسبوع رجانى أن أسمح له بأن يأخـــذ هدى لتبيت معه فى الفندق الذى يقيم فيه .. وسمحت له .. لم لا .. انه أبوها ، وهو المسئول عنها قبل هاشم .. ويجب أن تشب هدى وهى تحبه ..

وقد أعادها عبد الســـلام فعلا فى اليوم التـــالى .. أعادها ضاحكة مرحة ، الى حد أنى غرت عليها منه ..

ثم ...

كنت خرجت من البيت للقـــاء هاشم .. وعدت فى حـــوالى الساعة الخامسة .. واتجهت مباشرة الى غرفة ابنتى كعـــادتى كلما عدت ...

انها ليست فى غرفتها ..

ولا فى غرفة الطعام ..

وبدأ قلبى يرتعد .. لا أدرى لماذا .. واقتحمت المطبخ .. فوجدت الخـــادمة جالســـة تلوك قطعة لبـــان ، وتغنى أغنيـــة لعبد الحليم حافظ ، وسألتها فى لهفة :

— فين هدى ؟

وأجابت وهى لا تزال تلوك قطعة اللبان :

— عبد السلام بيه ، جه ، واخدها .. وخرج ..

وصرخت فيها :

— وازاى تسيبيه ياخدها .. استأذنتينى ..

وقالت الخادمة :

— يوه يا ستى .. مش أبوها ..

ورفعت كفى وهويت على صدغ الخادمة ، وأنا أصرخ :

— أنا حاوديكى فى داهيه ..

وقالت وهى تنظر الى فى غيظ :

— وأنا مالى .. بتضربينى ليه .. ده حتى عبد السلام بيـــه قال لى انى أقول لك انه مش حايرجع ست هدى الا لما تتجوزى ..

وصرخت ..

لقد خطف ابنتى .. خطف هدى ..

وانطلق الجنون فى رأسى ..

وانهلت على الخادمة أضربها ، وأنا أصرخ :

— بنتى يا بنت الكلب .. بنتى .. بنتى .. ضيعتى بنتى .. بنتى .. اتسرقت ..

ثم وجدت نفسى أجرى على السلم ..

وأجرى فى الشارع ..

ولم أكن أدرى أنى أجرى الى قدرى ..

— ٧ —

كنت أجرى كالمجنونة أبحث عن ابنتى .. كنت أجرى وأنا جالسة فى التاكسى .. كل شىء فى يجــرى .. قلبى يجــرى .. دمى يجرى .. عقلى يجــرى .. أنفاسى تجرى .. كأنى أجرى وراء قطعة من جســدى نزعت منى .. وألم .. ألم هائل .. كأنه قــد نزعت قطعة من جســدى فعلا .. وأحس بأن ما نزع منى هو عيناى ، فأحس بالألم فى عينى .. ثم أحس بأن ما نزع منى هو صدرى فأحس بالألم فى صدرى .. ثم أحس بأن ما نزع منى هو بطنى ، فأحس بالألم فى بطنى .. ألم حقيقى .. انى لم أشعر بكل هذا الألم من قبل .. ولا بكل هذه اللوعة .. ولا بكل هذا الهلع .. عذاب .. عذاب ينصب على كأن أفواه السماء قد فتحت كلها لتصب على العذاب ..

وصلت الى الفندق الذى تعود أن يقيم فيــه عبد السلام . واندفعت الى مكتب الاستقبال والجنون يشق لى الطريق ، وسألت بأنفاسى اللاهثة :

— عبد السلام بيه موجود ..

وأجاب موظف الاستقبال وهو ينظر الى فى دهشة :

— لا يا مدام .. سافر النهارده الصبح ..

وانكفأت على الحاجز المرتفع الذى يفصل بينى وبين الموظف . وبكيت .. بكيت فى غل .. فى غيظ .. والموظف يقول :

— جرى ايه يا مدام .. حصل ايه !

ورفعت اليه عينى المجنونتين ، وصرخت ،

— تليفون .. عايزه أتكلم فى التليفون ..

ووضع الموظف أمامى آلة التليفون ، وأدرت رقم أمى .. ورد على زوجها .. ولم أخف منــه .. ولم أخف أن يطلق أمى .. صرخت فيه وصوتى غارق فى دموعى :

— عايزه أكلم ماما .. عايزه أكلمها حالا ..

وانتظر زوج أمى برهة ، وربما أشــفق على ، فنادى أمى لتحادثنى .. وصرخت فيها بمجرد أن سمعت صوتها :

— بنتى .. عبد السلام خطف بنتى يا ماما ..

وقالت أمى فى ذعر :

— خطفها ازاى ..

وصرخت :

— ما اعرفش خطفها ازاى .. مش مهم خطفها ازاى .. أنا عايزه بنتى .. هاتى لى بنتى ..

وقالت أمى ..

— طيب هدى نفسك يا أمينه .. وحصلينى على خالتك صبريه ..

ووضعت سماعة التليفون ، وجريت الى الخارج .. وموظف الفندق يتبعنى بدهشته دون أن يطالبنى بثمن المكالمة التليفونية ..

وركبت التاكسى ، وأنا أصب لعناتى على عبد الســلام .. كل ما فى من قوى الحقد تنصب عليه .. وخيالى ينطلق ليخنق عنقه .. ليقذف فى وجهه بماء النــار .. ثم فجأة وجدت نفسى أفكر فى هاشم .. وتحول حقدى كله عليه .. انه هو السبب .. هو .. هو الذى مزق حيأتى .. هو الذى ضيعت من أجله

زوجى .. وعائلتى .. ثم خطيبى .. وسمعتى .. وكل هـذا قد يهون .. ولكن ابنتى .. هدى .. لا .. لا ياربى .. لا تأخذ منى ابنتى . خذ منى هاشم .. خذ منى كل شىء . ورد لى ابنتى .. ووجدتنى أرفع دموعى الى السماء وأهمس :

ـ خلاص يا رب .. تبت خلاص .. تبت وحيـاة السـيدة زينب عندك ترجع لى هدى ..

ودموعى لا تكف .. دموع صامتة .. ليس فيها حقـد .. ولكن فيها احساس بالخطيئة .. احسست بالحرام الذى عشت فيه طول هذه السنين .. احسست بصـورة خطيئتى أمامى .. صورة بشعة ليس فيها حب ولا جمال .. صورة امـرأة لونهـا أزرق ، وجسدها يتفصد قطرات كبيرة من العرق ، ورأسها منكس محلوق الشعر .. وأخفيت عينى بكفى حتى لا أرى هـذه الصورة .. وعدت أبتهل الى الله لعله يطهرنى من خطيئتى ويصفح عنى ويعيد الى ابنتى .. ثم تقفز فى خيالى صورة هاشم مرة ثانية .. ويخيل الى أنى أصرخ هلعا منه .. واجرى لأبتعد عنه .. انه الرجل الذى يخطف الأطفال .. أخافه .. وأحقـد عليـه .. وأستغيث بالله منه .. وسـائق التاكسى يلتفت وراءه ويتفرج على دموعى ، ثم يهز رأسه فى أسى ، ويقول :

ـ كله يتعوض يا ست هانم ..

لا .. كل شىء يعوض الا ابنتى ..

الى أن وصلت الى بيت خالتى صبرية .. وهى تقيم مع زوجها فى مصر الجديدة قريبا جـدا من بيت أمى ، ومن بيت خالتى سعدية .. وتعتبر فى وسط اخواتها « حلالة المشاكل » رغم انها ليست أكبرهن سنا .. انها أصغر من أمى .. ولكنها أذكاهن ، وأعقلهن ..

ووجدت أمى وثلاثة من خالاتى فى انتظارى ..

وارتميت على صدر أمى أبكى فى حرقة .. وكلماتى تمزق دموعى :

ـ بنتى يا ماما .. هدى .. أخد منى هدى ..

وضمتنى أمى فى حنان ، وأخذت تربت على ظهرى ، وتقبلنى فى شعرى ، قائلة :

ـ بس يا حبيبتى .. ما تعمليش فى نفسك كده ..

وقالت خالتى سعدية :

ـ انتى فاكره انه يقـدر ياخدها منك .. ما يقـدرش .. الحضانة لغاية سن اتناشر سنه ..

وبدأ المؤتمر النسائى المنعقد حولى يناقش موضوع الحضانة .. ويتناقلن القصص والقضايا والحواديت التى سمعن بهـا .. وكل منهن تدلى بفتوى قانونية .. الى أن قالت خالتى صـبرية :

ـ هو قال ايه للبت الخدامه ساعة ما اخد هدى ؟

قلت وقد جفت دموعى فوق خدى :

ـ قال لها انه مش حايرجعها الا لما اتجوز .

وساد الصمت فترة ، الى أن انطلق صوت خالتى فتحية ، صغرى خالاتى :

ـ والنبى الراجل له حق .. أصلك يا ميتو مزوداها قـوى مع الدكتور بتاعك ده .. والبلد كلها بتتكلم عنك ..

وثارت كل أعصابى ، وانطلقت صارخة فى وجهها :

ـ وسـيبتونى للدكتور بتاعى السنين دى كلها ليه .. كلكم كنتم عارفين ، وكلكم كنتم ساكتين .. أمى سـيبتنى .. وأبويا سابنى .. عارفين هاشم بيعمل لى ايه .. هو اللى بيصرف على .. كل فستان بالبسه هو اللى جايبه .. وبيصرف على بيتى ..

هو اللى بيدفع ماهية الخـــدامة .. هو اللى بيدفع فاتورة النور والتليفون .. وأبويا عارف .. أبويا ما بيدنيش ولا مليم .. كل يوم يتجوز واحده .. ويبيع فى أرضه .. يعنى مش حاسيب لى ولا مليم .. انتم السبب .. انتم اللى خلتونى أعيش زى ما أنا عايشه .. ما فيش حد فيكم قدر يكلم أبويا ، ولا يسأل أنا عايشه ازاى .. مافيش حد فيكم كان قلبه على .. النهارده بس جايين تقولوا لى ، وتنصحونى .. بعد ما اتخذت منى بنتى ..

وعدت أبكى ..

أبكى بحرارة ..

وساد صمت حزين .. وبدأت الدموع تطفر من عينى أمى وخالاتى الثلاث .. لم تثر واحدة منهن وأنا أصارحهن لأول مرة بأن هاشم هو الذى يصرف على .. بأنه يدفع ثمن معاشرتى له .. واكتشفت ساعتها أن قصتى لا تثير السخط ولا القرف ولكنها تثير الشفقة .. وأننى استطيع اســتغلال هذه الشفقة لأكتسب الناس الى جانبى .. لأثير العطف على .. وأخبىء خطيئتى فى طيات هذه الشفقة ، وهذا العطف ، وفى الدموع التى يذرفها الناس من أجلى ..

وقالت أمى من خلال دموعها :

ــ انا سبتك يا مهتو ؟! ياما نصحتك .. وياما حذرتك ..

قلت وأنا لا زلت أبكى :

ــ سبتينى .. ما عملتيش حاجه .. وكنتى بتاخدى منى فلوس هاشم وتشيليها عندك .. وأنا كنت صـــغيره ، ما كنش كفايه انك تنصحينى .. لغاية ما طردنى جوزى من بيته .. ســابنى لأبويا وانتى عارفه أبويا عايش ازاى .. انما أنا عذراكى يا ماما .. أنا ما بلومكيش ..

وقالت أمى وهى تنشج :

ــ هو حد قادر عليكى يا بنتى ..

وقالت خالتى سعدية :

ــ وأنا يا أمينه مش جبتلك عريس بالدنيا كلها .. وانتى اللى طفشتيه ..

وقلت وأنا ابكى وأشد شعرى وادبدب على الأرض بقدمى :

ــ يا ريتنى ما طفشته .. سبتونى أعمل كده ليه .. سبتونى ليه .. ليه .. انتم فاكرين انا عندى أربعين سنة .. حـــرام عليكم .. حرام تسيبونى أتصرف لوحدى بالشكل ده ..

وعاد الصمت الحزين ، تمزقه دموع أمى وخالاتى ، حسرة على حالى ..

الى أن تكلمت خالتى صبريه ..

والتفتت كل الرؤوس اليها .. الى حلالة المشاكل .. تتلقف الكلمات من شفتيها ..

وقالت خالتى صبرية وهى تنظر فى عينى :

ــ انتى عايزه بنتك ترجعلك ؟

قلت فى لهفة :

ــ طبعا .. اعملوا فى اى حاجه .. بس بنتى ترجع ..

وقالت خالتى صبرية فى حزم :

ــ أولا ، لازم تسيبى الدكتور ده ..

وصرخت :

ــ خلاص سبته .. وحياتك يا طنط قبل ما أوصل هنا ، حلفت انى ما شفش خلقته تانى .. كفايه اللى حصـــل لى من تحت راسه ..

وعادت خالتى صبرية تقول :

— وثانيا .. تيجى تقعدى عندى هنا .. تبعدى عن أبوكى وعيشة أبوكى ..

قلت :

— حاضر .. اللى تشوفيه يا طنط ..

وعادت تقول :

— وثالثا .. تتجوزى بأسرع ما يمكن ..

ونظرت اليه بعينين واسعتين خائفتين ، وقلت :

— وبنتى .. حاتفضل بعيده عنى ، لغاية ما اتجوز ..

قالت فى هدوء :

— لأ .. احنا نكلم عبد السلام علشان يخليكى تشوفيها لغاية ما تتجوزى ، وبعدين تبقى تيجى تقعد معاكى ..

وصرخت :

— مش ممكن .. ده مش من حقه .. بنتى تقعد معايا ويبقى هو اللى ييجى يشوفها .. أنا لى الحضانه .. الشرع بيقول كده ..

وقالت خالتى سعدية :

— وأصل يا صبريه يا اختى ، ان ميتو اتجوزت حاتسقط حضانتها ، ويبقى من حق عبد السلام انه يخلى البنت عنده على طول ..

وقالت صبرية :

— ما هو احنا لو دخلنا فى قضايا مش حانخلص .. وتفوت سنه وسنتين من غير ما ناخد حق ولا باطل ، ولا حتى نشوف البنت .. وأنا عارفة عبد السلام كويس .. واقدر أقنعه ..

وصرخت :

— مش ممكن .. بالذوق والعافيه لازم آخد بنتى ..

وقالت خالتى صبرية فى هدوء :

— بس حاتخديها فين يا ميتو يا حبيبتى .. انتى نفسك بتقولى ان عيشة أبوكى مهببه ، واذا كنتى خايفة على نفسك من العيشه دى ، خافى كمان على بنتك .. وكلها شهر واللا شهرين وتتجوزى ويبقى لك بيت ، وبنتك تيجى تقعد معاكى ..

وقلت فى حدة :

— وايه ضمنى انى حاتجوز فى شهر ولا شهرين ؟ ..

وقالت خالتى صبرية :

— سيبى المسأله دى على أنا ..

قلت :

— وحلاتى مين يتجوزنى بعد اللى عملته ده كله ..

وقالت خالتى صبرية فى ثقة :

— مالكيش دعوته .. اطمنى ..

وقالت أمى :

— وانتى عملتى ايه يا بنتى .. اهى كل البنات بتسوى الهوايل ، ويرجعوا يتجوزوا ويتلموا فى بيوتهم ، انتى ما عملتيش أكثر من اللى بيتعمل ..

وأراحتنى كلمات أمى ، أحسست كأنها مسحت كل ذنوبى ..

واستمر المؤتمر النسائى منعقدا الى ساعة متأخرة من الليل .. ثم عادت أمى وخالاتى كل منهن الى بيتها .. وتقرر أن أبقى فى بيت خالتى صبرية .. أعطتنى الغرفة التى كانت مخصصة لابنتها قبل أن تتزوج .. ولم انم .. بقيت الليل مفتحة العينين اجرى بهما وراء ابنتى .. خيل الى انى لم أرها منذ سنتين .. وأنا لم أكن أبدا أما ضعيفة فى عواطفها .. كان من عادتى أن اترك ابنتى يوما كاملا مع الخادمة ، أو ليلا كاملا ، دون أن

اتلهف عليهـــا .. ولكنى الآن اكاد اجن لبعـــدها عنى .. أحس كأنى فقدتها الى الأبد .. وأسمع كلماتها الحلوة الساذجة ترن فى أذنى .. وأرى ابتسامتها المرحة تقفز فى خيالى .. اراها كلها .. أرى لون عينيها .. ولون شـــعرها .. ومكان سنتها التى فقدتها أخيرا .. وحذاءها الصغير كقطعة البسكويت .. واتذكر أشياء صغيرة .. صغيرة .. والأشياء الصغيرة تتجمع وتصبح حياتى كلها ..

ثم تهدأ صور ابنتى فى خيالى ، وتقفز مكانها صورة هاشـــم .. بشعا .. انانيا .. مغرورا .. وأكرهه .. انى أكرهه .. وتتجمع سحب الكراهية فى صـــدرى لتصـــبح رغبة عارمة فى الانتقام .. ثم احس بالعجز امام كل هذه الصور .. فأعود وابكى .. أبكى حبى الأبنتى .. وأبكى عجزى عن الانتقام من هاشم ..

وفى اليوم التالى ، صحبتنى خالتى صبرية الى بيت أبى ، وأنا مدبلة العينين ، منهكة القوى .. وجمعت ثيابى فى حقيبتين ، وعدت معها الى بيتها ..

ولم يعترض ابى ..

لقد سمع كل القصة كأنه يشاهد فيلما سينمائيا ليس له دور فيه .. ووافق بسرعة على انتقالى الى بيت خالتى .. وعلامات الراحة تبدو فى عينيه .. كأنه ارتاح منى ، ومن عبئى ..

وهكذا ..

انتقلت الى حيـــاة ثالثة .. حيـــاة تختلف اختلافا تاما عن حياتى فى بيت أمى ، وعن حياتى فى بيت أبى .. كان بيت خالتى صبرية بيتا هادئا يملؤه الحب .. كانت تحب زوجها ، وزوجها يحبها ، كأنهما لا يزالان فى شهر العسل .. رغم انهما تزوجا

من عشرين عاما .. وكان عقل خالتى واتزانها وشخصيتها القوية يؤهلها لتكون ست بيت ممتازة .. تسيطر على كل شئ فى حلاوة ورقة .. وتدبر حياتها فى حدود واضحة ، ليس فيها خلل .. ليس فيها شئ تخجل منه .. وكانت تحسب حسابا كبيرا لكلام الناس .. وزوجها يعود من عمله لتستقبله بعينين مبتســـمتين تقبلانه فى كل مكان من وجهه .. ويتناول غداءه ويدخلان ليناما .. ثم يجتمع عندها بعض الأصدقاء فى المساء ليلعبوا الكونكان ، ويخرجان ليلعبا الكونكان عند بعض الأصدقاء ..

بيت سعيد .. صورة جديدة للبيوت لم أكن أعتقد انى سأعيش فيها يوما ما .. بل لم أكن أعتقد أن هناك بيوتا خالية من العقـــد والاضطراب كبيت خالتى صبرية ..

وقد حاولت خالتى أن تسيطر على .. ســـيطرتها الحلوة الرقيقة .. كانت تقودنى فى كل خطوة من خطواتى .. كانت تقودنى معها الى المطبخ .. وتقودنى معها لنعد المائدة .. وتقودنى معها الى زيارة صـــديقاتها .. وتحـــاول أن تقنعنى بآرائها فى الحياة والناس .. وكنت أعلم أنها تراقبنى .. تريد أن تطمئن الى أنى لا أقابل هاشـــم ولا أحادثه فى التليفون .. ولكنها كانت تغلف مراقبتها لى فى غلاف ناعم رقيق مهذب ، لا يجرحنى .. ولا يقلل من احساسى بحقى فى حريتى ..

وقد حاولت أن أعيش هذه الحياة ..

حاولت أن أحب حياتى الجديدة ..

مضت أسابيع وانا مستسلمة لخالتى .. منقادة لهـــا .. ولكنى كنت اشرد كثـــيرا .. كنت اشرد وراء ابنتى .. وكانت المفاوضات التى تجرى مع عبد السلام لم تنته الى شئ بعـــد . فهو مصمم على الا أرى ابنتى الا اذا تزوجت .. وكنت أشرد

وراء هاشم أيضا .. وكنت قد امتنعت عن الاتصال به فعلا .. لم اتصل به طوال اربعة اسابيع .. وهو لم يتصل بى ، انه لا يعلم اين انا .. وحالتى العصبية تسوء .. انى اقضى ليالى كاملة وحيدة فى غرفتى ، اتحدث الى نفسى .. واحيانا اتحدث اليها بصوت عال كالمجانين .. واتذكر ابنتى فأبكى لوعة .. وأتذكر هاشم فتستبد بى الرغبة فى الانتقام ولكن هذه الرغبة لا تلبث أن تفتح مسام جسدى .. فأحس بالحاجة اليه .. الى الرجل .. تمر بى لحظات يخيل الى أن كل شىء يهون فى سبيل أن أحس بأنفاس هاشم تهب على من انفه الكبير .. وأن أحس بكفه تربت على مسام جسدى لتهدئها .. أن أحس بذراعيه يخنقان هذا الالم .. الم الجوع .. الذى يغرينى ..

ولكنى احتملت ..

احتملت اربعة أسابيع .. وقاومت ..

وبدا أثر المقاومة على وجهى .. ان وجهى ذابل .. اصفر .. وعيناى مرخيتان مسكينتان .. ولاحظت خالتى ذبولى .. واطمأنت الى أنى لا أحاول أن اتصل بهاشم .. فبدأت ترحمنى من رقابتها .. وبدأت دون أن تشعرنى بأنها تتعمد شيئا ، تسمح لى بأن أزور خالتى سعدية وحدى .. ثم بدأت تسمح لى بالتردد على نادى مصر الجديدة ، بعد أن تتأكد من انى أذهب اليه مع صديقاتى القدامى .. بنات مصر الجديدة ..

الى أن التقيت بمحمد ..

محمد .. أول شاب عرفته فى حياتى ، وخرجت معه وأنا بنت قبل أن التقى بهاشم .. لقد كبر الآن ، أصبح فى السادسة والعشرين من عمره .. اكبر منى بعام واحد .. وأصبح موظفا فى شركة بعد أن تخرج من كلية الحقوق .. وأطلق شاربا صغيرا

رفيعا تحت أنفه .. وضحكت كثيرا عندما رأيته ومعه شاربه ، لقد ذكرنى بالأسطى محمد الحلاق الذى كان يأتى الى بيت أبى ليحلق له شعره كل يوم جمعة ..

وقد قابلت محمد فى الطريق وأنا ذاهبة الى النادى ، واوقف سيارته بجانبى ، ومد عنقه الى وقال فى ادب :

— بونجور يا افندم .. فاكرانى ؟

وابتسمت .. انى أذكره .. قد انسى وجوه النساء ، ولكنى لا انسى وجه رجل .. وقلت وابتسامتى تتسع وانا اطل على شاربه الصغير ، واتذكر اسطى محمد الحلاق :

— ازيك يا محمد .. عامل ايه دلوقتى ..

قال :

— كويس .. تحبى اوصلك ؟

قلت وأعصابى تتجمع لمغامرة جديدة :

— انت يظهر عليك لسه شقى ..

قال :

— أبدا والله يا افندم .. بس أنا حاسس اننا مش غرب .

وهممت ان اركب بجانبه .. ببساطة .. كما تعودت أن أركب بجانب كثير من الرجال .. ولكنى فجأة تذكرت خالتى صبرية .. واحسست كأنى اخون ثقتها فى .. كأنى على وشك أن الوث بينها الهادىء النظيف الذى يملؤه الحب .. خالتى التى أوتنى لتنقذنى من حياتى الممزقة .. و .. ولم اكن استطيع أن أقاوم طويلا .. كنت قد تعبت من طول ما قاومت .. والأعاصير التى مرت بى فتنت كل كيانى .. فتنت عقلى نفسه .. وكان أى رجل يمكنه وأنا فى هذه الحالة أن يجذبنى اليه .. وأى مغامرة يمكن أن تشدنى اليها ..

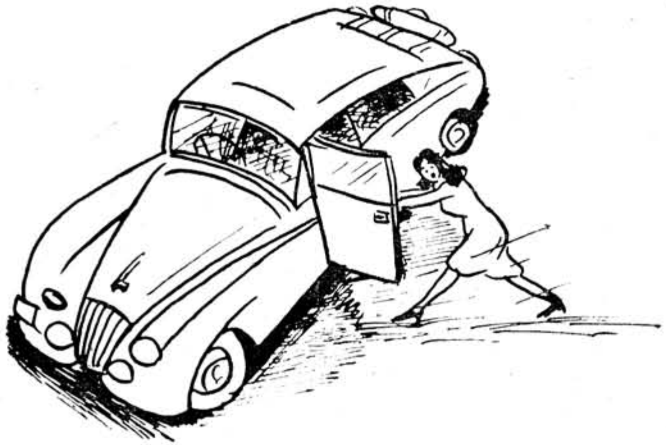

وخنت ثقة خالتى ..

ذبحتها هى الأخرى كما ذبحت كل الذين احبونى وعطفوا على ..

وركبت سيارته ..

انها سيارة أخرى غير الشفروليه التى ركبتها معه منذ سبع سنوات .. سيارة فولكس واجن ..

وبسرعة وجدتنى أروى له قصة ابنتى ..

كنت فى حاجة الى أن أروى قصة ابنتى لأى انسان جديد ، كأنى أعرض مسرحية على متفرجين جدد ..

واثرت بقصتى قلب محمد .. وشهامته .. ورأيت غلالة من الأسى تكسو وجهه .. وبدا يسب ويلعن فى زوجى عبد السلام .. وقد كنت فى حاجة كبيرة لأن أسمع من يسب فى عبد السلام . فعائلتى كلها تعطف عليه أكثر مما تسبه ، وتعطيه الحق فى خطف ابنتى .. أما محمد ، فقد شعرت انه يعبر عن كل أحاسيسى ويطلق طاقة حقدى وهو يسب عبد السلام .. وبدأ يحدثنى عن حقوقى القانونية فى حضانة ابنتى .. ويبدى استعداده لأن يضع اشهر المحامين فى خدمتى .. كان متحمسا لى حماسا صادقا .. واحسست كأن قلبه يلتاع مع قلبى .. وبدونا نحن الاثنين كأننا كونا فرقة هجوم لاعلان الحرب لاستعادة ابنتى ..

وقابلت محمد مرة ثانية .. وثالثة .. ولم أكن استطيع ان احادثه فى التليفون من بيت خالتى صبرية ، فكنت اذهب لأحادثه فى التليفون من عند خالتى سعدية .. وكنت متلهفة دائما الى حديثه ، والى لقائه .. لا لأنى أحبه .. ولكن لأننى كنت فى حاجة اليه .. فى حاجة اليه ليخفف من أزمتى .. ليريح اعصابى ..

وفى المرة الرابعة ذهبت معه الى شقته .. وصعقت عندما

علمت أن الشقة التى يأخذنى اليها محمد تقع فى الزمالك أيضا .. قريبا من شقة هاشم ..

ولم يكن محمد حتى هذه اللحظـــة يعـــلم شيئا عن علاقتى بهاشم ، رغم أنه شاب يعيش قريبا من الأوساط الاجتماعية التى يعيش فيها .. وقد تعجبت أن ظل هناك ناس يعيشـــون فى القاهرة ، وفى مجتمع النوادى ، ولا يعلمون علاقتى بهاشـــم بعد كل الضجة التى اثرتها معه ...

ولكنى اكتشفت أن القاهرة ليست مدينة واحـــدة .. انهـــا عشرات المدن .. ما يجرى فى واحدة منها لا تسمع به الأخرى .. القاهرة مجتمعات مفككة لا صـــلة بينها .. والحـــكم الذى يصدره مجتمع منها لا يبلغ الى مجتمع آخر .. بل أن القـــاهرة شلل .. كل شلة لها اهتمامها وعالمها وفضائحها الخاصـــة .. والبنت يمكن أن تكون فاضلة بالنسبة لشلة وخاطئة بالنســـبة لشلة أخرى .. وقد ترفض شلة أن تزوجها من أحد أفرادها . وتقبل الشلة الأخرى .. ليس هناك حكم عام على بنت ، الا اذا نشرت قصتها الصحف .. وقصتى لم تنشرها الصحف ..

وصعدت مع محمد الى الشـــقة ، وركبتاى ترتعشـــان .. احسست أنى أعود الى حياتى من جديد .. الحياة التى تعودتها .. حياة الشقق الخاصة ..

واحســـت أنى لا استطيع ان ادعى أمام محمـــد بأن هذه أول مرة ادخل فيها شقة خاصة .. كنت ساعتها أضعف من أن ادعى الخوف .. أو الرهبة .. أو الخجل .. أو شيئا مما تدعيه البنات عندما يدخلن شقة خاصة .. كنت أريد أن أرتاح من كل هذا .. أن أكون على طبيعتى .. كنت أريد أن أطلق أعصابى

التالفة التى مضى عليها أسابيع وهى حبيسة ارادتى ، حبيسة الخوف من الا تعود الى ابنتى ..

ومحمد جالس أمامى مبهـــورا ، كأنه لا يصـــدق عينيه ، ولا يصدق أنى معه .. وأنه يستطيع أن يأخذنى .. وهو مرتبك ، لا يدرى من أين أبدأ .. تتسلل الى عينـــاه المرتبكتان .. ويهم أن يقترب منى ثم يخشى أن يغضبنى ، فيظل بعيدا عنى مدعيا الأدب .. يحاول أن يتكلم فى أى موضوع ، ليثبت لى أنه لا يريد منى شيئا أكثر من أن أكون معه .. واكثر من أن نتحدث ..

وأنا أنظر اليه بعينين مفتوحتين ، وابتســـامة صغيرة على شفتى أحاول أن أخفف ارتباكه .. وأن أحـــرره من الرهبة التى يشعر بها .. وأرد على حديثه باجابات مقتضبة حتى أشعره بأنى لست فى حاجة الى حديثه .. فى حاجة الى أكثر ..

وأخيرا ..

اقترب محمد ..

مال على ووضع خده على خدى .. فى رفق .. وتردد .. كأنه يحس أنه يلمس شيئا كريما غاليا ، يخشى أن يجرحه مجرد اللمس .. كأنه يتجرأ على قدس الأقداس .. وابتسمت بينى وبين نفسى .. انه لا يزال صغيرا .. وهو لا يعرفنى .. وقـــد أرضى غرورى ارتباكه والرهبة التى تبدو عليـــه .. وأسلمت خدى الى خده .. وتركت ذراعه تزحف حولى فى تردد لتضمنى الى صدره .. ثم تركته يطوف بشفتيه الى أن يصل الى شـــفتى .. قبلة هادئة ، خجولة ، ناعمة .. وحاولت أن أعيش فى هذه القبلة .. أن أهيم فيها .. ولكنى فجأة .. وشفتاه بين شفتى .. وجدت نفسى أفكر فى ابنتى .. وفى هاشم .. وفى خالتى صبرية

.. صور من حياتى الممزقة تتوالى على راسى .. واعصابى تتلوى .. احس بضيق .. اريد ان اهرب من هذه الصور .. أريد ان اهرب من حياتى كلها ... ووجدت نفسى فى محاولة الهرب ، آخذ شفتيه كلهما بين شفتى .. اريد أن أغوص فيهما .. اريد ان أغرق كل همومى بينهما .. وقبلته أكثر مما يقبلنى .. ربما كنت اعلمه قبلا لم يعرفها من قبل .. وانساق معى .. بكل شبابه ، بكل انبهاره بى .. بكل احساسه بأنى شىء اجمل واروع مما كان يطمع فيه ..

ثم ...

رفع الى عينيه فى ابتهال ، وهو يضمنى اليه ، كأنه يستأذننى فى ان يأخذ منى اكثر ..

لم لا ..

لماذا انتظر حتى اللقاء الثانى ، او الثالث .. انى واثقة انى سأعطيه كل شىء ، فلماذا لا اعطيه اليوم ما سأعطيه له .. ولماذا لا آخذ منه اليوم ما سآخذه بعد يومين .. ما هذه التقاليد التى تحتم على البنت الا تعطى نفسها فى اللقاء الأول .. تقاليد الخطيئة .. آداب الخطيئة .. انى لا أؤمن بهذه التقاليد والآداب .. انى امراة صريحة .. واقعية .. لا اضيع أيامى فى تجاهل الواقع .. ولا ادعى الخفر والحياء ، حينما لا اكون فى حاجة اليهما ..

خذنى ..

لعلى استطيع الهرب من نفسى ..

واخذنى ...

وأنا اشعر به كطفل يلهو .. واشعر بأنفاسه المبهورة كأنه ينفخ فى غرورى .. ويعيد الى ثقتى بنفسى .. واطمئنانى الى

مستقبلى .. أنى أستطيع دائما أن أجد رجلا ، ينبهر بى كل هذا الانبهار .. ويريدنى الى هذا الحد .. رجل أملكه ..

ولم تتعلق عيناى بالسوار الذهبى الذى اهدانيه هاشم .. لا ..

لقد كان كل تفكيرى لحظتها مركزا فى محمد .. لم يكن مركزا فى احساسى الجسدى به .. ولكنى كنت أرسم صورا لمستقبلى معه .. انى أستطيع أن أستعين به لأقوى به على هاشم .. وأستطيع أن أستعين به لأسترد ابنتى .. وأستطيع ان أستعين به عندما يتخلى عنى بقية أهلى ..

ان محمد شىء آخر ، غير الرجال الذين عرفتهم .. انى واثقة انه يحبنى أكثر .. ويريدنى أكثر .. واثقة أنى أقوى منه .. اقوى منه بتجاربى وذكائى .. وأستطيع ان اسيطر عليه ، وأن أحركه كيف أشاء .. لقد أشعرنى محمد بقوتى ، قوة شخصيتى ، أكثر مما أشعرنى بها أى رجل آخر ..

هل اتزوجه ؟

لا .. لا يجب أن أفكر فى الزواج به الآن .. قد لا استطيع ان اتزوجه .. ان هذا الصنف من الشبان لا يتزوج فتاة مثلى .. انه من عائلة كبيرة .. غنية .. وهو وحيد أمه .. ولد واحد وثلاث بنات .. وأنا مطلقة ، ولى ابنة ، ثم انى فى مثل عمره .. وعندما يعرفنى أكثر لابد انه سيسمع عن مغامراتى .. كل هذا يخنق أملى فى الزواج به .. أنى اعرف .. هذا النوع من الشبان لا يتزوج الا صفقة .. فتاة صغيرة ، من عائلة غنية ، طيبة السمعة .. لابد أن أمه تبحث له الآن عن صفقة ..

ولكن ...

لا يهم الزواج ..

اذا اردت الزواج ، فخالتى صبرية تستطيع ان تأتى لى بعريس ..

المهم هو ان أحتفظ به ..

احتفظ بمحمد ..

انه لقطة .. حتى بلا زواج ..

ولكنه قد يسمع بعلاقتى بهاشم !!

وقررت أن اعترف له .. ان الاعتراف يمسح الخطيئة .. ويحصن الرجل ضد كلام الناس ..

وبدأت أعترف له بعلاقتى بهاشم ..

اعترف له ودموعى فى عينى ..

لم اعترف له بكل التفاصيل ..

ولكنى اعترفت له بما يكفى ان يحصنه ضد كلام الناس .. ان اى شىء يسمعه عنى بعد ذلك ، لن يكون جديدا عليه .

وتلقى محمد اعترافى بعينين حزينتين ، كأنه على وشك ان يبكى معى .. وتحمس فى السخط على هاشم كما تحمس فى السخط على عبد السلام .. ووعدنى .. وعدنى أن يعوضنى عن كل شقائى .. ان يمنحنى حياة جديدة .. حلوة .. رائعة ..

كان فى وعده حماس عمره الصغير ..

.. حماس الشباب واندفاعه ..

ونزلنا يومها من الشقة وانا غير نادمة على ما اعطيته .. وعندما ركبت بجانبه فى سيارته ليوصلنى الى مصر الجديدة التفت الى الشارع الذى تقع فيه شقة هاشم .. لعلى أرى سيارته .. ثم عدلت رأسى بسرعة كأنى خفت من محمد .. ولكنى ظللت طوال الطريق افكر فى هاشم ..

وعندما عدت الى بيت خالتى صبرية ، احسست بفداحة

الجرم الذى ارتكبته فى حقها .. أحسست بأنى خنت أمانتها .. خنت عطفها .. بأنى لوثت بيتها .. احسست بهذا الاحساس اكثر مما احسست به عندما كنت اقيم مع أمى ، وعندما كنت اقيم مع ابى .. لم اكن احس بأنى اخون ثقة امى او ابى ، كما احس بأنى خنت ثقة خالتى .. ربما لأن خالتى ليست مسؤولة عنى .. ولأن كل ما تقدمه لى هو تضحية منها .. كرم منها .. ورغم ذلك خنتها ..

لماذا ؟ يا ربى .. لماذا .. لا استطيع أن اكون فتاة طيبة ، تصون ثقة أهلها .. لا أدرى .. ربما كانت هذه طبيعتى .. ربما ورثت هذا الجنون عن أبى ..

ولم استطع أن اواجه خالتى صبرية عندما عدت اليها .. لم استطع ان ارفع عينى الى عينيها .. وربما امتقع وجهى وارتعشت أطرافى وهى تستقبلنى بابتسامتها الطيبة الحلوة .. وربما خيل الى أن فى نظراتها بعض الشك ، والتساؤل .. ولكنى لم اتوقف لأكتشف ما فى عقلها .. جريت الى الغرفة المخصصة لى ، ورقدت على السرير احاول ان أواجه نفسى على حقيقتها .. وخيل الى انى لن أستطيع أن أعيش فى بيت خالتى طويلا .. انى لا أطيق احساسى بأنى اخون ثقتها .. ولا اطيق طيبتها .. ولا اطيق تقييد حريتى .. لا أطيق أن اكون مسؤولة أمام أحد .

ولكنى ، اذا تركت بيت خالتى ، فكيف أعيش ..

انى استطيع أن أعود الى أبى .. ولكن أبى لن يستطيع أن ينفق على ..

اذن يجب أن أعود الى هاشم .. انى لا أستطيع أن أطلب من محمد أن ينفق على .. انه الى الآن يتصور انى فتاة من عائلة كبيرة ، تعيش فى رعاية أبيها ، ولا يمكن أن يتصور أنى فى

حاجة لرجل ينفق على .. وربما لو تصور هذا ، لخاف منى ، وابتعد عنى ..

اذا أعود الى هاشم ..

ولم تكن هذه هى كل الأسباب التى تدفعنى الى التفكير فى العودة لهاشم .. ولكن الواقع ، أن لقائى بمحمد أضعف مقاومتى لهاشم .. لقد كنت اقاوم هاشم فى كل دقيقة طوال الأسابيع التى مرت .. لقد كنت أقاوم حبى له .. وحاجة جسدى اليه .. وكنت أقاوم رغبتى فى الانتقام منه .. ولكن لقائى بمحمد كسر القيد الذى كنت أحاول أن أقيد به نفسى .. كسر ارادتى .. فتح القمقم الذى حاولت ان أحبس فيه عفريت جنونى .. وانطلق خيالى بكل قوته الى هاشم .. وتفتحت مسام جسدى كلها ظمأى اليه .. ان هاشم شىء آخر غير محمد .. انه يشبعنى .. يشبعنى بشخصيته القوية التى تسيطر على كل قطعة منى .. بغروره .. بصلفه .. باستهانته بى ..

وفى اليوم التالى ذهبت الى بيت خالتى سعدية ، واستطعت بمساعدة ابنتها ، أن أتصل بهاشم فى التليفون ..

وسمعت صوته بعد كل هذه الأسابيع ..

ثابتا رائقا لم يحدث له شىء .. كأنى لم اغب عنه .. كأنى لم أحتمل كل هذه المصائب من اجله ..

وقال فى مرح هادىء بمجرد أن سمع صوتى :

— انتى فين من زمان ..

قلت :

— أنا حصل لى حاجات كتير يا هاشم .. مصايب وقعت على دماغى ..

قال فى لهفة :

— خير ..

قلت :

— تصور ان عبد السلام خطف البنت .

قال :

— مش معقول .. وعملتى ايه ؟

قلت :

— لسه مش عارفه أعمل ايه .. أنا قاعده عند خالتى دلوقت .. انما لازم أشوفك ..

قال فى تردد :

— ما بلاش .. خلينا نتعود اننا ما نشفش بعض ..

قلت :

— لا .. انا محتاجه لك .. ولازم تعرف ان كل اللى حصل كان بسببك .. عبد السلام ما خطفش البنت الا لأنى أعرفك .. ومش ممكن دلوقت تسيبنى لوحدى .. لازم تساعدنى ..

وسكت برهة ثم قال فى قرف :

— حاضر ..

قلت بسرعة :

— بس مش حاشوفك فى شقتك ..

قال فى دهشة :

— ليه ؟

قلت :

— لأن خالتى وجوزها مصدقين على قوى .. ومراقبينى .. وكلهم عارفين شقتك فين ..

ولم يكن هذا صحيحا .. ولكنى كنت أخشى أن يرانى محمد عندما أذهب الى شقة هاشم القريبة من شقته ..

وقال هاشم بعصبية :

— أمال أشوفك فين .. فى جنينة الحيوانات ؟

قلت :

— لا .. فى شقة صاحبك رؤوف ..

قال :

— طيب .. بكره الساعه اربعه ..

قلت :

— لا .. النهارده .. انا عايزاك ضرورى ..

قال فى سخط :

— طيب ..

واستطعت يومها أن أقنع خالتى بأن تتركنى أذهب الى بيت أبى لأحضر بعض ثيابى التى تركتها هناك ..

وذهبت الى هاشم .. وكنت أعرف عنوان شقة رؤوف ضمن العناوين الكثيرة التى اعرفها وأضمها فى ذاكرتى مع نمر التليفونات ، ونمر السيارات ..

احساس آخر غير احساسى وانا ادخل الى شقة لملاقاة اى رجل آخر ..

انى أحس وانا اضغط الجرس فى انتظار ان يفتح هاشم ، بكل ضعفى .. أحس بكل شىء ينسحب منى .. وانى أنهار .. أنهار على سرير رجل يسلبنى كل شخصيتى .. وكل اعتزازى بكرامتى .. بل يسلبنى احساسى بجمالى وشبابى .. ولا أعود سوى شحاذة تشحذ رجولته ودفء شخصيته .. شحاذة مجنونة ..

وفتح لى هاشم الباب ..

وحاولت أن اكسو وجهى بطابع الحزن والأسى ، ولكنى لم

أستطع أن اكبت ابتسامة صغيرة طافت بشفتى ، وانا انظر اليه والشوق ينطلق فى قلبى ..

ولم يأخذنى بين ذراعيه ..

لم يقبلنى ..

كأنه لم تمض أسابيع كثيرة لم نلتق فيها .. ولم نتلامس فيها ..

وقال وهو ينظر الى وشفتاه تبخلان بابتسامة :

— انتى خسيتى ..

ونظرت اليه فى لوم ثم ارخيت عينى قائلة :

— ما بستنبش ليه .. مش وحشاك ! ؟

ونظر الى برهة .. ثم جذبنى الى صدره ، وحاول ان يقبلنى قبلة صغيرة ، ولكنى تعلقت بقبلته الصغيرة وجعلت منها قبلة كبيرة .. شربت .. وشربت .. وقبل أن أرتوى ابعدنى عن صدره .. قائلا وهو يلتقط أنفاسه :

— احكيلى .. حصل ايه ؟

قلت :

— ما تبعدنيش عنك يا هاشم .. انت واحشنى ..

قال :

— بس طمنينى الأول ..

وجلسنا على الأريكة ، وأخذت أروى له قصتى ، وعيناى تطوفان بوجهه وتعششان فوق أنفه الكبير .. وربما لم اكن متحمسة كثيرا فى رواية قصتى ، فقد كان هناك شىء يشغلنى عن الحماس لقصتى .. كنت أريد هاشم ..

وقال هاشم بعد أن انتهيت من قصتى :

— انتى السبب ..

قلت مغتاظة :

ـ ليه ؟

قال :

ـ لأنك اهملت البنت .. سايباها دايما مع الخدامة .. ما كنتيش تعملى حسابها ..

قلت :

ـ مش مهم الكلام ده دلوقت .. المهم أعمل ايه ؟

قال :

ـ مافيش الا انك تروحى لمحامى ..

قلت :

ـ وانت تدفع الأتعاب .. مش كده ؟

قال :

ـ أنا مستعد ..

قلت :

ـ انت كل اللى بتعمله انك تدينى فلوس ..

قال :

ـ انا باعمل لك اللى اقدر عليه ..

قلت :

ـ ما تقدرش على اكتر من كده ؟

قال فى برود :

ـ لا ..

قلت :

ـ طيب بوسنى ..

ونظر الى فى دهشة ، فصرخت :

ـ بوسنى .. دى الحاجة التانيه اللى تقدر تعملها ..

وقبلنى هاشم ..

واغمضت عينى لأتلقى قبلته .. وقبلات اكثر .. ولكن هاشم ليس كعادته .. انه هادىء .. بل خيل الى انه يضغط على أعصابه حتى يستجيب لى ولقبلاتى ..

ورغم ذلك فقد أخذت منه اكثر مما يستطيع اى رجل آخر ان يعطينى ..

انه التعود ..

ليس الحب ..

صدقونى .. ليس الحب .. لقد كنت فى هذه الأيام اكره هاشم ..

وعادت حياتى كما كانت ..

مرتبكة ..

ممزقة بين رجلين .. هاشم .. ومحمد ..

ولكننى لم اكن قد اندمجت فى هذه الحياة بعد بكل طاقتى .. كنت لا ازال أقيم فى بيت خالتى .. وكانت خالتى لا تزال تراقبنى .. ولا ازال أحسب حسابها .. وكنت أفكر كيف استطيع أن أفر من بيتها ، لأستعيد كل حريتى .. وكل طاقات جنونى .. انى أقيم عندها لأستعيد ابنتى .. ولكن ابنتى لم تعد لى .. فلماذا اقيم عندها .. ولماذا أحيط نفسى بناس يراقبوننى ، ويزهقون حريتى ..

الى أن كان يوم ..

وكنت عائدة من لقاء محمد عندما استقبلتنى خالتى متهللة الوجه وقالت كأنها تزغرد :

ـ خلاص يا ستى .. لقينا العريس ..

هل يمكننى أن أرفض العريس الذى جاءت به خالتى ؟

لا ..

كنت محرجة .. وكانت شخصيتى أضعف من أن تقاوم هذا الحرج .. أضعف من أن أواجه أمى وخالاتى ورجال العائلة ، لأقول لهم أنى لا أريد الزواج .. لا أريد أن أكرر تجربتى مع عبد السلام .. التجربة الفاشلة .. وكنت قد تركت الجميع يؤمنون بأنى اهتديت .. وأنى اقتنعت بأن أتزوج حتى يكون لى بيت هادىء صالح أستطيع أن أربى فيه ابنتى .. ولم أكن أستطيع ، بعد كل ما فعلوه من أجلى ، أن أصدمهم .. أن أكشف لهم عن حقيقتى .. أن أبدو أمامهم كأنى لا زلت مجنونة .. وأرفض الزواج ..

من أجل ابنتى .. يجب أن أتزوج ..

ومن أجل عائلتى ..

وجاء فريد ..

العريس ..

فى التاسعة والثلاثين من عمره .. لعله فى الأربعين ، فقد تعود الرجال أن يختصروا العام الأخير قبل الأربعين .. أبيض .. ملظلظ .. شعره فاتح ، وقع عن مقدمة رأسه وتركها صلعاء .. وقد سبق له الزواج .. وعنده ولد .. ويعمل مديرا لاحدى الشركات .. ودخله يصل الى مائة جنيه فى الشهر ..

ولم تكن عائلتى تطمع فى رجل خير من هذا .. فأنا مطلقة .. ولى بنت .. فى الخامسة والعشرين من عمرى .. وفقيرة .. ليس لى دخل خاص .. وسمعتى زفت .. ولا أستحق أكثر من فريد .. انهم لا يعلمون أن هناك شبانا كمحمد يذوبون فى حبى .. ولا يعلمون أن هاشم لا يزال مرتبطا بى .. بل لا يعلمون أن حسن أيضا — خطيبى السابق — لا يزال تحت أمرى .. ربما لم يكن واحد من هؤلاء الثلاثة يرضى بأن يتزوجنى .. ولكن كلا

منهم على الأقل كان مستعدا لأن يتزوجنى ، لو لم يعرفنى على حقيقتى .. أنا لست رخيصة كما يعتقدون ، حتى يفرحوا كل هذه الفرحة ، لأنهم وجدوا رجلا كفريد يتزوجنى ..

ولم يكن فريد — هو الآخر — يعلم شيئا عنى ، رغم انه يقيم فى القاهرة .. لقد اثبتت القاهرة مرة ثانية انها ليست مجتمعا واحدا ، وأن كل فتاة مهما فعلت ، تستطيع دائما أن تجد رجلا لا يعلم عما فعلته شيئا ..

واكتفى فريد بما يعرفه عن عائلتى العريقة ، التى تضم أسماء كبيرة .. واكتفى بما أحسه فى بيت خالتى من هدوء وطيبة واستقرار .. واعتقد أنى أنا أيضا لابد أن أكون هادئة ، طيبة ، مستقرة .. شريفة .. وانبهر بى .. انبهر بجمالى .. والرقة المصطنعة التى أستطيع دائما أن أطبع بها حركاتى .. وتلهف على اعلان الخطبة .. بسرعة .. كأنه كان يخشى فى كل يوم أن أرفضه ، أو ترفضه عائلتى الكبيرة العريقة ..

وكل ما استطعته أيامها هو اقناع خالتى بأن تؤجل اعلان الخطبة بعض الوقت ، حتى أستطيع أن أعرف فريد أكثر .. وقالت خالتى وهى تبتسم لى كأننا صديقتان :

— بس انا خايفه الراجل يطير ..

قلت كأنى أتوسل اليها :

— بس انتى عارفة حالتى يا طنط .. أنا لسه تعبانه ..

قالت :

— طيب يا مبتو .. فكرى على مهلك يا حبيبتى ..

قلت وأنا أبتسم :

— وما تخافيش انه يطير .. ده واقع لشوشته ..

وضحكت خالتى فى ثقة ..

وقضيت أياما كثيرة أفكر .. أياما خيل الى فيها انى لا أريد الزواج اطلاقا ، لا من فريد ولا من غيره .. خيل الى أن طبيعتى لا تطيق الزواج .. لا تطيق أن أتقيد برجل .. ربما لأن الرجل الوحيد الذى أحببته لم يقيدنى .. كان يكتفى منى بهذه المكالمات التليفونية السريعة ، ولقاء ساعة أو ساعتين كل يومين أو ثلاثة .. ثم يترك لى باقى أيامى حرة .. افعل ما اشاء بحريتى .. سواء تعذبت بها أو سعدت ..

وخيل الى فى تلك الأيام انى لا أستطيع الزواج حتى من أجل ابنتى .. انى لا استطيع أن احتمل هذه التضحية من اجلها .. التضحية بحريتى .. وحتى لو احتملتها ، فلا يمكن لأم تعيسة أن تربى ابنة سعيدة .. ولو تزوجت وعرفت رجالا آخرين ، فستنشأ ابنتى فى فساد . ثم من ادرانى أن ابنتى ستعود الى بعد أن اتزوج .. ربما صمم عبد السلام على الاحتفاظ بها ، خصوصا أن زواجى سينقل اليه الحق فى حضانتها .

وتجسمت فى رأسى كل هذه الخيالات ، الى حد انى تصورت لنفسى حياة جديدة .. حياة حرة .. بعيدا عن اهلى كلهم .. بعيدا عن أمى ، وعن أبى ، وعن خالاتى ، وعن ابنتى .. لم لا .. انى أستطيع أن أقيم فى بيت وحدى .. وهاشم ينفق على .. ويتركنى حرة كعادته ، لألتقى بمحمد .. وغير محمد .. حياة منطلقة الى آخرها .. افعل ما اشاء .. لا يحاسبنى أحد .. ولا أحسب حساب أحد ..

وحاولت أن أقيم فعلا هذه الحياة . وذهبت الى لقاء هاشم .. فى شقة رؤوف أيضا ، حتى لا يرانى محمد .. وقلت له :

— انا حاتجوز يا هاشم ..

وقال فى برود :

— مبروك ..

قلت :

— خالتى جايبالى واحد ..

قال :

— كويس ..

قلت :

— بس انا مش عايزه اتجوزه ..

ورفع عينيه فى دهشة وقال :

— ليه ؟؟

قلت :

— لأنى لسه باحبك ..

قال :

— بس انتى لازم تتجوزى .. ما فيش حاجه ممكن تعدل حياتك الا انك تتجوزى .. وانا مش حاتجوز ..

قلت :

— يعنى كويس انى اتجوز ، وافضل معاك ؟

قال :

— لا .. ما حدش قال كده .. اتجوزى وسيبينى ..

قلت :

— طيب ايه رايك انى ما اتجوزش وما اسيبكش .. اعيش لوحدى .. تاخد لى شقة لوحدى وتبقى تجيلى فيها ..

قال فى دهشة كأنه لم يكن يعرف أنى مجنونة الى هذا الحد :

— وتسيبى أهلك ؟

قلت :

— أيوه ..

قال :

— ما نبقبش مجنونة .. انتى مهما الناس قالت عنك ، انما لسه معروف انك بنت من عيله وقاعده مع أهلك .. يوم ما تسيبى أهلك حاتبقى حاجه تانية .. حاتضيعى مستقبلك .. وحاتلاقى نفسك انتقلت لمجتمع تانى .. مجتمع البنات فيه لهم صورة تانيه .. ووضع تانى .. مش حاتلاقى بيت كويس يستقبلك .. مش حاتلاقى بنت كويسه تصاحبك .. وما تنسيش بنتك .. حرام عليكى تعملى فيها كده .. حرام عليكى تخليها تنكسف من أمها .. أنا مش باهرب من مسئوليتك .. انما مش مستعد أتجنن معاكى ..

وهدم كلام هاشم كل ما بنيته فى خيالى ..

لم يبق الا أن أتزوج ..

أن أهلى لن يسكتوا عنى الا اذا تزوجت ..

وأعلنت خطبتى الى فريد ..

وعجلنا بكتب الكتاب ..

كتبنا الكتاب بعد الخطبة بثلاثة أسابيع ، فقد كانت خالتى تخشى أن يسمع فريد عنى كلام الناس ، فيعدل عن الزواج .. وكانت تقول لى انه ، لأنى مطلقة ، فلا يجب أن تطول فترة الخطوبة .. ووافقت أنا لأنى اعتقدت فى لحظة أن كتب الكتاب سيقيدنى أكثر .. سيقيدنى عن الاندفاع فى جنونى .. انه ليس كالخطبة .. لن أستطيع الفكاك من كتب الكتاب بنفس السهولة التى فككت فيها من خطوبتى الى حسن ..

والمهر أربعمائة جنيه .. فقط ..

المطلقات ثمنهن أرخص من البنات !!

وحتى ثمنى كمطلقة فى هبوط .. فقد كان المهر المتفق عليه عندما خطبت الى حسن ، هو سبعمائة جنيه .. غير الخاتم ..

وبكى محمد فى صباح يوم كتب الكتاب ..

كنت يومها أكاد أجن .. كنت أحس أنى أبيع حياتى كلها .. وكنت فى حاجة لأن أقابل هاشم لعله يستطيع أن يعيد الى رأسى .. لعله يستطيع أن يقنعنى .. يعيننى على احتمال مصيبتى .. ولكن هاشم كان مشغولا بمرضاه .. رفض أن يقابلنى .. فقابلت محمد ، قبل أن اذهب الى الحلاق لأصفف شعرى استعدادا لحفلة كتب الكتاب ..

وبكى محمد ..

بكى بدموع صادقة ..

وحاول أن يقنعنى بأن أعدل عن الزواج .. قال لى انى لا زلت صغيرة ، وحرام أن اتزوج رجلا لا احبه .. حرام أن اقبر حياتى .. ثم قال انه مستعد أن يتزوجنى ، لو انتظرت حتى تتزوج أخواته البنات ..

ولكن كان الوقت قد فات لكل هذا الكلام ..

لا أستطيع ان اتراجع ..

وجاء المأذون ، وكتب العقد فى حفل عائلى صغير .. وفكرى شارد مع هاشم .. وآثار قبلات محمد لا تزال فوق شفتى منذ الصباح ..

وصالحنى زوج أمى بعد أن تزوجت ..

وبدأت العائلات التى كانت تستقبلنى فى برود ، تستقبلنى انا وزوجى بترحاب .. وعدت كما كنت أيام كان قرانى معقودا على عبد السلام .. أخرج مع فريد كل ليلة .. ولكنى لا اسمح

له بأن يلمسنى ، محتجة بأننا لم ننتقل الى بيتنا بعد .. كل ما كنت أسمح به هو أن يقبلنى على خدى ..

وكنت منذ أن تقدم الى أعامله بغطرسة ، وترفع .. كنت أشعره دائما بأنى شىء كبير ، أرقى منه وأرفع .. وكان يطلق على لقب « البرنسيسة » وأحيانا « الامبراطورة » .. من كثرة ما أتعالى عليه .. ومن شدة محاسبتى له على كل هفوة من هفواته ..

وبعد أن كتب الكتاب أصبحت أتعالى عليه أكثر .. وأقسو فى معاملته أكثر .. وتنقضى أيام كاملة لا أتحدث اليه خلالها سوى كلمات متقطعة باردة .. ويأتى ليسهر عندنا ، فأجلس أمام التلفزيون صامتة ، وهو جالس خلفى على الأريكة ، حتى ينتهى البرنامج ، فأقوم وادخل غرفتى وأتركه وحده .. وكان يشكو لأهلى هذا التعالى .. ويرجو أمى أن تتدخل لتقنعنى بأن أعامله معاملة أرق .. أن أتنازل وأهبه بعض حنانى .. شيئا منى .. ولكنى كنت معذورة فى هذا التعالى .. كنت فعلا لا أطيقه .. وكانت هفواته الصغيرة تبدو فى عينى كبيرة .. بشعة .. والساعات التى أقضيها معه تكاد تخنقنى .. وأصبحت أبكى كلما خلوت الى نفسى .. أبكى من ثقل الحياة التى أقدم عليها مع فريد .. أبكى حظى فى أن تنتهى حياتى مع رجل مثله .. نسيت كل ما قاسيته فى حياتى الماضية .. نسيت عذابى مع هاشم ... بل خيل الى أن عذابى مع هاشم أرحم بكثير من حياتى التى أتصورها مع فريد .. لماذا رميت نفسى هذه الرمية .. لماذا أبيع كل عمرى فى سبيل كلام الناس .. أو حتى فى سبيل بنتى .. انى لا زلت شابة .. وجميلة .. وذكية .. أن أمامى حياة

واسعة .. حرة .. زاهية .. فلماذا أبيعها بحياة راكدة مظلمة مع رجل مثل فريد ..

وحاولت أن أتلهى عن هذه الأفكار السوداء ..

كنت أحادث هاشم فى التليفون ، ويرفض مقابلتى ..

وكنت أذهب الى لقاء محمد كلما سنحت لى الفرصة ..

ولكن أفكارى السوداء لا تزال تلح على رأسى .. وأتصور هاشم قد صبح يعيش حياة ليس لى فيها نصيب .. حياة مع فتاة أخرى .. وأتصور محمد وقد زهق من هذه اللقاءات السريعة التى يلقانى فيها ، وبحث لنفسه عن فتاة أخرى .. وأتصور نفسى زوجة تلتقى بعشيق فى السر .. فى الظلام .. وعلى عجل .. تخطف الحب خطفا ..

ـ لا .. مستحيل ..

وبعد أسبوعين .. أسبوعين فقط .. من كتب كتابى كنت أضع الخطة للتخلص من فريد .

كنت أمهد للطلاق ..

وكانت أول خطوة أن أقنعت أمى وخالتى صبرية أن أعود لأقيم مع أبى فى الشقة التى لا يزال أبى يحتفظ بها لى ، حتى أكون قريبة من البلد فى أيام الجهاز ..

وخافت أمى ..

واقتنعت خالتى ، وهى سعيدة لأنها قامت بمهمتها وزوجتنى ..

ثم كان يجب أن أضمن هاشم .. فاتصلت به ، وقلت له :

ـ عاجبك كده .. عاجبك ترمينى الرميه دى ؟ ..

وقال دهشا :

ـ أنا رميتك !! انتى مش اتجوزتى ؟

قلت :

— ودى جوازه .. انا مش طايقاه .. مش قادره أستحمل .. ولسه باحبك .. واذا ما كنتش حا اقابلك .. حاروح أقابل غيرك ..

— اعقلى يا امينه .. ما تبقيش مجنونه ..

قلت :

— أعقل يعنى ايه .. يعنى اتجوز وأرافق على جوزى .. هو ده العقل .. اذا كان كده يبقى الجنان أحسن .. أشرف ..

قال :

— يا أمينه انتى لسه ما تعرفيش اذا كنتى حاتستحملى ولا ما تستحمليش .. حاولى .. على الأقل حاولى .. اتجوزى سنه ولا سنتين ، وبعدين اذا ما قدرتيش ابقى اطلقى .. كل الناس بتعمل كده ..

قلت :

— انا أشرف من الناس .. لأنى مش عايزه اضحك على راجل عارفه ومتأكده انى مش حا اقدر انى أعيش معاه .. وانى اذا عشت معاه حا اخونه ..

قال :

— طيب وكنتى اتجوزتيه ليه ..

قلت :

— أهلى ضغطوا على .. وكنت فاكره انى حا اقدر اتجوز ..

قال :

— حرام عليكى يا امينه .. الرجاله مش تحت أمرك .. تتجوزيهم وتسيبيهم زى ما انتى عايزه .. دى مش اول مرة تعمليها .. الراجل ده ذنبه ايه ..

قلت :

— وانا ذنبى ايه .. نا باعمل ده كله علشان خاطرك يا هاشم .. انا باحبك .. مش قادره أستغنى عنك ..

ويئس هاشم من اقناعى ..

وتركنى وهو مقتنع بأنى سأترك زوجى من اجله ..

وفى الوقت نفسه ذهبت الى لقاء محمد .. وقلت له وانا ابكى :

— انا حاسيب جوزى يا محمد ..

وقال فى سذاجة :

— ليه ؟

قلت :

— لانى باحبك .. ما اقدرش استغنى عنك .. وما اقدرش اتجوز واحد واخونه معاك .. ما اقدرش .. ما اقدرش ابدا ..

وفرح محمد ..

وشجعنى على الطلاق ، وهو مقتنع بأنى أشرف سيدة فى مصر .. سيدة ترفض أن تتزوج رجلا تخونه .. سيدة تضحى بزوجها فى سبيل أن تبقى لرجل واحد تحبه .. حتى بلا زواج .. وهكذا ..

اصبح لى رجلان ، كل منهما يعتقد انى سأترك زوجى من اجله .. رجلان يستطيعان أن يضمنا لى حياتى ..

ولكن .. هل أنا قوية الى هذا الحد .. قوية الى حد أن اطلق بعد أسبوعين من الزواج ، ثم أواجه الدنيا كلها وحدى ..

ومرت على لحظات كنت أضعف فيها .. كنت أخاف .. أخاف من اهلى ومن الناس .. وأخاف من مواجهة الحياة وحدى ..

ثم أعود وأسترد ثقتى بنفسى .. انى لست وحيــدة .. ان معى هاشم ومحمد .. و ..

وتغلب جنونى ..

بدأت حملة الطلاق .. وكنت أعرف أن أحدا من عائلتى لن يقف فى جانبى .. كان يجب أن أعتمد على نفسى .. أعتمد على أن اثير فريد الى أن يطلقنى .. وبدأت أخلق الأزمات .. خلقت أزمة كبيرة لأنه وهو يتحدث عن تأثيث بيتنا الجديد لم يفكر فى تخصيص حجرة لابنتى فى الوقت الذى فكر فى تخصيص حجـــرة لابنه .. وخلقت أزمة لأنه لم حاول الاتصال بعد السلام لاستعادة ابنتى .. وخلقت أزمة لأنه يغالى فى طلبات الجهاز .

وصرخت فيه :

ــ انت مغشوش فى .. انت اتجوزتنى على طمع .. فاكرنى غنيه .. أحب قولك ان ما حلتيش ، ولا حيلة أبويا ، ولا مليم ..

والمسكين يحاول أن يصد كل هذه الأزمات .. ويوسط العائلة كلها فى كل أزمة .. وأخيرا قلت له فى هدوء ، وكنـــا وحدنا جالسين أمام التلفزيون :

ــ اســمع يا فريد .. احنا نطــلق .. أحسن لك .. وأحسن لى ..

وقال والذعر فى عينيه :

ــ نطلق .. نطلق ازاى .. ده احنا لسه ما تجوزناش .

قلت :

ــ أنا ما بحبكش يا فريد .. وما اعتقدش انى حا احبك ..

قال :

ــ مش ممكن تحبينى دلوقتى .. ادينى فرصة لغاية ما خليكى تحبينى ..

قلت :

ــ أنا عارفه نفسى .. مش ممكن حا احبــك .. وانت ما ترضاش انى أتجوزك واخونك مع واحد تانى ..

وجن فريد ..

وارتفعت الأزمة الى ذروتها .. وطافت ألسنة النار بكل بيت من بيوت العائلة .. ووقفت فى وجه الجميع مصممة على الطلاق ، حتى لو تخلوا عنى كلهم ..

وبدأ فريد يبحث ورائى .. وبسرعة اكتشف حكايتى مع هاشم .. وعرف أسباب فسخ خطبتى الى حسن .. بل اكتشف أيضا علاقتى بمحمد .. بكثيرين ممن عرفتهم .. وصرخ فى وجه أمى وأمام زوجها ، وأمام خالاتى كلهم :

ــ ده مش الدكتور هاشم بس .. دول كتير ..

وطلقنى ..

ولكنه لم يكن نبيلا كحسن .. لقد استعاد المهر كله ، رغم انى كنت أستطيع أن أدعى عليــه أنه دخل على ، وأن الخـــلوة الشرعية قد وقعت بيننا .. واستعاد هداياه كلها واحدة واحدة .. وطالبنى بأن أدفع ثمن علبة الملبس السيفر التى أهداها لى فى كتب الكتاب .. بل رفض أن يستعيد الدبلة وطالب بثمنها .. وذهب الى أكثر من هذا .. طلب أن أدفع له نفقات السهرات التى سهرتها معه .. ثمن تذاكر السينما .. والعشاء فى المحـــلات العامة ..

ودفعت ..

دفعت من نقود هاشم ..

وطردنى أهلى كلهم ..

لم أر خالتى صبرية من يومها ..

ولم اشعر بالندم ..
أبدا ..
لقد أصبحت حرة ..
حرة حتى فى ابنتى ..
ولى رجلان .. هاشم .. ومحمد .. اذا تركنى أحدهما يبقى لى الآخر .. وكلاهما غنى ، اذا لم يتزوجنى ، فانه يستطيع أن ينفق على ..
انى مطمئنة ..
مطمئنة على مستقبلى .. سواء بنيتــه على الحلال ، أم على الحرام ..
وسددت أذنى عن الضجة الكبيرة التى ثارت حولى عقب طلاقى .. وقد احتمل هاشم معى كل هذه الضجة .. فقد عاد الناس يرددون انى تركت زوجى لأتزوجه .. وربما لم يحتمــل هاشم هذه الضجة .. ولكنه لم يأبه بها .. غروره .. وصلفه ، وانشغاله بمرضاه ، سد أذنيه عن سماعها .. تماما كما ســد أذنيه عن الضجة التى ثارت بعد أن فسخت خطبتى بحسن ..
أين حسن ؟
انه لا يزال فى حياتى .. يتصل بى فى التليفون ، ويسأل عنى .. ويتذكر عيــد ميلادى ليهنئنى به .. انه لا يزال نبيلا .. ولكنى لا التفت .. لم أعد فى حاجة اليه .. وحياتى كلها موزعة بين هاشم ومحمد .. لا يستطيع أحدهما أن يغنينى عن الآخر .. هاشم يذيبنى فى شخصيته القوية ، ومحمد يملؤنى غرورا بشبابه ، واندفاعه فى حبى ..
وقد قلت لهاشم عن محمد .. قلت له ربع الحقيقة كعادتى .. ولا أدرى لماذا اندفعت لأقول له :

ــ انا اتعرفت بواحد اسمه محمد .. ابن المرحوم مهران باشا .. تعرفه !
وقلب هاشم شفتيه امتعاضا ، وقال فى اختصار :
ــ لا ..
قلت :
ــ ده جدع مؤدب قوى ..
وقال وهو ينظر فى عينى وابتسامة ساخرة بين شفتيه كأنه يعرفنى اكثر مما أعرف نفسى :
ــ وعرفتيه فين ؟
قلت :
ــ فى مصر الجديده .. فى النادى .. ما تتصورش اد ايه الجدع ده مهذب ومؤدب ..
وقال وهو زهق :
ــ كل واحد بيعرف واحده بيبقى مؤدب ومهــذب .. فى الأول ..
وقلب شفتيه وسكت ..
وقلت وانا أضع راسى فوق كتفه :
ــ انت زعلت .. ده صغير .. لسه ما كملش سبعه وعشرين سنه ..
وضحك هاشم ضحكة كبيرة ، وقال :
ــ فكرتينى بميمى شكيب .. قالت نفس الجمله فى روايه من روايات الريحانى .. كانت بتقولها نكته علشــان النـاس تضحك ..
وقلت :
ــ يعنى مش مصدق انى ما فيش بينى وبينه حاجه ..

ونظر الى كأنه يشفق علىّ ، وقال :

ــ لا .. مصدقك !

انه مغـــرور .. انى أجن من غروره .. وقد كنت أتمنى ساعتها ألا يصدقنى .. أن يحقق معى .. أن يثور .. أن يضربنى .. ولكنه لم يفعل .. المغرور البارد ..

وقد كان برود هاشم يتزايد يوما بعد يوم .. كان يبدو كأنه يئس منى .. وكانت نظراته توحى لى بأنه يعرف عنى أكثر مما اقول له .. واصبحنا لا نلتقى الا ليأخذنى .. بسرعة .. واهمال .. كأنه فقط يؤدى واجبا تعود عليه .. كأنه يغسل أسنانه .. فاذا بقى له وقت بعد ذلك لا نجـد شـيئا نقوله الا أن ينصحنى بأن أنتبه الى مستقبلى .. فأثور .. وأتهمه بأنه هو الذى ضـيع مستقبلى .. فيتركنى وينصرف عنى فى سأم .. والملل يكســو وجهه ..

وفى هذه الأيام .. نفس الأيام التى حدثته فيها عن محمـد .. بدأ هاشم يحدثنى عن نجوى .. انى لم أر نجوى الى اليوم .. ولكنى رأيتها بعد ذلك فى عينى هاشم .. وقد ذهبت اليـه يوما ، فوجدته جالسا فى الشقة ، مقطب الجبين ، حزين العينين .. واستقبلنى ســاهما كأنه لا يرانى .. ومــرت فترة طويلة لا يحدثنى خلالها ، ولا يقربنى .. فقلت له وأنا أنظر اليه أحاول أن اكتشف سره :

ــ مالك ؟

قال :

ــ ولا حاجه .. متضايق شويه ..

ومرت فترة صمت أخرى .. ثم انطلق فجأة قائلا :

ــ تصورى .. بنت عندها تسعتاشر سنه .. جميله ..

حلوه .. زى الورده .. يجيلها روماتيزم فى القلب .. ليه .. ليه .. حاجه تجنن .. الروماتيزم ما يجيش فى قلبى انا ليـه .. أنا كبرت وعشت .. انما دى .. تسعتاشر سنه .. قلبها لسه ما تمتعش .. يجيلها روماتيزم ليه ..

وكنت أعرف أن هاشم يتعذب مع مرضاه .. ولكن ليس الى هذا الحد .. انى لم أره أبدا حزينا .. عطوفا .. الى هذا الحد .. وأحسست به كأن التى يتحدث عنها أكثر من مريضة بالنسبة له .. أحسست بأنه يتكلم عن مخلوقة تعيش فى قلبه ، وفى عقله ..

وانطلقت الغيرة فى صدرى .. وقلت فى حدة وسخط :

ــ ومالك زعلان قوى كده .. ما فيه مليون واحده عنـدها روماتيزم فى القلب .

وقال وعيناه هائمتان :

ــ بس مش نجوى .. دى رقيقه .. جميله .. لو تشوفى أبوها وأمها عاملين ايه .. الاتنين عواجيز .. ومالهمش غيرها .. أبوها عينيه راحت من كتر بكاه عليها ..

وقلت وزوبعة من الحقد تقتلعنى :

ــ انشالله تموت ..

ونظر الىّ كأنه يخنقنى بعينيه ، وقال فى صوت بارد كحـد سكين :

ــ انتى مش انسانه .. انتى ما عندكيش قلب ..

ثم سكت .. كأنه يضن بأن يتحدث عن مريضته أمام مخلوقة مثلى ..

وسكت أنا أيضا مدعية اللامبالاة .. والغيرة لا تزال تأكل فى صدرى ..

وقد بدأت أغار على هاشم أكثر منذ أن عرفت محمــــد .. كانت مغامراتى مع محمد ، تجعلنى أخاف من أن أفقد هاشـــم .. وكان تزايد برود هاشــــم ، يجعلنى أخاف أكثر .. فأنطلق وراءه لأتأكد فى كل لحظة أين هو .. وماذا يفعــل .. وأذهب الى شـــقته كلما غاب عنى لأبحث عنــه .. وكان يغضب منى كثيرا لمضايقتى له ، ويلقى فى وجهى بسـماعة التليفون ، ثم يرفعها حتى لا أستطيع أن أتصل به .. فكنت أجن .. كان يخيل الى أنى لو تركته يوما واحدا غاضبا منى ، فسأفقده الى الأبد .. فكنت أجرى الى العيادة .. وكنت أعلم أنى لو صــعدت فلن يسمح لى التومرجى بمقابلته ، فكنت أفتح سيارته الواقفة عنـد الباب ، واجلس فيها ، أنتظره .. أنتظر ســاعتين .. ثلاثا .. الى أن ينزل .. يرانى .. فيشهق .. ويتلفت حوله كأنه يخشى الفضـــيحة .. ثم يصحبنى الى البيت .. ويصالحنى .. فقط ليتجنب أن أسبب له فضيحة أخرى .. لقد أصبحت أبتز هاشـــم بالتهديد .. أبتز قواه ، ونقوده بالتهديد .. أصبحت مجرمة ..

وكنت أغار على محمد أيضا ..

ولكن غيرتى على محمد كانت نوعا من القلق .. فأنى أعلـــم أنه لم يكن فى حياته نساء أجمل منى .. ثم انى لا زلت جديدة فى حياته ، فلا يمكن أن أخشى مللة .. وشخصيتى وذكائى أقوى من شخصيته وذكائه .. ثم انه يعرف علاقتى بهاشم .. لقــد اعترفت له .. لم أكن أستطيع أن أدير حياتى بينه وبين هاشم ، الا اذا اعترفت له .. اعترفت له بكل شىء .. قلت له ان هاشم هو الذى ينفق على .. وينفق على منذ ست سنوات .. لأن أبى يضيع أمواله على الزوجات والكونياك .. وقد رويت له كل ذلك فى صورة مأساة .. ودموعى تجرى على خدى .. كأنى ضحية

.. ضحية أنانية أب .. وضـــحية رجل أحببته يوما ما .. أى هاشم .. كل ما أضفته من عندى هو أن هاشم قد تزوجنى زواجا عرفيا .. وكنت مضطرة الى هذا الزواج لأنى فى حاجة اليـــه كى ينفق على ..

واحتار يومها محمد وقال والشك ملء عيونه :

ــ أمال سبتى فريد ليه ؟

قلت وأنا لا زلت أبكى :

ــ لأن فريد كان حايعيش معايا .. ما كنتش حا أقدر أقابلك انما هاشم مش عايش معايا .. سايبنى حره .. أقدر أقابلك زى ما أنا عايزه ..

قال :

ــ بس أنا مستعد أصرف عليكى ..

وقلت :

ــ أنا ما اقبلش يا محمد .. انت الحب الوحيد فى حياتى .. أنا كان متهيألى انى باحب هاشم .. انما بعد ما قابلتك عرفت انى كنت واهمه .. ومش عايزه أخليك تتحمل مسـئوليتى .. مسئولية ظروفى الوحشة .. عايزه أحبك زى أى بنت بتحب حبيبها من غير ما يصرف عليها .. ده حقى .. حقى انى أكون زى أى بنت تانيه .. علشان كده رضيت ان هاشم يرجع يصرف على بعد ما سبت فريد .. ورضيت انى أتجوزه جواز عرفى .. وماما عارفه ..

وتأثر محمد بقصتى ..

اعتبرنى ضحية ..

ضحية أبى .. وهاشم ..

وقال وصوته ينبض باللوعة :

— مينو .. انا مستعد انقذك من حياتك .. انقذك من ابوكى ومن هاشم المجرم .. مستعد اتجوزك بعد ما ..

وقاطعته :

— لأ .. يا محمد .. ما تجيبش سيرة الجواز ..

وربما ارتاح محمد لأنى أعفيته من سيرة الزواج .. وارتاح اكثر لأنى أعفيته من مسئولية الانفاق على .. وارضى غروره ان اكون له .. وانا لرجل آخر ..

ولم أكن حتى هذه الأيام قد احببت محمد .. ربما لم احبه ابدا حبا يغنينى عن هاشم .. ولكنى اندفعت معه .. واهمال هاشم لى جعلنى أندفع معه اكثر .. اصبحت أستهين بهاشم .. وازداد جرأة فى الاستهانة به .. بل وأتلذذ من الاستهانة به .. أحس كأنى أذله .. كأنى أحطم غروره .. كأنى انتقم منه .. وبلغ من استهانتى بهاشم انى كنت اذهب الى لقائه فى شقته فى الساعة الرابعة بعد مواعيد العيادة ، واعطيه نفسى ، ثم اتركه فى الخامسة والنصف ليذهب الى العيادة .. كنت انزل معه من الشقة .. واتركه يركب سيارته ، لأنه كان لا يحب أن يرانى احد معه فى النهار .. ثم اسير على قدمى أمام عينيه ، وبعد ثلاث دقائق .. مائة وخمسين خطوة بالضبط .. أصعد الى شقة محمد .. وأعطيه نفسى أيضا .. ثم اتركه فى الساعة التاسعة ، واذهب الى البيت لأتصل بهاشم بالتليفون ، واقسم له انى فى البيت منذ ان تركته ..

وأصبحت هذه حياتى ..

هل كنت سعيدة ..

ابدا ..

انى أتعذب .. أتعذب بقلق يمتص دمائى .. وجهى يزداد

اصفرارا .. كأنى اصبت بسرطان الدم .. وافقد احساسى بجسدى يوما بعد يوم .. أحس به يموت بين ذراعى هاشم .. ويموت بين ذراعى محمد .. وافتعل .. افتعل النشوة .. افتعل انفاسى .. وافتعل صرخاتى .. افتعل وأمثل حتى لا يحس احدهما بأنه يأخذ جسدا يموت .. وأعصابى أيضا تموت .. اصبحت فى حاجة الى عنف اكثر حتى اوقظها .. أو حتى انسى نفسى .. انسى الحضيض الذى أعيش فيه .. فى حاجة الأن اضرب بعنف .. ولأن اتألم حتى الصراخ .. حتى انسى .. وحتى لا تذبل حواسى .. وحتى لا يموت جسدى ..

وأنا .. منساقة ..

منساقة فى التشبث بهاشم ..

ومنساقة فى الاندفاع مع محمد ..

وجد شىء آخر ..

لقد استطاعت أمى .. وكنت قد عدت أقابلها سرا .. ان توسط بعض أصدقاء زوجى السابق عبد السلام حتى يسمح لى برؤية ابنتى .. كانت المسكينة تعتقد ان كل ما حدث لى ، وكل الجنون الذى أعيش فيه ، سببه أن ابنتى أخذت منى ..

ورضى عبد السلام أن يجعلنى ارى ابنتى .. بشرط ان اراها فى بيته بالسويس .. وذهبت اليه أول مرة مع صديقه وزوجته .. ودخلت بيته كأنى ادخل قطعة من ذكرياتى .. ذكريات كنت لا زلت خلالها فتاة منتشية بعمرها .. منتشية بجمالها .. منتشية بحبها ..

ولم تستقبلنى أمه .. تركونى مع الصديق وزوجته أكثر من نصف ساعة ، ثم جاء عبد السلام يشد فى يده ابنتى .. وما كدت

أراها حتى سقطت أمامها على ركبتى أحتضنها الى صدرى .. وأنا أصيح من خلال دموعى :

ــ هدى .. بنتى .. حبيبتى .. وحشتينى ..

وأحسست وأنا أضمها الى صدرى ، كأنه لا يزال فى حياتى شىء نظيف يمكن أن أضمه الى صدرى ..

ولكن هدى تنظر الى بعينين باردتين .

كأنها لا تعرفنى ..

والتفت الى عبد السلام وصرخت فيه :

ــ انت قلت لهـا ايه عنى .. قلت لها ايه .. البنت زى ما تكون مش عارفانى ..

وتدخل الصديق وزوجته ليهدئانى .. ورضيت بنصيبى الفاتر من حب ابنتى وتمنيت لحظتها لو استطعت ان أعود أما صالحة .. تمنيت لو بعت كل ما فى حياتى .. لأستعيد ابنتى .. استعيد حبها على الأقل .. وأقسمت بينى وبين نفسى أن احاول .. يجب أن احاول ..

وقال لى عبد السلام وهو يودعنى بعد أن اتفقنا على أن يسمح لى بأن أرى ابنتى كل اسبوع ، فى السويس ..

ــ عاملة ايه دلوقتى يا ميتو ..

قلت :

ــ كويسه ..

قال فى هدوء ووقار :

ــ ما كانش لك حق تسيبى فريد .. ده راجل كويس .. واعرفه ..

قلت :

ــ طبعا كان يهمك انى اتجوز علشان ما اطالبكش بالبنت ..

قال :

ــ ابدا والله .. انا يهمنى انك تبقى كويسـه .. حتى لو ما اخدتيش البنت .. دى بنتك وانتى أمها ..

قلت :

ــ انا كويسه .. احسن من اى ام فى الدنيا كلها ..

ونظر الىّ عبد السلام فى اشفاق، وهز راسه كأنه يعلم كل شىء عنى ..

ومضى يومان حاولت فيهما أن اتوب .. أتوب عن هاشم وعن محمد .. ولكنى لم احتمل اكثر من يومين .. انى وحيدة فى بيتى مع الخادمة .. وأبى لا أراه الا ساعة أو نصف ساعة عندما يعود فى المساء ، وقبل أن يصعد الى الشقة الأخرى التى تقيم فيها زوجته .. وكل ما يملأ حياتى فى البيت بعد ذلك هو مشاجراتى مع زوجة أبى .. مشاجرات حول أشيـاء تافهة .. حول طبق أخذته منى أو أخذته منها .. حول خادمتها وخادمتى .. حول قطعة من اللحم فقدت من ثلاجتها أو ثلاجتى .. حيـاة لا تساعدنى على أن أحمل .. حتى ولو من أجل ابنتى ..

وعدت ..

عدت الى الاثنين ..

وفى الأسبوع التالى ذهبت لأرى ابنتى فى السويس .. ولم أكن أستطيع أن أذهب فى القطار أو فى الأتوبيس .. فطلبت من هاشم أن يأخذنى فى سيارته .. وكان اليوم يوم الجمعة ، يوم عطلته .. ولكنه رفض .. ومنيته بكل ما أستطيع أن أعطيه له .. منيته بأن نذهب بعد ذلك الى العين السخنة .. ومنيته بأن نقضى يوما هائلا يريحه من عمله الكثير .. ولكنه رفض .. واضطررت أن ألجأ الى محمد .. وفرح محمد .. ولا أدرى لماذا

لم الجأ الى محمد من أول الأمر .. ربما لأنى لا زلت اعتبر نفسى ملكا لهاشم .. لا زلت أعتبره رجلى ..

وقطعنا الطريق أنا ومحمـــد ، ونحن نضـــع خططا صبيانية لخطف ابنتى من عبد السلام .. ثم نزلت من السيارة عنـــد مدخل السويس حتى لا يرانى عبد السلام معه .. واتفقت مع محمـــد أن ينتظرنى فى نفس المكان بعد ساعتين .. ثم ركبت ســـيارة تاكسى وذهبت الى بيت عبد السلام .. ورايت ابنتى .. جلست معها ثلاث ساعات .. اربعا .. لم اكن أستطيع أن اتركها .. وقد بدأ برودها يذوب .. وبدأت تعطينى حبها وحنانها ..

وعدت فى سيارة اجرة ، لأجد محمد فى انتظارى .. وقـــد استبد بى الزهق .. وقررت أن اكافئه .. فلم أعد الى بيتى .. عدت الى شقته وبت معه حتى الصباح ..

ربما كانت اول مرة يبيت فيها محمد مع امراة حتى الصـــباح .. فقد ذعرت أمه .. خافت عليه .. وبدأت من يومها تناصبنى العداء .. وكنت قد عرفت أخوات محمد البنات من خلال التليفون كما عرفت أخت هاشم .. بل عرفت امه أيضا .. كل الأخوات لهن أسلوب واحد وطابع واحد فى التحدث الى صديقات اخوتهن .. الرقة المفتعلة .. والفهم المتبادل .. والضحكات الخبيثة .. وكل الأمهات أيضا .. ولكن منذ بدأ محمد يبيت معى ، تغيرت معاملة الأم اولا .. ثم تغيرت معاملة الشقيقات ..

وقد أصبحت أبيت مع محمد كل اســـبوع كلما ذهبنـــا الى السويس ..

واشعر بالشماتة فى هاشم وانا اقضى الليل مع محمد .. ربما لم تكن شماتة .. ولكنها كانت حسرة لأن هاشم لم يقض الليل معى أبدا فى القاهرة .. وفى كل مرة .. ابتكر كذبة لهاشم

.. كنت نائمة عند بنت عمتى .. كنت نائمة عند خالتى .. ولم اتأكد بعد اذا كان هاشم يصدق كذباتى أو لا يصـــدق .. ولكنى كنت أتلذذ من الكذب عليه .. كان يخيل الى أن كل كذبة هى انتصار عليه ..

ثم حدث أن أمى اقنعت عبد السلام بأن يرســـل لها ابنتى لتقيم معها شهرا فى الاسكندرية أثناء الصيف ، ورضى عبد السلام بعد أن تعهد له زوج أمى بأن تكون ابنتى فى رعايته ..

وأصبحت أسافر مع محمد الى الاسكندرية كل اسبوع لأرى ابنتى هناك .. كانت أمى تأخذ ابنتى فى كابين احدى صديقاتها وأذهب لرؤيتها .. ثم أقضى الليل مع محمـــد فى شقة عائلته التى لم تكن تصيف فى هذا العام .. ومن بيت عائلة محمد كنت اتصل بهاشم فى القاهرة بالتليفون .. ومحمد واقف بجانبى .. مقتنعا أن هاشم زوجى .. زوجى العرفى .. وكنت اقول لهاشم انى ابيت فى بيت خالتى .. وانه يستطيع أن يتصل بى فى التليفون اذا اراد .. ثم أعطيه نمرة تليفون محمد .. ويقول هاشم فى برود :

— حاضر ..

والح عليه :

— بعد ما تخلص العيادة كلمنى يا هاشم .. ضرورى ..

ويرد هاشم :

— باذن الله ..

وكنت انتظر بجانب التليفون وانا فى أحضان محمد .. كنت أريد من هاشم أن يحدثنى ، حتى يزداد محمد اقتناعا بأننا متزوجان .. وحتى أرضى غروره .. غرور محمد .. وهو يحس انه فى

احضان زوجة رجل مشهور مثل هاشم .. ثم لأحس بأنى أذل هاشم ..

ولكن هاشم لم يكن يتحدث ..

أبدا لم يتحدث ..

كأنه كان يعرف أين أنا ..

بل أنه لم يكن يسألنى شيئا بعد أن أعود من الاسكندرية أو من السويس .

ومع مرور الأيام .. لم أعد أسافر لأرى ابنتى .. لم تعد ابنتى هى السبب الأول لسفرى .. أصبحت رؤيتى لها معادة مكررة لا أتحمس لها ، كأنها تقيم معى .. واختفت من راسى كل الخطط التى كنت أضعها لخطفها ، واستعادتها .. لقد حاولت فعلا أن انفذ بعض هذه الخطط ، ولكنى فشلت انا ومحمد .. انما أصبحت أسافر لأبقى مع محمد .. ولأحس انى بعيدة عن هاشم .. مستقلة عنه .. ولو يوما او يومين واعصابى تزداد تلفا ..

واحساسى الجسدى يذبل ..

ولا زلت فى حاجة الى مزيد من العنف ..

وتفاصيل كثيرة لا يمكن أن تتعرض لها النساء المحترمات .. تفاصيل تؤثر حتى فى كيانى الداخلى .. اننى امرأة اخرى .. اننى قريبة جدا من نساء الرصيف .. ان نساء الرصيف نساء أيضا ! ..

وكانت تمر على أيام تتجسم فيها الحالة التى وصلت اليها الى حد أن أفكر فى الانتحار .. وأبكى كأنى أشيع جثتى .. كأنى فى جنازة عمرى .. واتمنى على الله أن ينقذنى .. ينقذنى من نفسى .. من جنونى .. ولم يكن أحد يستطيع انقاذى

الا هاشم .. لو انه اهتم بى أكثر .. لو انه شعر بالغيرة على . لو انه عبر لى عن شكوكه التى تبدو فى عينيه .. لو انه هددنى .. لو انه طمأننى الى حبه .. فربما استطاع أن ينقذنى . واستطعت أن أنقذ نفسى .. بل أنى فكرت فى أن أعترف له بأن هناك رجلا آخر يأخذ جسدى .. رجلا أقضى فى أحضانه ليالى كاملة .. فربما بعد أن أعترف له يثور .. أو على الأقل يفتح لى بابا جديدا أستطيع أن أفر منه .. أفر من حالتى .. ولكنى لم أعترف له .. خفت خفت أن أفقده .. وهو يزداد برودا واهمالا .. واحس به يبتعد عنى بقلبه وعقله .. وأحس أن هناك فى حياته فتاة أخرى .. لعلها مريضته نجوى .. انه يرفض أن يتحدث عن نجوى الا فى كلمات متناثرة .. ولكنى أراها فى عينيه .. فى شروده . وكل ما عرفته عنها انها تسكن فى شارع الهرم ..

وكان هاشم أحيانا يلقى الى بكلمات مبتورة يعبر بها عن شكوكه .. فاجأنى مرة قائلا :

— عامله ايه مع محمد ..

وفوجئت فعلا .. وكاد لسانى يسبقنى .. ولكنى استطعت أن أسيطر على ذكائى بسرعة ، وقلت وأنا لا أنظر الى عينيه :

— محمد مين ؟

واتسعت ابتسامته وقال كأنه يستخف بى :

— ما تعرفيش واحد اسمه محمد ..

قلت :

— أعرف عشره اسمهم محمد .. قصدك مين فيهم ؟

قال وهو يهز كتفيه :

— ولا واحد من العشرة .. اقصد محمد الحداشر ..

قلت وقلبى يدق :

— ما تجننيش .. اتكلم بصراحه ..

— مهما اتكلمت بصراحة حاتنكرى .. حاتحلفى ببنتك .. وحاتحلفى بالقرآن .. أنا عارفك .. انما كل ده مش مهم .. المهم انك غبية .. لأنك مش قادره تحسى انك حره ، مش قادره تعرفى انى ما ليش حق عليكى .. انا مش جوزك علشان تتعبى نفسك وتكذبى على .. وانتى تقدرى تعرفى واحد تانى ببساطة .. ونبقى أنا وانتى أصدقاء . .ويمكن لما نبقى أصدقاء نبقى احسن من كده ..

قلت وانا اضع عينى فى عينيه :

— انا ما باكذبش عليك .. ويوم ما حاعرف واحد حاقولك ..

قال وكأنه لم يسمعنى ورنة غيظ فى صوته :

— واحب اقول لك كمان ان من السهل على اى واحده انها تعرف اتنين وتلاته .. انما الصعب انها تعرف واحد بس .. الخيانه سهله .. والاخلاص صعب ..

وصرخت :

— أنا مش فاهماك .. كلمنى بصراحه .. قصدك ايه ..

قال فى برود :

— مش ممكن تفهمينى .. لأنك غبيه ..

قلت :

— أنا غبيه لأنى باحبك ..

قال فى قرف :

— اذا كنت فاكره اننا كنا بنحب بعض .. فأحب اقولك ان

حبنا بيطلع فى الروح .. حبنا حالة سرطان .. ما فيش فايده منه ..

وسقطت دموعى .. دموع صادقة ، تحمل كل همى .. وقلت :

— انا لسه باحبك يا هاشم .. باحبك زى الأول واكتر ..

وقال وهو يزفر انفاسه :

— طيب ..

وتركنى ..

لم يحاول أن ينقذنى من نفسى ..

لم يحاول أن يتتبع حياتى ، او يتدخل فيها ليحد من حريتى .. حريتى التى تقتلنى ..

وأعصابى تزداد تلفا ..

واحس بها تختنق كلما رقدت فى فراش هاشم ، أو فى فراش محمد .. أحس كأنى أريد أن أخلع جلدى .. كأنى فى حاجة الى سكين لأسلخ جلدى عن جسدى لعلى استطيع بعد ذلك ان انطلق .. كأن جلدى سجن يخنق جسدى ويثير فيه كل هذا الاحساس بالاختناق .. فأحاول ان أهرب من جلدى .. ان اخلع جلدى ..

هل هذا تعبير مبالغ فيه .. ابدا .. لقد كنت احاول فعلا أن أخلع جلدى ..

حدث هذا فى احدى المرات القليلة التى دعانى فيها هاشم للسفر معه لقضاء نهاية الأسبوع .. كان أيامها يشعر بصداع دائم نتيجة عمله الكثير ، فقرر أن يأخذنى أنا والصداع ، ويسافر الى منطقة العلمين التى تقع فى الطريق الى مرسى مطروح ..

وقلت لمحمد انى مسافرة مع هاشـــم .. لم أكن فى حاجة الى أن أكذب عليه ، فهو مقتنع تماما بأنى متزوجة هاشـــم .. عرفيا ..

وفى العلمين فندق صغير مكون من اربع غرف فقط .. هادىء .. أنيق .. يطل على طريق مرسى مطروح .. وتمتـــد أمامه مقابر الحلفاء .. ويفصله عن البحر أرض مملحة واسعة ، تبرق فيها حبات الملح ، فتبدو كأنها أرض مزروعة بالنجوم .. بحبات الماس .. وبنات العربان فى ثيـــابهن الزاهية ، وابتساماتهن الحلوة الساذجة يطفن حول الفندق .. ولون مياه البحر زرقاء صافية لا تراها فى أى مكان آخر من البحر .. انها دنيا مسحورة .. احسست كأنى انتقلت الى أسطورة ..

وقيد هاشم اسمه فى سجل الفندق كعادته « هاشم محمد عبد اللطيف وحرمه » .. رفع لقب دكتور .. وأضـــاف اســـم « محمد » .. وأنا .. حرمه .. ثم صعدنا الى غرفتنا ، وخلعنا ثيابنا وارتدى كل منا « المايوه » .. ارتديت المايوه المخطط بخطوط زرقاء ، الذى اشتراه لى هاشم فى احدى رحلاته .. ثم خرجنا نسير فوق الأرض المملحة .. فوق النجـــوم .. فوق حبـــات الماس .. الى أن وصلنا الى البحر .. لا أحد معنا .. أنا وهو وحدنا فى الدنيا كلها .. وهاشم هادىء .. سرحان .. صامت .. ربما كان يفكر فى مرضاه أو فى مريضة معينة بالذات .. وأنا سعيدة .. هائمة فى كل ما حولى .. والهواء يخبط فوق جســـدى الذى يكشف عنه المايوه .. ويربت عليه .. فى رفق .. وحلاوة .. كأنه يد عاشق رقيق .. وانظر الى هاشم .. انفه الكبير .. وعيناه المنتفختان .. وصدره العارى القوى .. وجسده المتسق .. واحس انى اريد ان ادخل فيه .. اريد ان أعيش فى داخله

.. احس انى احبه .. احبه .. واحس انى اريده .. اريده ..

ولكنى فجأة تذكرت محمد .. احسست ببصمات محمد فوق جلدى .. احسست انى لن استطيع أبدا أن أعطى لهاشـــم جسدا نظيفا .. وانى لن أستطيع أبدا أن اتمتع به الا اذا غيرت جلدى ، ولبست جلدا نظيفا .. نفس الاحساس الذى أحس به عندما أشعر بحاجتى الى أن استحم لأزيل الأتربة عن جســـدى حتى انام نظيفة .. ولكنه احساس مجسم اكثر .

والتوت أعصابى نتيجة هذا الاحساس ..

اعصابى تخنقنى ..

والتفت الى هاشم قائلة فى عصبية مباغتة :

— قوم نتمشى شويه يا هاشم ..

وكان هاشم مستسلما ، على غير عادته وقام من جلسته على الشاطىء ، وسار بجانبى .. والدنيا كلها ليس فيها الا انا وهو .. وأنا اعانى احساسى بأنى أريد ان انطلق من جلدى .. أريد أن أفعل أى شىء أنسى بعده أن جلدى ليس نظيفا ..

ووصلنا الى منحنى فى الشاطىء تخفيه الصخور ..

وفجأة توقفت ..

وبلا أدنى تفكير .. خلعت المايوه .. وقذفت به بعيدا ..

انى عارية ..

عارية تماما ..

واحسست فجأة بالانطلاق .. الانطلاق من الســـجن .. احسن كأنى خلعت جلدى .. والمايوه ليس سوى قطعة صغيرة من القماش ، ورغم ذلك فقد احسست انى تخلصت من حمـــل ثقيل .. ثقيل جـــدا .. واحسست براحة .. راحة لذيذة .. ربما لم يكن السبب هو قطعة القماش .. ولكنها التقاليـــد ..

التقاليد التى تخلصت منها .. حتى لو كانت التقاليد مجرد مايوه ..

وارتميت عارية على الرمل وعيناى مبتهلتان الى هاشم ..

ونظر الى هاشم فى امتعاض ، وتمتم بكلمة لم أسمعها .. ولكنى أعرف هذه الكلمة .. « يا مجنونة » .

ثم ادار ظهره ، وجلس على احدى الصخور ..

وظللت أنظر اليه ، وقلبى يرتجف .. لا ادرى لماذا فعلت هذا .. ولا أدرى ماذا افعل بعد هذا .. ولكنى قمت بعدها ، والقيت نفسى فى مياه البحر .. عارية .. شىء آخر عندما كنت أنزل البحر وانا بالمايوه وصرخت فى هاشم :

ـــ تعالى يا هاشم .. الميه لذيذه قوى ..

وقال فى برود :

ـــ لأ .. مش حانزل دلوقتى ..

ثم قام من جلسته ، وسار عائدا ، وخرجت من الماء ، أجرى وراءه .. عارية .. وأنا اصرخ :

ـــ هاشم .. هاشم ..

ولحقت به .. تعلقت به وأنا أتوسل اليه :

ـــ ما تعملش فى كده يا هاشم .. انت مش عارف حالتى شكلها ايه ..

ونظر الى هاشم فى اشفاق ..

لقد تغير هاشم ..

لن يكون أبدا كما كان ..

انه لا يثور .. لا يضربنى .. ولا .. ولا .. انه فقط يشفق علىّ .. لم أعد فى نظره .. سوى مجنونة .

لماذا خلعت يومها المايوه ..

لانى كنت أريد أن اخلع جلدى .. جلدى المتسخ .. لعلى

اكتسب جلدا نظيفا .. او لعلى أغسل هذا الجلد وازيل ما عليه من بقع .. ولكن لا .. بقعة الجلد لا تمحى ابدا .. انها بقعة فى القلب .. وبقعة فى العقل ..

وازداد تلفا ..

ولكن ..

محمد يزداد حبا ..

ويزداد تحمسا لانقاذى من ظروفى ..

انه لا يطيق هاشم ..

يريد أن ينقذنى من هاشم ..

انه يريد أن يتزوجنى ..

يريد أن أترك هاشم ليتزوجنى ..

هل هذا معقول ..

هل يمكن أن يحدث ..

محمد يتزوجنى أنا ؟ ! ..

لم لا ..

كان زواجى من محمد أملا كبيرا .. أكبر من أن أصدقه .. أكبر من أن اتعلق به .. ان زواجى به هو الشىء الوحيد الذى يمكن أن يرد الى حياتى .. يرد الى سمعتى .. يرد الى اعتبارى أمام أهلى وصديقاتى ، والمجتمع الذى أعيش فيه .. ان محمد أمل احسن بنات البلد .. وأمه تخطب له بنات أكبر واشهر عائلات مصر .. فلو تزوجنى أنا ، فمعنى ذلك أنى أحسن من كل بنات البلد .. ثم ان محمد هو الذى يستطيع ـــ لو تزوجته ـــ أن يجعل منى فتاة هادئة .. أن يشفينى من جنونى .. أن يحررنى من الأنف الكبير الذى يتنفس من عمرى .. وقد كان محمد هو الرجل الوحيد ـــ بعد هاشم ـــ الذى احتفظت به كل هذه المدة الطويلة

.. أكثر من عام حتى الآن .. الباقون كلهم لم اطق ان احتفظ بهم اكثر من شهر او شهرين ..

ولكنى كنت اعلم أن محمد لن يستطيع ان يتزوجنى الا اذا تحدى اهله .. تحدى أمه واخوته وأعمامه .. انهم لن يوافقوه ابدا على زواجه بى .. انهم يعلمون عنى اكثر مما يعلم محمد نفسه .. وكانوا ينقلون اليه قصصا عنى .. فلا يصدقها ، لأنه كان يصدقنى انا وحدى ..

فهل يستطيع محمد ان يتحدى امه . هل يستطيع ان يضحى بهم من اجلى .

لست واثقة ..

انه يعذبنى ..

انه يقسم لى أن امه ستستسلم فى أخر الامر .. لانها لا تستطيع أن تضحى به .. انه ابنها الوحيد فوق ثلاث بنات ..

وهو يريدنى ان اترك هاشم ..

أن أمزق هذا الزواج الموهوم الذى أقنعته به ..

ولكنى لا استطيع ان اترك هاشم .. ليس الآن .. ان هاشم هو سلاحى الذى أثير به محمد وادفعه الى التحدى .. تحدى اهله .. ان هاشم هو قوتى على محمد .. ولن أتنازل عن قوتى الا فى أخر .. الا بعد أن أرى المأذون بعينى ..

وبقيت مع الاثنين ..

هاشم ، ومحمد ..

وتعبت ..

يارب .. انى اتمزق .. مستحيل ان احتمل هذه الحياة طويلا .. جسدى نفسه لا يمكنه ان يحتمل كل هذا .. صحتى .. اعصابى ..

انى ممزقة بين اثنين كل منهما يرتاح فى يومه ما فيه الكفاية .. وانا وحدى التى لا ارتاح فى يومى ..

هاشم يقابلنى فى النهار ، وينام فى الليل .. ومحمد ينام فى النهار — بعد الغداء — ويقابلنى فى المساء .. او العكس .. اما انا فلا انام .. اقابل هاشم ومحمد نائم ، واقابل محمد وهاشم نائم ، واطمئن الى ان كلا منهما نائم قبل ان اذهب الى لقاء الآخر .. بل انى احيانا كنت اقابل الاثنين فى ليلة واحدة .. اسهر مع هاشم حتى الساعة الواحدة ، ثم يعود بى الى البيت .. واجد نفسى وحدى .. واعصابى تالفة .. فأتصل بمحمد فى التليفون ، واطلب اليه ان يأتى .. وانزل معه لأبقى حتى الساعة الخامسة ..

واستأذن كلا منهما فى كل مناسبة لاقنعه انه رجلى .. اذا اردت ان انزل البلد اتصلت بهاشم واستأذنته ، ثم اتصلت بمحمد واستأذنته ..

وكل منهما اشعره بانه مسئول عنى واستشيره فى امورى .. وكل منهما ينهال على بنصائحه ..

هاشم يقول فى لهجة تحذير وعيناه غائمتان لا استطيع ان اعرف اذا كان ينظر بهما الى أم ينظر الى لا شىء :

— أمينه .. انتى ماشيه فى سكه خطر .. خدى بالك .

ومحمد يصيح فى حماس شبابه وحبه :

— ميتو .. انتى مش حتقدرى تستمرى بالشكل ده .. لازم تسيبى هاشم ..

وانا اسد اذنى عن نصائح كل منهما .. ولا اطمئن الى واحد منهما .. ان كلا منهما يستطيع ان يتركنى فى اى لحظة دون كلمة

وداع .. فكيف أطمئن .. ولماذا لا يتزوجنى احدهما ، بدلا من ان ينصحنى ..

ومحمد يرى العلامات الزرقاء التى يتركها هاشم على جسمى .. فيغضب .. ويثور .. ويجن غيرة ..

وهاشم يرى العلامات الزرقاء التى يتركها محمد على جلدى .. فيقرف .. وينظر الى كأنى شىء يقززه .. رغم انى اقسم له بأن هذه العلامات ليست سوى اثر لارتطام ساقى بحافة المائدة ، أو اثر من سقطتى وانا نازلة على السلم .. واقول له كأنى اتوسل اليه ان يصدقنى :

ـ انت عارف ان جلدى حساس .. اى حاجه بتعلم فيه ..

وينظر الى كأنه لن يصدقنى ابدا ..

وأصبحت ابذل مجهودا كبير حتى لا يترك احدهما علامة زرقاء على جسدى ، فيحاسبنى الآخر عليها .. مجهودا كان يفقدنى كثيرا من متعتى ..

ولم يكن هاشم يشغل وقتى قدر ما يشغله محمد .. فهاشم مشغول عنى بمرضاه .. ويهملنى .. ولكن محمد فاضى .. انه يذهب الى الشركة التى يعمل فيها فى الصباح ، ويخرج منها فى الساعة الواحدة .. ثم يتفرغ لى حتى صباح اليوم التالى .. اما معى .. واما فى بيته يحدثنى فى التليفون ، أو ينتظر ان احادثه فى التليفون ..

ولم اكن ابذل مجهودا كبيرا فى خداع هاشم ، فهو يقبل خدعتى بسرعة حتى لو اكتشفها .. كأنه يدفعنى فى طريق يريدنى ان اسير فيه .. وكلانا يعلم ان حبنا يذبل ويموت ، أو على حد تعبيره ، حب أصيب بالسرطان .. فكان كأنه يترك حبنا للسرطان .. أما محمد فحبه جديد ، لا يزال محتفظا بكل

حرارته .. انه يكلفنى مشقة فى خداعه ، واضطر ان امثل امامه دور الفتاة المظلومة التى رماها القدر فى يد رجل أحبته ورفض ان يتزوجها الا زواجا عرفيا خوفا من أهله ، وتركها تعيش وحدها فى بيت أبيها .. فلا هى زوجة ، ولا هى حرة .. ومحمد يتحمس وينقل الى أخبار أمه يوما بيوم ، ويؤكد انه ينتظر اللحظة المناسبة ليفاتحها فى زواجه بى .

ولكنى كنت اخاف على هاشم اكثر .. كنت اخاف ان يتركنى فجأة ، وقبل ان اتزوج محمد .. كنت لا اريده ان يتركنى الا فى اليوم الذى احدده انا .. اكثر من ذلك .. كنت اريد ان اتركه انا قبل ان يتركنى هو .. وكنت اعلم انى سأجن لو تركنى قبل ان اتركه .. وكل ذلك يدفعنى الى ملاحقته اكثر .. الى الاطمئنان دائما الى انه فى عيادته ، او فى بيته ، أو مع اصدقائه .. الاطمئنان الى ان امرأة اخرى لم تأخذه منى ..

الى أن كان يوم ..

وبحثت عن هاشم بالتليفون فلم أجده .. ونزلت كالمجنونة وركبت تاكسى واخذت ـ كعادتى ـ ابحث عنه .. ولم أجده فى شقته .. ولا فى شقة أحد من اصدقائه .. ثم تذكرت فجاة « نجوى » .. الفتاة المريضة التى تشرد عيناه كلما لفظ اسمها .. وتذكرت انه قال لى مرة انها تسكن فى شارع الهرم .. فأمرت سائق التاكسى بأن يتوجه الى هناك .. وما كادت السيارة تتعدى النفق الذى يقع فى أول الشارع .. حتى لمحت هاشم فى الناحية الأخرى من الشارع ، عائداً فى سيارته .. يقودها فى بطء .. ويدخن سيجارته فى هدوء وبين شفتيه ابتسامة نائمة .. كأنه اسعد رجل فى العالم ..

وأمرت سائق التاكسى أن يلف ويتبع سيارة هاشم .. وما كاد التاكسى يوازى سيارة هاشم ، حتى أوقف سيارته بسرعة ..

وأوقفت التاكسى ، ونقدته اجرته ، وقفزت الى سيارة هاشم .. وقلت وعيناى تنبشان وجهه :

— كنت فين حضرتك ؟

وقال وقد قطب جبينه كأنه افاق من حلمه الجميل :

— ما تسألنيش .. انتى ماليكيش حق تسألينى .. لازم تعرفى اننا ســبينا بعض من زمان .. وانا سايبك تعملى اللى انتى عايزاه ، وكل اللى باطلبه منك انك تسيبينى أعيش زى ما انا عايز ..

وقلت وقد صدمتنى المفاجأة :

— انت بتتكلم جد يا هاشم ؟

قال فى اصرار :

— طبعا . باتكلم جد ..

قلت والدموع تملأ عينى :

— يعنى احنا سبنا بعض خلاص ..

قال وهو ينظر الى :

— انتى عارفه اننا سيبنا بعض من زمان ..

قلت وقد انهمرت دموعى وارتفع نشيجى :

— لا .. مش عارفه .. انا ما سبتكش .. وانت مش من حقك انك تسيبنى .. ما تقدرش تسيبنى بعد ما عملت فى كل ده ..

ولم يرد هاشم ..

ظل صامتا مزموم الشفتين ..

واشتد بكائى .. وارتفع نشيجى اكثر .. واخذت الطم على

خدى .. وأدبدب على أرض السيارة بقدمى .. وهاشم لا يتأثر .. لم تعد دموعى لها قيمة عنده من كثرة ما بذلتها له ..

وقال فى صمت جامد :

— تسمحى تبطلى عياط .. احنا فى الشارع ..

وصرخت فيه :

— انت ما يهمكش حاجة الا نفسك .. مش كده .. عايزنى اصرخ والم الناس عليك ، علشان يشوفوا الدكتور المشهور بيعمل فى بنات الناس ايه ..

وقال فى برود :

— بنات الناس ما يصوتوش فى الشارع ..

وامتلأ قلبى بالغل .. وخيل الى انى سأضربه .. سأمزق وجهه بأظافرى .. ولكنى لم أستطع الا ان ابكى ..

وأوصلنى هاشم الى بيتى فى الروضة .. وقال وانا انزل من السيارة دون أن يلتفت الى :

— مع السلامة ..

وقلت وانا اخبط باب السيارة ورائى كأننى اصفعه به :

— ربنا ينتقم منك ..

وانطلق بسيارته قبل أن أدخل من باب العمارة ..

وسكتت دموعى بمجرد أن دخلت بيتى .. لم تكن كلها دموعا حقيقية .. ان دموعى فى حقيبتى واستطيع ان اذرفها وقتما أشاء ، واستطيع أن أخفيها وقتما اشاء .. ولم أكن فى الواقع قد صدقت هاشم عندما قال لى انه تركنى .. انى أعلم انه لم يقل ذلك الا تخلصا من الحرج الذى يعانيه بعد أن ضبطته عائدا من عند نجوى .. ثم انى أستطيع دائما أن أعيد هاشم الى .. انى واثقة انى أستطيع أن أعيده ..

واتصلت بمحمد بالتليفون واتفقت معه على أن يأتى ليأخذنى فى الساعة التاسعة مساء .. ودخلت الحمام لأقف تحت الدش . وأفكر فى الطريقة التى أصالح بها هاشم وأعيده الى .. وخرجت من الحمام .. وبدأت ألبس ثيابى .. لبست الثوب الأسود الذى يكشف عن كتفى .. ورفعت شعرى الى أعلى .. وعلقت فى اذنى الحلق الماسى الطويل الذى اشتراه لى هاشم .. كنت قد قررت أن أقضى ليلة كبيرة مع محمد انتقاما من هاشم .

وفجأة .. قبل أن أتم زينتى ، خطرت لى فكرة أسترد بها هاشم ..

ضغطت على عينى حتى استدررت دموعى .. أخرجت دموعى من حقيبتى .. ورفعت سماعة التليفون ، واتصلت بمديحة أخت هاشم .. وما كدت أسمع صوتها حتى انطلقت قائلة وأنا أنشج :

— مديحه هانم .. أنا أمينه .. أحب أقول لك ان اذا حصل لى حاجه فالسبب أخوكى .. أنا خلاص .. مش ممكن أعيش بعد كده .. استحملت كفايه .. ما بقاليش حد أروح له الا ربنا .. أنا رايحه لربنا .. قولى لاخوكى انه مش حايقدر يعيش بعدى .. مش حايقدر .. ربنا حاينتقم لى منه ..

وصرخت الست الطيبة :

— ما تقوليش كده يا أمينه يا حبيبتى .. اهدى بس وقوليلى حصل ايه ، وأنا أعمل لك كل حاجه ..

قلت ودموعى تتجمع فى سماعة التليفون :

— ما فيش فايده .. أنا خلاص يئست .. استحملت ست سنين .. كفايه .. كفايه .. مافيش قدامى بعد كده الا انى أموت .. قولى لاخوكى انى مت .. واستريحت منه ..

ووضعت سماعة التليفون ..

وعدت الى مرآتى ، أمسح دموعى ، وأتم زينتى ..

وكنت أعلم أن مديحة لن تستطيع أن تتصل بأخيها الا فى صباح اليوم التالى ، أو فى آخر الليل بعد أن يعود من سهرته .. وسيحاول هاشم أن يتصل بى ليطمئن على ، فأقنعه بأنى حاولت الانتحار ، وأن أبى أنقذنى صدفة .. فيشفق على ويصالحنى ..

كانت هذه هى خطتى ..

واتممت زينتى .. ووضعت على كتفى الفراء الفيزون الذى اشتراه لى هاشم أيضا .. ونزلت للقاء محمد ..

ونزل محمد من سيارته ليستقبلنى كعادته ..

وفجأة ..

وقفت سيارة بجانبنا ..

ونزلت منها سيدة ملهوفة ، وبجانبها رجل ..

وصعقت ..

انها مديحة أخت هاشم ، وزوجها .. جاءا لينقذانى من الانتحار ..

ووقفت أمامى مديحة مذهولة .. تنظر الى ثم الى محمد .. كأنها لا تفهم شيئا .. ثم تمتمت :

— انا آسفة .. انا جيت اطمن عليكى ..

ثم عادت تنظر الى محمد ثم تنظر الى ..

وتمالكت أعصابى ، وقلت فى هدوء ..

— أنا كويسة والحمد لله .. رقت .. لقيت ان فيه طريقه تانية ..

ثم قدمت محمد لها ولزوجها ..

— محمد مهران ..

ولم أعلق بشئ .. ولا ارتعشت ..

وهزت مديحة رأسها ، ثم صحبت زوجها وعادا الى سيارتهما .. والتفتا ليرياني وأنا أركب بجانب محمد فى سيارته ..

وبدأت أفيق من المفاجأة .. وبدأ قلبى يرتجف .. وقلت وأنا أنظر أمامى فى سواد الليل :

— تعرف دى مين ؟

وقال محمد بلا اهتمام :

— مين ؟

قلت :

— دى اخت هاشم ..

والتفت الىّ وقد اتسعت عيناه ، وقال فى دهشة :

— صحيح ..

قلت :

— تقدر تعتبر انى سبت هاشم خلاص ..

قال :

— تفتكرى ان اخته حاتروح تقوله ؟

قلت :

— طبعا .. وحتى لو ما قالتش له .. انا كنت مقرره من الصبح انى أسيب هاشم .. خلاص ما بقتش قادره استحمله .. ما كنش ممكن أحبك ، وأفضل معاه ..

ثم انطلقت أبكى ..

أبكى بدموع حقيقية .. كنت أبكى غيظى لفشل خطتى .. وكنت أبكى خوفى من أن أفقد هاشم .. وانطلق من قلبى صاروخ حاد من الكراهية لأخت هاشم .. انى أكرهها .. أكرهها ..

أكره السيدة الطيبة التى صدقتنى فجاءت تنقذنى من الانتحار .. أكرهها لأنها لم تحاول اقناع هاشم بأن يتزوجنى عندما ذهبت اليها وأطلعتها على حبى له .. وأكرهها لأنها كشفت حيلتى .. كشفت حقيقتى .. وأكرهها لأنها انسانة سعيدة شريفة لها بيت وأولاد .. وأنا أكره كل النساء السعيدات الشريفات .. أكرهها .. ولا زلت أكرهها حتى اليوم ..

وبدأ عقلى يفكر وأنا أبكى .. ربما كان فيما حدث مصلحة لى .. ان محمد الآن قد ازداد تأكدا من أنى متزوجة بهاشم بعد أن رأى أخته تأتى لزيارتى .. وأنا الآن أستطيع أن أحمله مسئولية كل ما يحدث لى .. أستطيع أن أقول له دائما انه هو السبب فى طلاقى الموهوم من هاشم .. ولن يستطيع أبدا أن يفر من هذه المسئولية .. انى أملك اليوم أكثر من اى يوم آخر ، أن أتزوجه ، بالالحاح على ضميره وعلى شهامته ، ومهما عارضت أمه واخوته البنات ..

وضغطت على عينى ، وقلت فى صوت الشهيدة :

— أنا خلاص يا محمد .. ما بقاش لى فى الدنيا كلها الا أنت ..

ومد محمد يده والتقط يدى ، وضغط عليها فى حنان ، وقال فى حماس صادق :

— احنا حنتجوز يا ميتو .. تأكدى اننا حانتجوز ..

وبقيت معه ليلتها حتى الخامسة صباحا أبكى .. وأروى له قصصا عن نذالة هاشم ، والعذاب الذى سقاه لى ، ثم أعطيه من نفسى .. أعطيه كأنى أرشوه ليتزوجنى .. وأعطيه لأنسى .. أنسى هاشم .. ولم أكن ليلتها أريد أن أترك محمد

ابدا .. كنت اخاف ان اعود الى بيتى فأغرق وحدى فى لوعتى على هاشم .. وخوفى من حياة لا يشاركنى فيها ..

وما كاد محمـــد يوصـــلنى الى البيت حتى سقطت فى البئر .. البئر العميقة التى حفرها هاشم فى صـــدرى .. نسيت فى لحظة واحدة كل الساعات التى قضيتها مع محمد .. ووجدت كل عقلى ، وكل قلبى وراء هاشم .. يبحثان عنه ليعيداه .. واتعذب .. كل قطعة منى تتعذب باللهفة اليه .. صـــدرى ينقبض .. معدتى تنقبض .. عقلى ينقبض .. أوصالى تنقبض .. والخوف .. الخوف وانا اتصور نفسى أعيش بلا هاشم .. لقد انقضت سنوات طويلة وانا أعيش معـــه .. كل ما فعلتـــه ، فعلته وأنا معه .. كل يوم من أيامى كنت أستمده منه .. وكان رجلى .. كل الذين عرفتهم كانوا شيئا آخر .. هاشم وحده كان رجلى ..

وخيوط من الأمل تلمع فى رأسى ، ثم تنطفىء .. لعل أخته لم تبلغه بما رأته .. لعـــله يقتنع بأن ما فعلته كان مجرد غلطة عابرة ارتكبتها وأنا غاضبة منه ..

ولم انم ..

بقيت مفتحة العينين حتى جاء موعد ذهاب هاشم لعيادته ، ثم اتصلت به فى التليفون .. وقلت فى لهجة حاولت أن تكون هادئة :

ــ صباح الخير ..

وسكت .. لم احاول ان ابدا بالاعتـــذار .. كنت لا أزال متعلقة بالأمل فى الا تكون اخته قد ابلغته ..

ورد هاشم وصوته ينضح بألم يبدو انه يبذل جهدا ليخفيـــه منى :

ــ صباح النور يا امينه ..

ثم سكت هو الآخر ، كأنه ينتظر منى أن أبدأ فى الكلام ..

وعدت أقول وصوتى يرتعش :

ــ انت فاضى النهارده ، اشوفك !

قال وقد خيل الى أن على شفتيه ابتسامة مرة :

ــ أظن ما فيش لازمه نشوف بعض بعد كده ..

وقلت فى صوت متردد ذليل :

ــ اختك قالت لك .. مش كده ؟

قال فى حدة :

ــ طبعا قالت لى ..

قلت وانا اتجرأ وارفع صوتى :

ــ أختك بتكرهنى .. لو ما كانتش بتكرهنى كانت سابتنى اقول لك انا .. انا كنت ناويه أقول لك على كل حاجه ..

قال فى لهجة ساخرة :

ــ كنتى ناويه تقوليلى ايه :

قلت :

ــ كنت ناويه أقول لك انك انت السبب .. ما كانش ممكن اضـــبطك راجع من عند واحـــده .. وتقول لى انك سبتنى .. وبعدين ما اغلطش .. يعنى كنت عايزنى انتحـــر .. كان احسن لك انى انتحر !!

قال :

ــ على كل حال اعتبرى اننا سبنا بعض فعلا ..

قلت فى توسل :

ــ بس أنا مش عايزه أســـيبك .. ما اقدرش اســـيبك ..

قال :

— أنا حاسيبك علشان مصلحتك .. انتى مش عارفه انتى بتعملى ايه .. تأكدى ان أسوأ حاجه ممكن تعمليها فى نفسك ، انك تعرفى رجلين فى وقت واحد .. لو اتعودتى على كده حاتلاقى نفسك بعد شويه ، واقفه فى الشارع تحت فانوس .. وما دام عرفتى واحد تانى ، أنا متنازل .. منسحب .. علشان ما تتعوديش على انك تعرفى رجلين فى وقت واحد ..

قلت :

— بس أنا ما بحبوش .. أنا باحبك انت يا هاشم ..

قال :

— أمال خرجتى معاه ليه ؟

قلت :

— لأنك جننتى .. انت اللى خليتنى اعمل كده .. انت السبب ..

قال :

— البنت الكويســـه ما تعملش كده ، مهما اتجننت . وانتى مش كويسه .. انتى ما تعرفيش تحبى .. وانتى عمرك ما حبيتى ، انما كنت محتاجه لى .. وانا مستعد أعمل لك كل حاجه ، الا انى أشوفك .. ومع السلامه ..

والقى سماعة التليفون فى وجهى .. وجننت ..

حاولت أن أتصل به مرة ثانية ، ولكنه رفع سماعة التليفون .. وحاولت أن أتصل به فى تليفون العيادة العمومى ، ولكنه لم يرد على .. وقضيت طول اليوم بجانب التليفون أحاول أن أتصل به .. حاولت أكثر من ثلاثين مرة .. اتصـــلت به فى كل مكان أتصور أن أجده فيه .. ولكن بلا أمل ..

والدنيا تضيق أمام عينى .. ويخيل الى انى أصبحت فعلا واقفة فى الشارع تحت فانوس نور ..

وجريت الى محمد لينقذنى من نفسى .

قضيت معه ليلة اخرى حتى الخامسة صباحا ..

وما كدت أتركه حتى عاودنى الضيق .. والجنون .. ولهفتى على هاشم .. وكنت أتعجب من نفسى .. لماذا لا أشعر بكل هذه اللهفة ، بكل هذا الحب ، الا عندما يهـــم هاشم بأن يتركنى .. فاذا اطمأننت الى أنه لن يتركنى ، عدت أستهين به .. والعب .. ربما لأنى كنت كالطفل الصـــغير الذى يشتط فى لعبه وهو بجانب أمه ، مطمئنا الى حمايتها له .. حمايتها من نفســـه .. فاذا ابتعدت عنه أمه ، كف عن اللعب .. وخاف من نفســـه .. وبكى .. لقد كان هاشم بمثابة أمى .. انه أمى .. وأبى .. وأخى .. وحبيبى ..

واستطعت ان اتصل بهاشم فى اليوم التالى ..

ولكنه رفض أن يلقانى .. انه لا يزال مصرا على أن نفترق ..

وفى اليوم الثالث ..

والرابع ..

وأنا أزداد جنونا .. لم أعد اطيق أن أبقى لحظة واحدة وحدى .. فأجرى الى محمد .. القاه فى الصباح .. وفى المساء .. وأتغـــدى معه .. وأتعشى معه .. ثم يتركنى ساعات لا أنام فيها .. وهاشم يملأ قلبى وعقلى ..

الى ان كان اليوم الخامس .. وكنت عائدة من شقة محمد فى سيارة أجرة ، عندما لمحت هاشم فى سيارته .. ولمحنى .. ونظر الى وفى عينيه نظرة ميتة لا حياة فيها . وشفتاه مزموتان

.. ليست بينهما هذه الانفراجة الصغيرة التى جذبتنى اليه وحيرتنى فيه يوم أن رأيته لأول مرة منذ ست سنوات ..

وابتسمت له ..

ابتسامة مرتعشة خائفة ..

ولم يرد ابتسامته .. وتقدم بسيارته السيارة التى اركبهـا .. فأمرت السائق أن يتبعه .. ولمحنى فى المرآة وأنا اتبعه .. فأطلق سرعة السيارة .. وأخذ يدخل من شارع الى شارع .. وسائق التاكسى يتبعه ..

وكنت أعلم أن هاشـم سيقف أخيرا .. سيقف لأنه يخشى الفضيحة .. يخشى أن يلحظ الناس أن هناك فتاة تطارده ..

ووقف فعلا ..

وقف فى مكان هادىء من الشارع الذى يقـع فيه بيت أم كلثوم ..

وقفزت من التاكسى ، وركبت بجانبه وأنا أرتجف .. ودمائى باردة فى عروقى .. ووجهى ضاع لونه ..

وقال فى صوت صارم :

— عايزه ايه ؟

قلت وأنا أحاول أن ابتسم :

— عايزاك ..

وتمتم كأنه يخاطب نفسه :

— أنا ربنا بيعذبنى بيكى .. أنا لازم عملت ذنب كبير .. ذنب كبير قوى ..

قلت فى هدوء :

— ذنبى ..

وقال وهو يرفع صوته فى غيظ :

— واكفر عن الذنب ده ازاى .. قوليلى أعمل ايه .. عايزه منى ايه ..

قلت :

— اتجوزنى ..

ونظر الى كأنى مجنونة ، وقال ساخرا :

— تانى .. حانعيد سيرة الجواز من أول وجديد .. وبعد كل اللى عملتيه ؟

قلت :

— أنا ما عملتش حاجة ..

ونفخ صدره ثم زفر أنفاسه فى زهق كأنه يطلق من انفه نارا .. ثم التفت الى بكل جسمه وقال كأنه يتشبث بآخر امل له :

— اسمعى يا أمينه .. انتى عارفه ومتأكده اننا مش حانتجوز أبدا .. وعارفه ومتأكده انك ما تقدريش تعيشى معايا من غير جواز .. وبقالك ست سنين وانتى تحاولى تسيبينى .. اتجوزتى .. لكن ما قدرتيش ، واتطلقتى .. وبعدين اتخطبتى وما قدرتيش ، فكيتى خطوبتك .. وبعدين كتبتى كتابك على واحد تالت ، وبرضه ما قدرتيش ، واتطلقتى قبل ما تدخلى عليه .. مش كده ..

وتمتمت هامسة ، وأنا أصغى اليه نصف اصغاءة ، فقد كان كل ما فى عقلى هو أن يعود الى ..

— أيوه ..

قال فى لهجة الفيلسوف :

— يبقى الطريقه الوحيده علشان تسيبينى ، انك تحبى واحد تانى .. مش كده !

قلت :

— أيوه ..

قال :

ـ لغاية كده متفقين .. دلوقتى انتى بتعرفى واحد تانى .. و ..

وقاطعته وأنا أنظر اليه فى جرأة :

ـ لا .. ما اعرفش ..

ونظر الىّ كأنه بهت لجراتى :

ـ أمال اللى خرجتى معاه ده يطلع ايه ..

قلت :

ـ مش معنى انى خرجت معاه ، انى باعرفه ولا باحبه .. دى أول مره أخرج فيها معاه .. وخرجت معاه لأنك جننتنى ..

قال ساخرا :

ـ يا سلام .. يعنى كان واقف تحت شباكك .. أول ما اتجننتى طلع لك على طول وخرجك ..

قلت وأنا أحاول الا افقد حبل الكذب :

ـ انت عارف انى أعرف أخته عليه .. ضربت لها تليفون ساعة ما كنت متضايقه ، رد علىّ هو .. طلبت منه انه ييجى يخرجنى ..

قال :

ـ أنا ما اعرفش انك تعرفى أخته .. بس اعرف انك تعرفيه هو .. وتعرفيه من زمان .. واعرف انك بتروحى شقته .. فيه ناس شافوكى بعينهم .. وشقته بالأماره جنب شقتى اللى فى الزمالك ..

وصرخت :

ـ كذب .. ما حصلش .. أنا عارفه مين اللى قال لك كده .. كلهم بنات متغاظين منى لأنى باعرفك .. لأنى باحبك ..

قال كأنه يريد أن يطمئن الى شىء يهمه :

ـ يعنى ما رحتيش شقته ؟

قلت :

ـ وحياة بنتى .. وحياتك يا هاشم .. أبدا .. مش معقول .. مش معقول انك تصدق حاجات زى دى ..

وقال كأنه يعاتبنى :

ـ ومش عيب تضحكى على أختى وتفهميها انك كنتى حاتنتحرى ؟

قلت وأنا أخفى عنه عينى :

ـ أنا بافكر فى الانتحار فعلا ؟

قال فى حدة :

ـ بتفكرى فى الانتحار ازاى ، واختى جاتلك بعد تلت ساعه لقيتك لابسه ومتزوقه وعامله شعرك ..

قلت فى جرأة :

ـ كذب .. أنا ما كنتش عامله شعرى ولبست فى عشر دقائق .. أنا عارفه .. انت بتتمنى انى أنتحر .. بتتمنى انى أموت وأريحك منى ..

ونظر الى كأنه يستجير بالله منى ، وقال :

ـ انتى مجنونه ..

قلت :

ـ مجنونه ليه ..

قال :

ـ لانك مش فاهمانى .. لانك بالشكل ده مش حاتوصلى لحاجه .. لو فضلتى تكذبى علىّ حاسيبك غصب عنك .. انما لو قلتى الحقيقه حافضل معاكى .. وحافضل مسؤول عنك ..

لغاية ما ييجى اليوم اللى تقوليلى فيه ، خلاص يا هاشم ، أنا حبيت واحد تانى ، ومش حا اقدر اشوفك .. مع السلامه ..

هل اصدقه .. هل أصدق انه سيبقى معى الى أن يتزوجنى محمد .. وانه لن يتخلى عنى .. ولن يضعفنى أمام محمد بأن يتركنى له .. وحدى ..

وقلت فى تردد :

— بس أنا لسه ما حبيتوش ..

قال :

— بس فيه أمل انك تحبيه ..

قلت :

— ليه ؟

قال :

— لأن هو اللى اخترتيه علشان تخرجى معاه .. اذا ما كنتيش بتحبيه ، يبقى على الأقل بتستلطفيه ..

ولم أرد عليه .. كل عقلى مشغولا ، أحاول أن أقنع نفسى بأن أقول له كل الحقيقه .. لعله صادق فى وعده بألا يتركنى بعد أن يعرف كل شىء .. لم لا .. ان هاشم ، مهما قيل عنه ، فهو كريم .. لا تهمه الأموال التى ينفقها على .. بل انه كريم مع كل الناس ، ليس علىّ وحدى .. ولن يهمه أن يظل ينفق على الى أن أتزوج محمد ، وربما بعد أن أتزوجه أيضا .. ثم انه ليس من هذا الصنف من الرجال الذى ينقاد وراء غيرته .. ان غروره يدفعه دائما الى أن يخفى غيرته على اى فتاة .. وكل ما يفعله هو أن يصاحب فتاة أخرى .. انى أستطيع أن أسمح له بأن يصاحب أخرى ، ويسمح لى بأن أصاحب محمد .. ونلتقى فى نفس الوقت . كما كنا نلتقى .. ويبقى مسئولا عنى .. الى

أن أحب محمد الى حد أن استغنى عنه .. أو الى أن اتزوج محمد .. أن هذا الوضع يتلاءم مع عقلية هاشم اكثر .. العقلية المتحررة الواقعية .. ويريحه أكثر مما يريحه الكذب .. انه يحس بالكذب حتى ولو لم يكتشفه ، واحساسه به يجعله يبتعد عنى . ويعذبنى ، ويجننى .

وعاد هاشم يقول كأنه وصل معى الى اتفاق :

— وبتالك اد ايه بتخرجى مع محمد ؟

وقلت فى تردد وأنا انكس عينى بين يدى .

— خرجت معاه تلات أربع مرات ..

قال وهو يبتسم :

— وصلتم لغاية فين ؟

قلت وأنا أنظر اليه فى غضب .

— ما وصلناش لغاية حاجه .. تصدك ايه ؟

قال :

— يعنى مثلا .. ما باسكيش ؟

قلت فى صوت خفيض وأنا أرخى عينى :

— باسنى ..

ثم رفعت عينى اليه ، واستطردت بسرعة :

— فى خدى ..

وابتسم هاشم ساخرا كأنه لا يصدقنى .. وأدار موتور السيارة ، ثم قال وهو يأخذنى الى بيتى ..

— اسمعى يا أمينه .. أنا حاقف جنبك لغاية ما تتجوزى محمد .. ولازم تعرفى انك حلوه .. ولما تحبى تبقى كويسه بتقدرى تبقى كويسه .. ما تفتكريش انك أقل من الستات التانيه .. وأوعى تصدقى ان سمعتك ضاعت وانك مش ممكن تتجوزى

شاب كويس زى محمد .. أبدا .. ياما بنات عملوا ، واتجوزوا شباب كويسين .. وكمان ما تفتكريش ان محمد من عينه محافظه وكبيره ، ومش ممكن يتجوز واحده مطلقه ومخلفه ، وحتى لو عرف كل حاجه عنك وعنى .. أبدا .. المهم انه يحبك .. بس لازم تعرفى ان فيه فرق بين واحده بتمشى مع واحد علشان يتجوزها ، **وواحدة تمشى مع واحد** وهى عارفه انه مش حايتجوزها .. فيه فرق كبير .. لو عرفت الفرق ده حاتقدرى تتجوزى محمد .. خصوصا انه شاب صغير وما اتعقدش من الجواز والبنات زيى ..

وأحسست بكلمات هاشم كالدبابيس تشك قلبى ، وتشك عقلى ، وتشك جلدى .. انى لا أستطيع أن أحتمل .. لا أستطيع أن أكون رخيصة عند هاشم الى هذا الحد .. الى حد أن يتفق معى **على أن يعطينى لرجل آخر ، حتى ولو أعطانى** كزوجة .. لم أشعر ساعتها أننا نحن الاثنين نحاول أن نتفق على اصطياد محمد .. لم أفكر فى محمد اطلاقا .. ولكن كان كل ما أحس به أنى هنت على هاشم الى هذا الحد .. انى رخيصة عليه .. **انى تافهة بالنسبة له ..**

وصرخت فيه :

— هاشم .. **أنا كذبت عليك** .. أنا ما اعرفش محمد .. وعمرى ما خرجت معاه الا يوم ما اختك شافتنى .. وحياة بنتى .. وحياة ماما .. ان شاالله أفقد نظرى .. أنا كنت باكذب عليك ..

ونظر الى هاشم كأنه بوغت ، وقال :

— وكنت بتكذبى على ليه ؟

قلت فى حرارة كاذبة :

— لأنك ما كنتش راضى تصدقنى .. حبيت انى أريحك .. انما اذا وصلت لدرجة انك تسيبنى له .. وتقول لى اتجوزى وما تتجوزيش .. يبقى لازم تعرف الحقيقه .. والحقيقه انى ما اعرفوش .. ومش عايزه أعرفه .. مش عايزه أعرف الا انت .. واذا كنت حاتجوز ، حاتجوزك انت .. واللا مش حاتجوز خالص ..

ونظر الى هاشم من خلال عينيه المنتفختين ، وقلب شفتيه فى قرف ، وقال :

— انتى عبيطه ..

محمد الآن يعتقد انى تركت هاشم ، وأنا لا أزال مصرة على أن أكذب على هاشم ، وأؤكد له ان ليس بينى وبين محمد علاقة .. تغير الوضع ..

فقد كان محمد — من قبل — يعلم بعلاقتى بهاشم .. وكان يعتقد أننا متزوجان زواجا عرفيا ..

وكان هاشم وحده هو الذى اضطر ان اكذب عليه ، لأخفى عنه علاقتى بمحمد ..

ولكنى الآن مضطرة أن اكذب على الاثنين .. وأقنع كلا منهما **بأن ليس لى علاقة بالآخر ..**

هذا الوضع الجديد يكلفنى اكثر .. انه يستنزف كل أعصابى وكل ذكائى .. انه وضع آخر غير وضع الزوجة الخائنة .. فالزوجة التى تخون زوجها ، لها جانب مستقر فى حياتها تستطيع **دائما أن تعود اليه وتستريح .. أقصد بيتها .. بيت الزوجية ..** أما أنا فلست زوجة لهاشم ، ولا زوجة لمحمد ، وليس لى بيت أستريح فيه .. اذا تقلبت على هذا الجانب أو الجانب الآخر دهمنى القلق ، وتأوهت .. والزوجة الخائنة تستطيع أن تقنع

نفسها بأنها عندما تكون لزوجها فهى له باسم الشرع .. وعندما تكون لحبيبها فهى له باسم الحب .. تستطيع أن تجد مبررا لتصرفاتها .. تستطيع أن تسكت ضميرها بأنها ظلمت فى زواجها . أو ان اهلها زوجوها رغم ارادتها رجلا لا تحبه ، او انها مضطرة أن تحتفظ بزوجها حتى لو خانته ، من اجل الأولاد ، ومن أجل المركز الاجتماعى .. الى آخر هذه المبررات .. اما انا .. فلا اجد مبررا لتصرفاتى .. انى اعيش فى معركة مستمرة مع ضميرى .. احاول دائما أن انصر ذكائى الأصفر على ضميرى الهزيل .. ولم يكن فى ذكائى الأصفر سوى أطماعى .. وكانت أطماعى تصور لى أن أحتفظ بالاثنين ، هاشم ومحمد .. فكل منهما يمثل لى أملا غاليا .. هاشم برجولته وثروته وشهرته .. ومحمد بشبابه وعائلته الكبيرة .. كنت أطمع فى أن احتفظ بهما حتى لو تزوجت احدهما .. ولكنى كنت أدارى الطمع واحاول أن أقنع نفسى بأنى لو تزوجت أحدهما فسأترك الآخر فورا .. كنت اقنع نفسى بأنى مضطرة الى الاحتفاظ بهما الاثنين لأنى لست زوجة أحدهما .. كنت اقنع نفسى بأن سر كل تصرفاتى أنى لم أتزوج هاشم منذ عرفته .. وأن هذا عذر كاف كى أخونه مع محمد .. ولكنى لم أجد عذرا أبرر به خيانتى لمحمد مع هاشم رغم أن محمد وعدنى بالزواج .. وكنت اقول لنفسى أنى اخون محمد لأنى لست واثقة من وعده ..

وعندما أعود لنفسى الآن أستطيع أن أرى حقيقتى بوضوح اكثر .. أستطيع أن أرى أنى لم اكن أعلم أيهما أريد أن أتزوج .. محمد .. أو هاشم .. ؟ وأستطيع أن أرى أنى لم أكن قد يئست من زواجى بهاشم رغم كل هذه السنين ورغم كل ما مر بى .. بل انه مرت بى فترة طويلة لم أكن واثقة من الذى أحب

منهما .. رغم كل ما اعطيته لكل منهما .. كنت أحيانا أقتنع بأنى خلاص ، أصبحت أحب محمد .. ثم لا تمضى ساعات حتى أجد نفسى ملهوفة الى هاشم ، وأحس أنه الرجل الوحيد الذى أحبه .. ثم أعود بعواطفى الى محمد .. وهكذا ..

هذا التردد .. أو هذا الطمع .. هو سر شقائى .. كنت كالطفلة الجشعة الغبية التى تأكل كل شىء ، الى ان تمرض وتصاب بتلبك معوى . وقد مرضت ، وأصبت بتلبك فى أعصابى . وتلبك فى عقلى ، وتلبك فى جلدى ..

وربما لم يكن هذا التحليل لنفسى صحيحا .. ربما كان سر تصرفاتى هو محاولتى الهرب من حب هاشم .. أن أنساه .. أن أتحرر منه .. أن أتخلص من تعودى عليه .. أو .. ربما كنت مجرد ضحية لطبيعتى المنحلة التى ورثتها عن أبى ..
المهم ..

لقد أصبح لقائى بهاشم فى هذه المرحلة من عمرى ، صعبا .. فقد كان محمد متفرغا لى .. كان — كما قلت — ينتهى من عمله فى الساعة الواحدة بعد الظهر ، ثم يتفرغ لى حتى الصباح اليوم التالى .. فهو اما معى ، أو يحادثنى فى التليفون .. وكان يشك فى كل تصرفاتى .. وغيرته تكاد تخنقنى .. ورغم ذلك فقد كنت أجد دائما وسيلة للقاء هاشم .. لقد تباعدت المرات التى نلتقى فيها .. كانت تمضى ثلاثة أيام أو أربعة لا أراه فيها .. وهاشم لا يهتم .. غروره بنفسه كان يمنعه دائما من أن يطلب لقائى ، وكان ينتظر منى أن أطلب انا اللقاء .. ثم لا يقبل الا بعد ان الح ، والح كثيرا .. وقد استطعت أن أقنعه أكثر من مرة بأن يأتى للقائى فى بيتى فى الصباح وقبل أن يذهب الى العيادة ليشرب معى فنجان قهوة ، كما كنت أقول له .. وكان هذا الموعد

هو أنسب الأوقات لى .. فأنا مطمئنة الى أن محمد فى عمله .. وكنت أحرص عندما يأتى هاشم أن اضع التليفون فى غرفة أخرى غير غرفة النوم التى أجلس فيها معه حتى اذا اتصل بى محمد ، رددت عليه دون أن يسمعنى هاشم ..

وقد لاحظ هاشم مرة انى أرد على التليفون فى الغرفة المجاورة بصوت منخفض .. فبيتى صغير وكنت أخشى أن أرفع صوتى ، فيسمعنى ..

وقال بعد أن عدت اليه ، وبين شفتيه ابتسامته الساخرة :

ــ بتتكلمى بصوت واطى ليه .. ؟

قلت وأنا احاول أن أبدو طبيعية :

ــ انت عارف انى دايما أتكلم فى التليفون بصوت واطى ..

وضحك هاشم ضحكة صغيرة ، وسكت ..

وكان دائما باردا ..

انه يبدو كأنه لا يريدنى .. لم يعد شىء فىّ يحركه نحوى .. او يفتح عينيه المنتفختين .. أو يطلق السخونة فى أنفاســه .. انه ينظر الى كأنه يشفق على .. ويقبلنى كأنه يؤدى واجبا مفروضا عليه .. ويعتذر فى مرات كثيرة بأنه على موعد لزيارة احــد مرضاه .. فاذا لم يعتذر ، فهو ثقيل ، كسول ، يتدلل ..

وانا لم اتغير .. انى لا ازال اريده كما كنت اريده دائما .. لا يزال يثير كل قطعة منى كما تعود أن يثيرها .. انه يعيش فى مسامى .. وكان بروده يجننى ويصور لى أنه على عــلاقة بفتاة أخرى .. وكنت أحتار فيمن تكون هذه الفتاة .. هل هى مرفت التى ضبطتها فى شقته أكثر من مــرة .. أم هى نجوى مريضته التى تلمع عيناه كلما ذكرت اسمها كأنى قد دنست اسمها الشريف بلسانى .. من يدرى .. لعلها ليست مريضة ولكنها

تمثل عليه دور المريضة كما فعلت أنا عندما ذهبت اليه لأول مرة .. ومن يدرى .. لعلها ليست مرفت ، ولا نجــوى .. ولكنها فتاة أخرى ..

وكانت هذه التصورات تلهب الغيرة فى صدرى .. فأندفع وراءه .. أذهب اليه فى شقته .. وأطارده .. ولكنى لم افقد ذكائى ابدا ، ذكائى الذى أحمى به علاقتى بمحمد .. ان محمد ــ رغم شكوكه ــ لم يستطع أبدا أن يكتشف لقائى بهاشــم ..

وفى هذه الاثناء بدأت أتعمد أن آخذ من هاشم نقودا أكثر .. كنت غير مطمئنة الى بقائه لى .. وكنت أريد أن أضمن اذا تركنى ، أن أكون قد ادخرت مبلغا كبيرا يكفى حياتى .. وقد قلت له ذلك صراحة .. قلت له انى اريد أن أضمن مستقبلى .. وأريد أن أضمن الا أتشرد يوم يتركنى .. وأشــحذ .. ورغم انه أكد لى أنه سيظل يحمل مسئوليتى المادية دائما حتى لو افترقنا ، فقد وافق على أن أفتح حسابا بأسمى فى صندوق التوفير .. وأعطانى مائة جنيه لأضعها فيه .. ثم مائة أخرى .. وفى خلال شــهور وصل ما ادخرته الى سبعمائة جنيه .. لم استطع أن أصل الى الألف ..

وكان محمد منذ أن اقتنع بأنى تركت هاشم ، يعرض على أن يكون مسئولا عنى .. كان يقول لى :

ــ أنا عايز أحس انى الراجل بتاعك .. انى مســئول عنك .. مش عايز اشوفك لابسة فســتان من فلوس هاشــم .. ولا ماسكه شنطه مش أنا اللى جايبها ..

وكنت أقول له مبتسمة :

ــ بعدين .. لما نتجوز .. لغاية دلوقت ماحدش مســئول منى الا بابا .. أوعى تكون فاكر ان بابا ما بيصرفش علىّ ..

صحيح ان حالته مرتبكة .. انما مش لدرجة انه ما يصرفش علىّ ..

رفضت أن ادعه يتحمل مسئوليتى المالية ، لانى كنت أعلم انى يوم أقبل منه أن يصرف علىّ ، فكأنى أعفيته من الزواج ..

وعوضنى محمد بكثير من الهدايا ..

اشترى لى مرة خاتما من الذهب له فص فيروز .. ووضعته فى اصبعى وذهبت للقاء هاشم ..

ونظر هاشم الى الخاتم وقال ساخرا :

ــ مبروك الخاتم .. ورينى كده ..

وخلعت الخاتم من اصبعى ، والقيته اليه ، وهو جالس على المقعد العريض .. ونظر فيه طويلا .. ثم وضعه فى أصبعه .. وضحك ضحكة صغيرة ، وقال :

ــ جبتيه منين ؟ ..

قلت ورموشى ترتعش :

ــ بابا اهداه لى ..

ورفع هاشم يده وفى اصبعه الخاتم ، واخذ يقلبه أمام عينيه .. ثم خلع الخاتم ،، والقاه الىّ كأنه يلقيه فى وجهى ، وقال :

ــ من امتى أبوكى بيهديكى خواتم ..

وقلت ورموشى لا تزال ترتعش :

ــ وايه يعنى .. ده خاتم رخيص .. ما يساويش أكتر من خمسه جنيه .. يعنى بابا ما يقدرش يعمل لى هدية بأكتر من خمسه جنيه ..

وسكت هاشم .. وادار وجهه عنى فى قرف ..

وفى مرة ثانية اهدانى محمد حقيبة لها مقبض من ذهب .. اشتراها لى من الاسكندرية ، عندما سافرت معه لأرى ابنتى ..

وحملت الحقيبة أيضا وذهبت الى لقاء هاشم .. لا ادرى لماذا .. ربما لانى كنت أتلذذ وأنا أذهب اليه ومعى قطعة من محمد .. أو ربما لانى لم أكن أستطيع أن أخفى عنه شيئا .. كان ما اخفيه عنه بلسانى ، اتمنى أن يعرفه باحساسه .

وأمسك هاشم الحقيبة بيديه ، وقال وهو يلوى شفته السفلى :

ــ جبتيها منين ؟ ..

قلت ؟

ــ اشتريتها من اسكندرية ..

وظل هاشم يقلب الحقيبة بين يديه برهة ، ثم كسر مقبضها الذهبى ، والقى به من الشباك ، وأعادها الى قائلا فى برود :

ــ كده أحسن .. شكلها كده اشيك ..

وجننت ..

قفزت من جلستى ، ونظرت من الشباك وراء المقبض الذهبى ، ثم جريت بعد أن صرخت فى وجه هاشم :

ــ انت مجنون .. سافل ..

ووجدت المقبض فى الشارع ..

وحملته وعدت الى الشقة ، فوجدت هاشم قد غادرها ..

ومن يومها فكرت فى طريقة أخرى .. أصبحت كلما أهدانى محمد هدية ادعيت انى اشتريتها ، وأخذت ثمنها من هاشم .. وبهذه الطريقة لم يعد هاشم يلقى بهدايا محمد من الشباك ..

وكان محمد قد أهدانى فى عيد ميلادى ، خاتما محلى بفصوص صغيرة من الماس ، وفوقه لؤلؤة كبيرة .. خاتم جميل غال .. ولم اضع الخاتم فى أصبعى وأذهب الى هاشم .. ذهبت اليه بلا خاتم ، وقلت له وهو مسترخ فى الفراش بجانبى :

— هاشم .. بنت عمى عندها خاتم جنان .. وعايزه تبيعه بخمسين جنيه .. ايه رأيك ..

وقال فى بساطة :

— اشتريه ..

قلت :

— ده حايعجبك قوى .. لقطه .. ولولا انها معذوره ، ما كانتش باعته ..

ثم ملت عليه اقبله من شفتيه المنفرجتين نصف انفراجة ، وأنا اقول له :

— مرسى يا هاشم .. ربنا يخليك لىّ وتجيب لى ..

ووضع هاشم يده فى جيبه قبل أن نخرج من الشقة .. وأعطانى خمسه وعشرين جنيها ، وقال لى :

— دول من تمن الخاتم .. وبكره أديكى الباقى ..

ولا أدرى لماذا حددت ثمن الخاتم بخمسين جنيها .. كنت أستطيع أن احدد ثمنه بمائة وخمسين جنيها .. ربما لأن ضميرى قد وبخنى وانا ارتكب جريمة نصب ، فأردت أن أخفف من أثر الجريمة على هاشم .. أشفقت عليه .. صعب على .. انه حبيبى .. حبيبى الذى أنصب عليه ..

ولم أر هاشم فى الغد ..

ولكنى رأيته بعدها بأيام ..

ذهبت اليه وفى اصبعى الخاتم .. وقلت له فرحة :

— أهو الخاتم .. حلو ؟ .. اديت لبنت عمى الخمسه وعشرين جنيه ، وخدته منها ، لغاية ما جيب لها الباقى ..

وأخذ هاشم الخاتم بين أصابعه ، وقلبه أمام عينيه ، ثم رده الىّ وشفتاه مقلوبتان فى قرف ، وقال :

— ده يسوى أكتر من خسمين .. أكتر بكتير .. مش ممكن تكون بنت عمك مغفله للدرجه دى ..

ثم نظر الىّ فى عينى .. نظرة غاضبة .. وتمتم :

— مش معقول تكونى وصلتى للدرجه دى ! ..

ثم سكت ..

ولم أرد ..

شىء وقف فى حلقى يكاد يخنقنى .. لم أستطع أن أتكلم الا بعد فترة طويلة .. وبعد أن التقط هاشم احد كتبه الطبية واخذ يقرأ فيه كعادته عندما يكون غاضبا .. وقلت فى صوت مرتعش :

— عجبك الخاتم ؟ ..

ورفع عينيه من فوق الكتاب ، ونظر الىّ نظرة ميتة ، ولم يرد علىّ ..

وحمدت الله أنه لم يرد ..

ولكنه لم يعطنى الخمسة والعشرين جنيها الأخرى ..

ولم أجرؤ على أن أطالبه بها ..

كنت واثقة انه كشف سرى .. وانه عرف أن الخاتم هدية من محمد .. ووجهه غارق فى سحابة قاتمة من الألم ..

ثم ..

حملت ..

ولم أقرف فى حياتى من نفسى قدر ما قرفت هذه المرة .. احسست كأنى أفقت من ذهولى .. احسست كأن كل مصيبتى قد تجمعت فى بطنى ، ولم تعد معدتى تستطيع أن تهضمها .. أحسست كأنى ، فضحت .. لم افضح أمام الناس ولكنى فضحت أمام نفسى ..

وساءلت نفسى ، ابن من هذا الذى أحمله فى بطنى .. ابن هاشم .. ام ابن محمد .. وحاولت أن أتذكر اللحظات التى يمكن أن أكون قد حملت فيها ، لأحدد أبا للجنين .. ولكن تساؤلى لم بدم طويلا .. انى لست فى حاجة الى هذا التساؤل ، فسواء كان ابن هاشم ، أو ابن محمد ، فهو ابن حرام .. ومصيره محتوم .. الاجهاض ..

وحالتى النفسية تسوء أكثر ..

أكاد أختنق .. كأن يد الجنين تمتد فى داخلى الى زورى لتخنقنى ..

وحاولت أن أقنع نفسى بأن الأمر ليس جديدا على .. لأريح نفسى من العذاب .. فقد سبق أن احترت فيمن يكون أبا ابنتى هدى عندما حملت فيها .. وكنت أيامها لرجلين ، زوجى عبد السلام وهاشم ، كما أنا اليوم لرجلين هاشم ومحمد .. ولكن .. هناك فرق .. فرق كبير .. فعندما كان أحد الرجلين زوجا لى ، كان هناك دائما أمل فى أن يكون ابنى ابن حلال .. كنت أستطيع أن اتعلق بهذا الأمل .. وأخفى وراءه خجلى من نفسى .. ولكنى اليوم لا أجد أملا أتعلق به ، وأضحك به على نفسى .. أن ابنى ابن حرام مائة فى المائة .. بل ان هناك فرقا بين حملى هذه المرة ، والمرات التى حملت فيها عندما كنت لهاشم وحده .. كنت أستطيع عندما احمل من هاشم أن أقنع نفسى بأن الجنين هو ابن الحب .. حتى لو كان هذا الكلام مجرد تبرير وهمى .. أما اليوم ، فلا أستطيع أن أقنع نفسى بأن الجنين الذى أحمله فى بطنى هو ابن الحب .. حب من ؟ حب هاشم .. أم حب محمد ؟ لا .. انه ليس ابن الحب .. انه ابن الجنون .. جنونى ..

واتصلت بهاشم فى التليفون وطلبت منه أن يأتى لزيارتى

فى الصباح ليشرب معى فنجان القهوة ، كما عودته أخيرا .. وعندما جاء لم أستطع أن أواجهه وأنا قوية كما تعودت كلما حملت منه .. لم أستطع أن أتدلل عليه بحملى .. وأطالبه بأن يدفع لى الثمن غاليا .. لم أستطع .. كنت ضعيفة .. والعذاب مكوم فى بطنى .. وقلت له ورأسى مدلى على صدرى :

— هاشم .. أنا حامل ..

ونظر لى هاشم كأنه يحاول أن يكتشف سرى .. وتردد قليلا .. ثم وضع يده فى جيبه وأخرج عشرين جنيها أجر الطبيب الذى يجهضنى ، وألقى بها فى حجرى ، وهو يقول فى جفاف :

— أنا مش قلت لك تاخدى بالك .. بالشكل ده حاتقطعى نفسك .. وكتر العمليات دى حايأثر عليكى بعدين ، لما تكبرى ..

وقلت فى صوت خافت :

— انت مش شاطر الا فى الكلام ..

وودعنى وخرج ..

وخرجت وراءه الى لقاء محمد فى شقته ..

وكنت أقوى مع محمد منى مع هاشم .. ربما تزودت بهذه القوة من هاشم ..

وتركت محمد يضمنى الى صدره ، ويضغطنى بذراعيه الشابتين ، ويقبلنى فى شفتى بشفتيه الملتهبتين بحرارة حبه .. ثم فجأة أزحته عنى فى حركة عصبية متعمدة ، وابتعدت عنه . وجلست على مقعد بعيد ..

وخطا ورائى ملهوفا .. كأنه ترك شفتيه بين شفتى ، ويجرى وراءهما ..

ورفعت رأسى اليه وقلت فى توسل حزين :

— سيبنى دلوقت يا محمد .. اعمل معروف ..

وقال وأنفاسه الساخنة لا تزال تتردد فى صدره :

ــ مالك يا ميتو ..

ووضعت رأسى بين كفى كأنى على وشك البكاء .. وأحاطنى محمد بذراعه ، وقال فى لهفة :

ــ حصل ايه ؟ ..

ورفعت اليه رأسى ، وقلت وفى عينى نظرة الشهيدة ..

ــ مش عايزه اقول لك يا محمد ..

قال فى حماس :

ــ ازاى ده .. لازم تقوليلى ..

وترددت قليلا ، ثم قلت :

ــ لا .. بلاش ..

وعاد يقول فى حدة :

ــ بلاش ازاى .. لازم أعرف كل حاجه ..

وجسمت نظرة الشهيدة فى عينى ، وقلت فى صوت مخنوق :

ــ أنا حامل يا محمد ..

وقفز حاجباه من فوق عينيه وقال كأنه ذعر :

ــ مش معقول .. وحانعمل ايه ؟

قلت :

ــ ما عرفش يا محمد .. أنا خايفه من العملية .. خايفه ..

ورفع محمد ذراعه من فوق ظهرى وأحنى رأسه وقال كأنه وقع فى مشكلة :

ــ انا مستعد أعمل اللى تقولى عليه ..

قلت :

ــ ما فيش حاجه تتعمل دلوقت الا العمليه .. وأنا خايفه .. خايفه أموت فيها ..

ولم أحاول ساعتها أن اذكر سيرة الزواج .. فقد تعلمت من هاشم الرد الطبيعى الذى يقوله الرجل فى مثل هذه الحالة اذا طالبته بالزواج .. والرد هو أن الزواج كان يجب أن يتم قبل الحمل . حتى لا يخرج الطفل الى الناس قبل موعده ..

وتركت محمد يشجعنى ويخفف عنى الخوف الموهوم ..

وكان محمد هو الذى صحبنى الى الطبيب ، ولكنى لم أسمح له بأن يصعد معى الى العيادة ، تركته ينتظرنى فى الشارع .. وأصر قبل أن أتركه أن يدفع لى أجر العملية .. وحاولت أن أرفض ، ولكنى لم أحاول كثيرا ، فأنا ــ كما قلت ــ ضعيفة أمام النقود .. وصاح محمد فى حماس صادق :

ــ أزاى ده .. ده أنا أبوه ..

ثم أعطانى عشرين جنيها أخرى ..

ودخلت الى عيادة الطبيب .. نفس الطبيب الذى ذهبت اليه أول مرة .. وكانت هذه هى رابع مرة أذهب فيها اليه .. ولم تكن الممرضة والطبيب هما وحدهما اللذان يبدو عليهما القرف منى .. فأنا أيضا كنت قرفانة من نفسى .. قرفا يكاد يقلب معدتى ويجهضنى دون عملية ..

ورقدت على سرير العمليات بلا خوف . وبنفس البساطة التى أجلس بها على مقعد الحلاق .. وفى رأسى تصميم هائل على أن انهى هذه الحياة التى تمزقنى .. وغبت عن الوعى وفى رأسى هذا التصميم ..

ونزلت الى الشارع بعد أربع ساعات .

ووجدت محمد فى انتظارى ووجهه غارق فى القلق ..

ولم أفرح به كما فرحت بهاشم عندما وجدته فى انتظارى

عقب أن أجريت أول عملية اجهاض .. ان كل هـذه المظاهر لم تعد جديدة على حتى أفرح بها ..

وفى رأسى التصميم الهائل ..

يجب أن أتزوج محمد ..

يجب أولا أن أيأس من هاشم ..

ان محمد هو أملى الوحيد ، اذا أردت أن أخرج من هـذه الحياة المزقة ، ويكون لى بيت وأولاد .. وأن أحيا حياة أستطيع أن أبدو بهـا أمام النـاس .. انى لست أقل من ابنـة خالتى ، ولا أقل من ابنة عمى ..

وبدأت أضغط على محمد ..

ولم يعد بيننا الا موضوع الزواج ..

وأصبحت أهدده .. اذا لم تتزوجنى فسأتركك ..

وقلت له مرة :

ـ تعرف مين كلمنى النهارده فى التليفون ..

قال فى سذاجة :

ـ مين ؟ ..

قلت :

ـ هاشم ..

واحتقن وجهه وقال فى حدة :

ـ وعايز ايه منك ؟ ..

قلت فى لهجة جدية :

ـ عايز يتجوزنى ..

قال :

ـ زى ما كان متجوزك أظن ؟ ..

قلت :

ـ لا .. عايز يتجوزنى شرعى .. وفضـل يتحايل على علشان احدد له ميعاد مع بابا .. كان عايز يقابله بكره .

قال وهو يتلوى فى عصبية :

ـ وقلتى له ايه ؟ ..

قلت :

ـ ما اديتوش كلمه ..

قال فى صخب :

ـ مش ممكن تتجوزيه يا ميتو .. ده راجل سافل .. ومش حايقدر ينسى انك سبتيه .. وحايجننك ..

وقلت فى حزم :

ـ أنا لازم أتجوز يا محمد .. ما اقدرش اعيش بالشـكل ده .. واذا ما اتجوزتكش انت ، حاضطر أتجوز هاشم ..

وقال فى توسل :

ـ انتى عارفه اننا حانتجوز .. بس استحملى لغاية ما أقول لماما ..

وقلت فى حزم اشد :

ـ ما اقدرش استحمل اكتر من كده .. انت ناسى اننا بقالنا مع بعض سنتين ..

وقال وعيناه معلقتان فى وجهى :

ـ ثقى بى .. صـدقينى .. انتى عارفه ظـروفى ولازم تستحمليها معايا ..

ولم أكف عن الضغط عليـه .. الضغط على عواطفه .. بالتهديد .. وباثارة غيرته .. وبدموعى .. وبحاجته الى ..

وأخيرا قال لأمه ..

قال لها انه يريد أن يتزوجنى ..

وشقت أمه ثوبها كأنها ترى ابنها ينتحر أمام عينيها .. ولطمت اخوته البنات على خدودهن .. والتفت عائلته كلها تعارضه .. وكل أصدقائه أيضا ..

وكان على أن أواجه كل هؤلاء وحـــدى .. بدأت أعيش فى حرب ..

وكنت قوية .. وكان سر قوتى أن هاشـــم لا يزال معى .. مهما حدث لى ، فأستطيع دائما أن أتزود منه بالقوة .. واستطيع دائما أن أستند عليه ..

وكانت الطريقة التى خضت بها الحرب هى أن أخذت محمد من كل هؤلاء .. أخذته من بيته .. من أمه واخوته .. وأخذته من أصدقائه .. أصبحت حياته كلها لى .. أصبح لا يســـتطيع أن يعيش الا معى .. واذا أرادته أمه ، فيجب أن توافق أولا على زواجنا ..

بل أنى بلغت أيامها من القوة الى حد أنى رفضت أن أتزوج محمـــد فى السر .. رفضت مجـــرد الفكرة .. وصممت على ألا أتزوجه الا بموافقة أهله .. وأن يقام لى فرح كبير .. وأرى بعينى كل الناس الذين أطلقوا ألسنتهم علىّ خلال كل هذه السنين ، وهم ملتفون حولى يهنئوننى بزواجى من أحد العـــرسان الثلاثة الذين تحلم بهم بنات مصر .. وكنت فى كل هـــذه الأحـــلام واثقة من وعده .. انه يحبنى .. يموت فى حبى .. وهو شاب نظيف لا يمكن أن يحنث بوعده ..

وباعد تفرغى لمحمد من فترات لقائى مع هاشم .. ولكنى كنت أجد دائما طريقة لأحادثه كل يوم فى التليفون مرتين على الأقل سواء جاء ليشرب قهوة الصباح عندى ، أو ذهبت اليـــه فى شقته ..

ولم أكن أقول لهاشم شيئا عما يجرى بينى وبين محمـــد .. كنت لا زلت أدعى أمامه بأنى ليس لى علاقة بأحد غيره .. وهو لم يكن يسألنى عما أفعله .. وكنت ألاحظ فى صـــوته رنة اليأس منى .. ربما كان يعرف أكثر مما أظن .. ولكنه لم يكن يفصـــح لى عن شىء .. لم يكن يبدو منه الا هذه الرنة فى صوته .. رنة اليأس ..

وفى مرة قلت له فى التليفون :

ــ أنا حاسه انك مخبى عنى حاجه يا هاشم .. فيه حاجه عايز تقولها وما بتقولهاش ..

قال وهو يضحك ضحكة مرة :

ــ أصلى لو قلت لك ، حاتحلفى بحياة بنتك .. وأنا مش عايزك تحلفى بحياة بنتك كدب .. بتصعب على البنت .

وضحكت فى مرارة أنا الأخرى ، ولم ألح عليه فى أن يقول لى ما يخبئه فى صدره ..

الى أن كان يوم ..

وسافرت مع محمد الى الســـويس لأرى ابنتى .. وكان من عادتى بعد أن أرى ابنتى أن أقضى ليلتى مع محمد ، ثم أعـــود الى بيتى فى الصباح .. ولكننا فى هـــذه المرة قـــررنا فجأة أن نسافر من السويس الى الاسكندرية مباشرة .. وقضينا هنـــاك ثلاثة أيام فى فندق العجمى .. ثلاثة أيام هائلة .. ثم عدنا فى مساء اليوم الثالث .. وطول طريق العودة وأنا أفكر فى هاشـــم .. واحشنى .. واحشنى موت ..

وما كاد محمد يتركنى فى بيتى بعد أن سمحت له أن ينام فى بيته .. حتى اتصلت بهاشم فى التليفون ، وما كاد يسمع صوتى حتى فاجأنى قائلا :

— مبروك .. سمعت انكم اتجوزتم ..

وغاب عنى ذكائى لحظة خاطفة ، قلت فيها :

— ابدا .. لسه ..

ثم تنبهت الى أنى انزلقت بلسانى وعدت أقول بسرعة :

— تصدك ايه .. اتجوزت مين .. علشـــان يعنى ما اتأخرت أربعة أيام فى السويس .. وفيها ايه .. بنتى كانت عيانه وواخده اجازه من المدرسه ، قعدت جنبها ..

وقال هاشم ، وصوته ينضح باليأس :

— كفايه كذب يا أمينه .. تأكدى انى حا افرح يوم ما تتجوزى أكتر من فرحتك .. ليه ما تخليش كل حاجة بينـــا تبقى حلوه وصريحه .. ليه .. انتى ناســـيه ان حبنا ما كانش شويه .. ناسيه السنين دى كلها اللى عشناها مع بعض .. ليه نخسر السنين دى كلها .. ونسودها بالكذب ..

وكانت مرة من المرات القلائل التى يتكلم فيها هاشم بكل هذا الصدق .. وبكل هذا الاحساس .. وضـــعفت أمام صـــدق احساسه وقلت فى صوت هفتان :

— محمد فعلا عايز يتجوزنى .. بس لسه ما تجوزناش ..

قال :

— وكنتى مخبيه على ليه ..

قلت :

— كنت خايفه منك .. خايفه انك تعمل حاجه تطفش منى محمد ، وأنا ما صدقت لقيت عريس كويس ..

قال يقاطعنى :

— ما تقولبش كده .. كل اللى تقدموا لك كانوا كويسين .. حسن كان كويس .. وفريد كان كويس ..

قلت أقاطعه :

— بس محمد أحسن منهم .. وأصغر منهم .. وأصله هو دلوقتى متأكد انى سبتك خلاص .. ولو عرف انى لسه باكلمك ، مش ممكن يتجوزنى ، خصوصا انه لسه بيشك فى ..

قال :

— اخص عليكى يا أمينه .. بعد ده كله تفتكرى انى ممكن أقف فى طريقك .. تأكدى ان كل اللى عايزاه منى حاعمله .. مهما طلبتى ..

قلت :

— **عايزاك تفضل زى ما انت .. وتأكد لكل الناس** اننا سبنا بعض ..

قال فى استسلام لم أتعوده منه :

— حاضر ..

قلت :

— وكلها شهرين ولا تلاته واتجوز .. أنا متأكده .. وفى الفتره دى حابقى أشوفك فى السر .. بس مش كتير ..

وقال هاشم :

— حاضر .. بس لو ما اتجوزكيش حاتعملى ايه ..

قلت :

— انا متأكده انه حايتجوزنى .. ولو ما اتجوزنيش بعد ده كله حانتحر .. واذا ما انتحرتش حارجع لك .. ومن فضـــلك سيبنى متأكده من اللى باعمله .

قال :

— حاضر ..

قلت :

— فوت على بكره الصبح ، اشرب معايا القهوة ..
وقال هاشم وهو يضحك ضحكة صغيرة :
— حاضر

وهكذا .. انقلب الوضع مرة خرى .. اصبحت ابدو مع محمد فى العلن ، والقى هاشم فى الخفاء .. واخفى عن محمد علاقتى بهاشم ، وأقول لهاشم ما يجرى بينى وبين محمـــد .. أنقل اليه الأحاديث التى نتبادلها ، بل أبلغــه بكل لقاء لنا .. الليله سنذهب الى السينما .. الليله كان لقاؤنا فى الشـــقه .

وكنت أشعر بالجهد الكبير الذى يبذله هاشم ليخفى آلام الغيرة التى تفتك به وهو يســـمع أخبارى مع محمد .. وكنت أتلذذ بألمه .. كنت أحس كأنى أحقنه بكل آلامى التى أذاقها لى عندما كنت له وحده ..

ولم يكن هاشـــم يبدى تفاؤله من زواجى بمحمد .. كان يبدو عليه كأنه واثق أن هذا الزواج لن يتم .. ولكنه لم يكن يفصح عن تشاؤمه صراحة .. ربما لأنه كان يخشى أن أتهمه بالغيرة من محمد ..

وفى هذه الأيام بدأت أســـمع اشاعات خافتة عن هاشـــم ونجوى ، قالت لى احدى صديقات أمى وكنت قد قابلتها صدفة ، ان هاشم يجرى هذه الأيام وراء فتاة اسمها نجوى .. وانطلقت الغيرة فى صدرى .. كدت أجن كعادتى ، ولكنى كتمت غيرتى .. انى على الأقل أستطيع أن أسمح له بأن يتسلى مع فتاة أخرى ، الى أن يتم زواجى بمحمد .. واتصلت به بالتليفون وقلت له وأنا أحاول كل جهدى أن أبدو هادئة :

— ايه حكايتك مع ست نجوى دى كمان ..
وقال كأنه يدافع عن نجوى لا عن نفسه :

— ما ميش حاجه .. ما فبش حكايه .. دى عيانه عنـــدى باعالجها .. وأرجوكى .. انتى عارفه اد ايه أنا بتضايق لما حد يتكلم عن عيان من بتوعى ..

قلت وأنا أحاول أن أبدو ساخرة :
— على كل حال أنا اسمح لك تعرفها .. و ..
وقاطعنى هاشم ضاحكا :
— متشكر قوى ..
واستطردت فى لهجة جادة :
— بس على شرط ما تحبهاش .. أنا ما باحبش محمد .. أنا بس حاتجوزه ..
وقال هاشم وآثار ضحكته لا تزال بين شفتيه :
— انتى جباره ..
ثم كان يوم آخر ..
يوم رأس السنة الميلادية ..

لقد قضيت ليلة رأس السنة مع محمـــد .. وحدنا .. فى الشقة .. وكانت أول ليلة لرأس السنة اقضيها مع رجل أملكه .. فان هاشم كان من عادته أن يقيم حفلة فى بيته كل رأس سنة .. وخلال السبع سنوات التى عشتها معه لم يدعنى الى هـــذه الحفلة أبدا .. كان يتركنى وحدى .. لأسهر مع بعض أقاربى .. أو لأبقى فى البيت .. وكنت عادة أقضى الليلة باكية ، ثم أرفع عينى الباكيتين ، عندما تدق الســـاعة منتصف الليـــل ، وارسل لهاشـــم قبلة فى الهواء .. ثم تدهمنى خيالات بأنه ربما كان فى هذه الساعة يرقص مع فتاة أخرى ، وربما قبلها عندما أطفئت الأنوار .. فيشتد بكائى .. وأنام فى بحر من دموعى ..

اما هذا العام .. فان لى رجلا أملكه .. أستطيع أن أعوض به كل السنين التى تركنى فيها هاشم وحدى .. وعندما دقت الساعة الثانية عشرة .. قبلت محمد .. وفى نفس الوقت أرسلت قبلتى المعتادة الى هاشم فى الهواء .. ثم انطلقنا أنا ومحمد نقضى ليلة مجنونة حتى الفجر .

وبمجرد أن فتحت عينى فى الصباح .. لا .. فى الظهر .. اتصلت بهاشم فى التليفون .. وقلت له وأنا أتثاءب وأتمطى وأحس أنى أسعد امرأة فى العالم :

ــ كل سنة .. وانت طيب ..

قال فى صوت قلق كأنه يتحفز لنقاش طويل :

ــ وانت طيبه .. انبسطى امبارح ..

قلت فى صوت مسترخ أحاول أن أكيده به :

ــ ما خرجتش .. قعدت أنا ومحمد فى الشقة لوحدنا لغاية خمسه الصبح .. ولسه صاحيه من النوم دلوقت .. هلكانه يا هاشم ..

وقال كأنه يكتم غيظه :

ــ بالهنا والشفا ..

قلت :

ــ وانت عملت ايه ؟ ..

قال :

ــ ولا حاجة .. نمت الساعه واحده .

وفوجئت .. فقد تصورته طوال ليلة أمس وهو يرقص ويضحك ويغازل النساء .. بل تصورته وقد صحب امرأة الى شقته فى آخر الليل ، وكانت هذه التصورات هى التى دفعتنى الى الاندفاع فى جنونى مع محمد .. وقلت وأنا أشعر بالخيبة ..

ــ ازاى ده .. نمت بدرى ليه ؟

قال :

ــ الجماعه اللى كنت عازمهم كانوا معزومين فى حفلات تانيه .. وأنا كنت تعبان ما رضتش أروح معاهم .. نمت ..

ومرت بيننا فترة صمت .. كأن كلا منا يتحفز لشىء ينطلق من صدر الآخر .. ثم قال هاشم وهو يحاول أن يبدو هادئا جادا :

ــ اسمعى يا أمينه .. ايه رأيك نبتدى سنه نظيفه ؟

وقلت فى حدة :

ــ يعنى ايه ؟

قال :

ــ يعنى تبتدى تعودى نفسه على انك ما تعرفيش الا محمد .. تبقى لواحد بس .. وتبطلى تشوفينى .. وتبطلى تكلمينى فى التليفون .. ونقعد على كده سنه بحالها .. والسنه الجايه زى النهارده ، تكلمينى فى التليفون ، وباذن الله تقوليلى خبر كويس ..

وصرخت فى وجهه وقد قفزت جالسة فى سريرى :

ــ أنا عارفه أنت عايز ايه .. انت عايز تضعفنى قدام محمد .. وعارف انك لو سبتنى دلوقت حاضعف قدامه .. لا .. مش حاسمح لك تسيبنى . مش ممكن تسيبنى الا بعد ما أتجوزه .. ما سمحش لك ولا له انكم تلعبوا بى .. لازم واحد فيكم يتجوزنى قبل التانى ما يسيبنى ..

وقال وهو يحاول أن يحتفظ بأعصابه هادئة :

ــ يا أمينه اعقلى .. عمر الست اللى تعرف اتنين ما تبقى قويه .. الست القويه هى الست اللى عندها مبادىء قويه ..

وما فيش مبادىء قويه تقول ان الست تعرف اتنين فى وقت واحد ..

وقلت ، وانا اصرخ :

ـــ ده كلام فاضى .. المبادىء ما بقتش تنفع اليومين دول .. أنا خلاص كبرت .. وبقيت واحده عمليه .. لو كانت المبادىء بتنفع كنت اتجوزتنى لما كنت كويسه ..

وقال :

ـــ يا امينه انتى عارفه اننا لازم نسيب بعض .. واننا جربنا ميت طريقه علشان نسيب بعض .. ما فضلش الا اننا نقطع علاقتنا . مهما تعبنا ومهما تعذبنا .. لازم نقطع علاقتنا ..

وقلت صارخة :

ـــ مش دلوقتى .. ما تفتكرش انى عابزه أفضل معاك .. انما مش دلوقت ..

وقال فى حزم :

ـــ انا قررت خلاص يا أمينه .. وأنا حاسيبك وأنا ضميرى مستريح .. أنا سايب لك فلوس تكفيكى سنتين .. وسايب لك حاجات تقدرى تبيعى فيها وتعيشى بثمنها خمس سنين .. وسايبك مع شاب كويس وبيحبك وتقدرى تعتمدى عليه ..

وصرخت :

ـــ انت ما عندكش ضمير .. ومش من حقك انك تسيبنى .. مش من حقك ..

وقاطعنى قائلا كأنه يطلق على صدرى رصاصة :

ـــ آسف .. أنا قررت ..

وعدت اصرخ :

ـــ قررت يعنى ايه .. انت فاكر انك تقدر تستغنى عنى ..

انت دلوقتى بأه عندك أربعين سنه ، ومش ممكن تلاقى واحده زيى ، ولا واحده تحبك زى ما حبيتك ..

وسكت برهة كأنه يبتلع ألمه ، ثم قال فى هدوء مفتعل :

ـــ مع السلامة يا أمينه .. ربنا معاكى .

والقى سماعة التليفون فى وجهى ..

وجننت ..

وعدت بيــد ترتعش بجنونى أدير رقم تليفونه .. وما كاد يسمع صوتى حتى قال ثائرا :

ـــ أنا قلت لك ما تضربيش تليفون الا السنه الجايه ..

ثم القى السماعة فى وجهى ..

ورفعها ..

أبقاها مرفوعة ..

مرت ساعتان والسماعة مرفوعة .. وأنا أدير رقمه كل دقيقة ، منتظرة أن يعيد السماعة الى مكانها .. ومطمئنة الى أن محمد لن يلحظ أن تليفونى مشغول ، لأنه نائم فى بيته ..

وأعاد سماعة التليفون الى مكانها .. بعد ساعتين .. وما كاد يعيدها حتى كنت معه عبر الأسلاك .. وقلت بمجرد أن رفع السماعة :

ـــ ما تقفلش السكه من فضلك .. أنا ما بتدلعش معاك .. أنا عايزاك فى حاجه مهمه ..

وتردد قليلا ، ثم قال فى صوت جاف :

ـــ عايزه ايه ؟ ؟

قلت :

ـــ عايزه فلوس ..

وكنت خلال هاتين الساعتين قد فكرت فعلا فى أن آخذ من

هاشم نقودا قبل أن يتركنى .. آخذ منه ثلثمائة جنيه على الأقل ، حتى أصل بالمبلغ الذى أدخره الى الف جنيه .. ولكن لم تكن النقود فى حد ذاتها هى كل شىء ، ولكنها كانت حجة أستطيع بها أن أقنع هاشم بلقائى ، ولعلنى بعد أن القاه أستطيع أن أقنعه بأن يبقى لى ..

ولكن هاشم أجابنى فى وقاحة لم اتعودها منه :

— انا مش حاديكى فلوس بعد كده . انتى دلوقتى معاكى راجل يقدر يصرف عليكى .. روحى اطلبى منه ..

وصرخت فى حدة :

— يعنى انت زى بقية الرجالة .. ما تدفعش الا لما تاخد قصاد اللى بتدفعه .

وقال وهو يصرخ فى وجهى كأنه يشتمنى :

— لا .. أنا أحسن من بقية الرجالة .. وبكره تعرفى ..

ثم القى سماعة التليفون فى وجهى ..

ولم أيأس ..

هل فقدت كرامتى الى هذا الحد ؟

لم أكن أفكر فى كرامتى .. لا أعتقد أن كرامتى كانت مشكلة بالنسبة لى أبدا .. ولكنى كنت أشعر بأنى أفقد قوتى .. قوتى على هاشم وبالتالى قوتى على محمد .. وكنت أحاول أن أسترد قوتى ..

وبقيت أحاول أن اتصل بهاشم بالتليفون خمسة أيام .. كل يوم أدير رقمه أكثر من عشرين مرة .. وهو يلقى السماعة فى وجهى ، أو يرفع السماعة من مكانها ، أو لا أجده .. ولكنى لم أحاول فى هذه الأيام أن أطارده بتاكسى كما كانت عادتى . فقد بدأت أخاف .. أخاف من محمد .. أخاف أن يضبطنى وأنا

أطارد هاشم فيتركنى هو الآخر .. وكانت هذه هى أول مرة أخاف فيها من محمد الى هذا الحد .. لقد بدأت فعلا أفقد قوتى .. وبدأت مظاهر الضعف تصبغ تصرفاتى .. وأول مظاهر الضعف هى الخوف .. سواء خفت من هاشم أو من محمد ..

اكتفيت بأن الاحقه بالتليفون ..

وكنت أعتمد على أن هاشم مهما كان مصرا على هجرى ، ومهما كان قويا فى اصراره ، فلابد أن تمر به لحظة ضعف يستريح فيها من هذا الاصرار .. لحظة يكون فيها زهقانا ، أو يائسا ، أو سكرانا .. ولو صادفته فى هذه اللحظة فانى أستطيع أن أستغل ضعفه ..

وجاءت اللحظة ..

كنت سهرانة مع محمد ، وأعادنى فى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل .. وما كدت ادخل بيتى حتى رفعت سماعة التليفون وأدرت رقم هاشم ..

ورد علىّ ..

وسمعت فى صـــوته رنة الضعف ، والاستسلام .. كأنه كان يبحث عن شخص يرفه عنه .. ولم يلق السماعة عندما سمع صوتى .. بل ظل ممسكا بها دون أن يتكلم ..

وقلت فى صوت رقيق كأنى أدلك به أعصابه :

— مش حرام عليك يا هاشم ، تجننى لغاية ما ترد علىّ ..

وقال وهو يتنهد :

— كان لازم اعمل كده يا أمينه ..

قلت برقة :

— بس مش بالشكل ده يا هاشم .. الناس لازم تتفاهم قبل ما تسيب بعض .

قال :

ــ أنا يئست من التفاهم معاكى ..

قلت :

ــ بس فيه حاجات كتير لازم أقولها لك .. ده عمر طويل يا هاشم .. مش سنه ولا سنتين ..

قال فى استسلام :

ــ عايزه تقولى ايه ؟

قلت :

ــ تقدر تفوت علىّ ؟

وتردد قليلا ثم قال :

ــ امتى ؟

قلت :

ــ دلوقتى ..

وتردد أيضـــا ، ثم قال كأنه فى حاجة الى مغـــامرة تريح أعصابه :

ــ طيب .. بعد نص ساعه حاكون عندك ..

قلت فى فرح :

ــ مستنياك .. ما تضربش الجـــرس .. أنا حافتح لك على طول ..

وأعدت سماعة التليفون .. وقمت وقلبى يخفق بالفرحة .. فرحة الانتصار .. ودخلت الحمام ، واستحممت بماء فاتر .. ثم ارتديت قميص نوم من الحرير .. وسرحت شـــعرى وتركته سائلا على كتفى .. وتعطرت بعطرى الذى يحبه هاشم وانتظرته وراء الباب .. وما كدت أسمع صوت أقدامه حتى فتحت له ..

ولم أضىء النور .. وسحبته من يده الى غرفة النوم .. وانا أهمس :

ــ ما تعملش صوت .. أحسن البت الخدامة تصحى ..

ولم يكن هذا صحيحا .. فخادمتى كانت مستيقظة ولكنى نبهت عليها أن تدخل حجرتها ولا تخرج منها ..

ورقدت على فراشى .. وقميص النوم يكشف عن لحمى .. وشعرى ملقى فوق الوسادة .. وعطرى ينطلق ويشد هاشم من أنفه الكبير ..

وجلس هاشم على حافة الفراش ، ومد يده والتقط ولاعة سجائر ذهبية موضوعة فوق الكومدينو .. وكانت هدية من محمد ومنقوش عليها الحرفين الأولين من اسمى واسمه وقال وهو يعبث بها :

ــ دى هديه من محمد ؟

ــ آ .. حلوه ؟ ..

قال وهو يشعل الولاعة كأنه يحرقنى بها :

ــ انتى عبيطه .. بتجرى وراء الحاجات الصغيرة ..

قلت كأنى أغيظه :

ــ ده بيجيب لى هدايا كتير قوى ..

قال :

ــ وحاتتجوزوا امتى ..

قلت :

ــ لما توافق أمه ..

قال :

ــ واذا ما وافقتش أمه ..

قلت :

ــ برضه حانتجوز ..

قال :

ــ طيب اعملى حسابك انها مش حاتوافق ..

قلت :

ــ ليه ؟

قال وهو يهز كتفيه :

ــ لأنها مش ممكن توافق ..

قلت :

ــ لأ .. حاتوافق .. انت ما تعرفش أد ايه هى بتحب ابنها .. واد ايه ابنها بيحبنى ..

وابتسم هاشم ابتسامة ساخرة ، وقال :

ــ ابنها بيحبك صحيح ، بس ما اظنش انه حا يتجوزك ..

قلت وانا انظر اليه كأنى أتحفز للدفاع عن نفسى :

ــ ما يتجوزنيش ليه ؟

قال :

ــ لأن مافيش راجل عاقل يتجوز بالطريقه دى ..

قلت :

ــ أمال الراجل العاقل يتجوز ازاى ؟ ..

قال :

ــ يتجوز البنت اللى تقنعه بأنها عاقله .. وانتى أقنعتى محمد بانك مجنونه ..

قلت فى حدة :

ــ محمد فاهمنى كويس .. فاهم انى واحــده صريحه ، مش مجنونه . أنا ما بعملش أكتر من اللى بتعمله البنات التانيه

.. بس ما خبيش .. صريحه .. ما بضحكش عليه وافهمه غير حقيقتى ..

قال وفى عينيه اشفاق :

ــ ما تقفيش لوحدك يا أمينه فى الموضوع ده .. ما تكرريش غلطتك معايا ..

قلت فى زهق :

ــ يعنى عايز أعمل ايه ؟

قال :

ــ أنا من رأيى تصالحى جوز مامتك وتروحى تقعدى فى بيته .. علشان محمد يحس انك مش سايبه .. وان لك عيله ..

قلت وزهقى يزداد :

ــ يا حفيظ يا رب ، ده أنا اتخنق لو قعدت مع جوز أمى يوم واحد .. وبلاش تكلمنى فى الموضوع د ، لأنى مش حاسمع كلامك ..

قال :

ــ لك حق ..

ومرت بيننا فترة صمت طويلة ، وهاشــم ينظر فى وجهى كأنه يبحث فيه عن فتاة كان يعرفها ، ثم قال :

ــ وانتى مبسوطة دلوقتى ؟

قلت :

ــ مبسوطة لأنى قدرت أخليك تيجى .. مش أنا شاطره ..

وعاد هاشم يبتسم ابتسامته الساخرة وقال :

ــ وعايزه تقوليلى ايه ؟

قلت وأنا انظر فى عينيه المنتفختين :

ــ عايزاك تبوسنى ..

ونظر الى هاشم طويلا ، ثم قام وهو يتنهد كأنه يؤدى واجبا ثقيلا ، وخلع سترته ، ثم عاد الىّ ، وأخذنى بين ذراعيه وقبلنى ..

ولأول مرة أحس أن شفتيه تاهتا عن شفتى ..

كأنه لا يعرف موضع قبلتى ..

القبلة التى عودنى عليها كل هذه السنين الطويلة ..

وأحسست أنه يضغط على أعصابه ، ليفتعل الحماس ..

وبدأت أنا الأخرى أفتعل ..

أفتعل الحماس .. وأفتعل التفانى .. وأفتعل آهاتى .. لعلى أرضيه .. لعلى أعيده كما كان .. ولكنه ليس كمحمد الذى كنت فى احضانه منذ أقل من ساعتين .. انه بارد .. لا يكلف نفسه أن يهتم بحاجتى اليه .. انه يأخذنى فى زهق ..

وقام وارتدى ثيابه بسرعة ..

وعاد يجلس على حافة السرير ، وقال وهو ينظـر الىّ فى شفقة :

— احنا اتغيرنا ياأمينه .. ما بقيناش زى الأول ..

قلت :

— أنا ما تغيرتش .. وانت عارف الحاجات دى ما تهمنيش ..

قال :

— أنا عايز أكلمك بصراحه يا أمينه .. انتى عارفه أنا جيت لك الليلة دى ليه .. لانك قبل ما تكلمنى فى التليفون .. كنت قاعد اكلم نفسى ، وكان متهيألى انى ظلمتك .. كنت باقول لنفسى انى ما كانش لازم أسيبك وجيت مخصوص علشان أؤكد انى ما غلطتش .. انك انتى الى غلطتى .. انتى مش كويسـه يا أمينه .. ما تقدريش تبقى كويسه .. ما تقدريش تصونى كرامة أى راجل

.. انتى كنت متجوزه وبتخونى جوزك معايا .. وبعدين اتخطبتى واحد وخنتيه برضه .. وبعدين اتجوزتى واحد تالت وخنتيه .. وكنتى بتحبينى وتخونينى .. ودلوقتى بتحبى واحد تانى وبتخونيه برضه .. يبقى مش معقول الـ ..

وقاطعته :

— أنا كنت باعمل كل د علشان خاطرك .. كل اللى عملته ده كان بسببك ..

قال فى هدوء :

— مش علشان خاطرى يا أمينه .. انت عمرك ما عملتى علشان خاطر حد ..

قلت وأنا أصرخ :

— انت سافل .. أنا ضحيت بكل حياتى علشان خاطرك .. ولو كنت اتجوزتنى كان زمانى بقيت كويسه ..

قال فى صوت بارد :

— لو كان ممكن تبقى كويسه كنت اتجوزتك ..

قلت وأنا أنهار ضعفا :

— أنا مش عايزه أتجوزك دلوقتى يا هاشم .. عارفه ان مش ممكن تتجوزنى .. بس خليك معايا لغاية ما اتجوز محمد ..

وابتسم ابتسامة لا معنى لها ، ثم قام واقفا :

— تأكدى لو كان فيه حاجه ممكن أعملها ، كنت عملتها ..

وخرج ..

وجريت وراءه الى باب الشقة ، وتعلقت فى رقبتـه وقبلته .. وأزاحنى عن صـدره فى رفق .. ونظر فى وجهى ، ثم عاد واحتضننى ، وضمنى الى قلبه فى هدوء ، وترك خده فوق خدى فترة ، ثم قبلنى فوق جبينى .. وأبعدنى عنه ..

وقلت له قبل ان اغلق الباب وراءه :

ــ هاشم .. بكره حا اضرب لك تليفون .. وترد على ..

قال :

ــ باذن الله ..

وخرج ..

وأحسست أنه خرج من حياتى الى الأبد .. وحاولت أن أبعد هذا الاحساس .. حاولت أن أثق بقوتى على الاحتفاظ به . واستعادته كلما هم أن يتركنى .. ولكن موجة من الضعف كانت تزحف علىّ ..

انى ضعيفة ..

وألقيت نفسى فى فراشى وبكيت ..

— ٧ —

بدأ هاشم يتبع طريقة جديدة ليتخلص منى ..

لم يعد يلقى فى وجهى بسماعة التليفون . لم يعد يهرب .. كان يرد على فى التليفون بكلمات رقيقة ويضحك ويدللنى كأنه لم يحدث شىء بيننا اغضبه منى . وكنت أروى له أخبارى مع محمد . فيسمعها باهتمام الصديق الوفى ، ويحل لى مشاكلى ، وينصحنى كأنه فعلا صديق وفى .. ثم .. عندما أطلب لقاءه يقبل بسرعة .. ويحدد لى موعد اللقاء .. ثم .. قبل الموعد بساعة أو ساعتين يعتذر .. ويعتذر فى رقة :

ــ آسف يا أمينه .. جاءت لى حاجه مستعجله .. معلهش .. مره تانيه .. اضربيلى تليفون بكره ..

وتكرر اعتذاره ثلاث او أربع مرات .. وبدأت اكتشف خطته .. وقلت له فى التليفون :

ــ أنا عارفه يا هاشم . انت مش عايز تشوفنى ..

رد فى حرارة كاذبة :

ــ أبدا يا أمينه .. وحياتك مشغول .

وقلت فى مسكنة :

ــ طيب فوت على دلوقت ، وانت رايح للعيان بتاعك .. دقيقه واحده بس ..

وقال بنفس الحرارة الكاذبة :

ــ مش ممكن يا أمينه .. انتى عارفه ..

وقلت وأنا أكاد أبكى :

ــ اللى تشوفه يا هاشم ..

وأزداد ضعفا يوما بعد يوم .. احس انى فقدت تأثيرى على هاشم .. وأحس بالخوف من أن أفقد تأثيرى على محمد أيضا ..

وكنت فى هذه الأثناء أستعمل كل ما بقى فى من قوة للضغط على محمد حتى يتزوجنى .. ومحمد يتعلل بمختلف الأعذار .. ويؤكد لى ان أمه على وشك الاقتناع .. وأنا احتار فى تصديقه .. ولكنى مضطرة أن أصدقه .. ليس لى طريق آخر الا ان أصدقه ..

وفى يوم .. ادرت رقم تليفون هاشم فسمعت الجرس يرن ، ثم لم يرد أحد .. وكررت الاتصال به .. والجرس يرن .. ولا احد يرد .. وفى اليوم التالى ، الجرس يرن ولا يرد أحد ..

لقد غير رقم تليفونه الخصوصى .. الرقم السرى .. السافل ..

وحاولت الاتصال به فى تليفون العيادة العام ، ولكن التومرجى هو الذى يرد دائما ، أو المرضة اليونانية ، وكلاهما يعرفان

صوتى .. وكل منهما يعتذر لى بأن الدكتور مشغول .. كأنهما تلقيا أمرا بطردى كلما سمعا صوتى ..

وحاولت الاتصال به فى بيته .. فى كل ساعة يخيل الى أنه فى بيته .. حتى فى الساعة الثانية صباحا .. فى الخامسة صباحا .. ولكنه لا يرد أبدا .. لم يعد يضع التليفون بجانب فراشه كما تعود .. ان التليفون بجانب فراش أخته .. هى التى ترد دائما .. وأعيد السماعة بمجرد أن أسمع صوتها .. انى لا زلت أكرهها .. أكرهها .. وبدأ عذاب كبير يزحف على ..

صحيح انه مضى على أكثر من شهر لم ألتق فيه بهاشم .. ولكن صوته الذى كنت أسمعه فى التليفون كان يحتفظ لى بالأمل فى أنه لا يزال بجانبى .. لا يزال لى .. بل انى كنت قد بدأت أفكر جديا فى أن اقطع علاقتى بمحمد ، وأعود لهاشم بكلى .. فهاشم يريحنى أكثر من محمد .. وأشعر بجانبه باطمئنان أكبر .. وهو لا يكذب على ، وقد بدأت أشك فى أن محمد يكذب علىّ .. يغرر بى .. يشدنى وراءه بوعد لن يحققه ..

ولكن هاشم حرمنى من صوته ..

حتى صوته حرمنى منه ..

حرمنى من مجرد الأمل ..

وعندما أحسست أنى فقدته ، عادت مسامى كلها تتفتح له .. عادت أعصابى كلها تناديه .. وأشعر بالاختناق .. وأتلوى فى فراشى كأنى راقدة فوق جمر النار ..

انى أتعذب ..

أختنق ..

هل يمكن أن يكون هذا هو الحب ؟

لا .. لا يمكن .. انه ليس الحب .. لا يمكن أن يكون هذا!

حبا .. لا يمكن أن أكون حتى اليوم أحب هاشم الى حد أن أتعذب كل هذا العذاب .. بعد كل ما فعله بى .. وبعد كل ما فعلته به .. حتى لو كنت قد أحببته يوما ما فان ما حدث بيننا كان كفيلا بأن يذيب هذا الحب .. يمزقه .. يقتله ..

لا ليس الحب ، انه التعود ..

انى مرتبطة به بحكم العادة .. عقلى تعود عليه .. جسدى تعود عليه .. أسلوب حياتى كلها يعتمد على التعود عليه ..

والتعود أقوى من الارادة ..

ان الذى يتعود على الحشيش يعلم أنه يزهق أنفاسه .. والذى يتعود على الكونيك يعلم أن الكونياك يكوى أمعاءه .. ورغم ذلك لا يستطيع أن يستغنى عن الحشيش أو عن الكونياك .. لأن العادة أقوى من الارادة ..

واذا كان تعودى على هاشم يسمى حبا ، فانى أحبه كما يحب الحشاش الحشيش .. وكما يحب السكير الكونياك ..

واكتشفت أن محمد لم يستطع أن يشفينى من هذه العادة .. لم يستطع أن يشفينى من هاشم .. لقد خيل الى يوما ما أنى شفيت منه .. وأن محمد شفانى .. ولكن الآن .. وبعد أن تركنى هاشم فعلا .. عاد سلطان التعود يسيطر على بكل جبروته .. بكل حدته .. أصبحت أركب بجانب محمد فى سيارته وعيناى زائغتان فى الطريق تبحثان عن هاشم ، لعلى أتزود منه بنظرة .. وأجلس مع محمد وعقلى سارح وراء هاشم .. وأنام فى أحضانه فأحتاج لكل ارادتى حتى أنسى هاشم وأتفرغ له ، ولم أكن دائما أستطيع .. ثم لا يكاد محمد يتركنى وحدى حتى يهجم على ريح هاشم بكل قوته .. وأحس بصوته يملأ أذنى .. وأحس برائحته

تملأ أنفى ، واحس بلمساته فوق كل قطعة من جسدى .. أتلوى .. اجرى الى محمد لعلى أنسى فيه هاشم ..

ولم أكف عن محاولتى لاستعادة هاشم ..

أرسلت له خطابا ، لا زلت حتى اليوم أذكر كلماته .. قلت له فيه :

« هاشم حبيبى ..

« أنت تعلم أنى أحبك .. ولا زلت احبك .. أكثر من روحى .. أكثر من ابنتى .. أكثر من اى شىء فى الدنيا .. وقد ضحيت بكل شىء فى الدنيا لأنى احببتك .. ضحيت بابنتى وبعائلتى ، وبمستقبلى ، وبالناس .. ثم أخطأت .. انى أعترف لك انى أخطأت .. ولكن كن رحيما وتذكر أنك أنت الذى دفعتنى الى الخطأ .. وقد صفحت عما فعلته بى .. فكن كبيرا واصفح عما فعلته بك .. وأعدك بمجرد عودتى .. عودتى اليك .. انى سأكفر عن خطئى .. ستجدنى فتاة أخرى .. فتاة تحبك أكثر .. وتحرص عليك أكثر .. والمثل يقول : الطبق المشروخ يعيش أكثر .. وقد شرخ حبنا ، ولكنه سيعيش .. سيعيش أكثر .. أرجوك .. دعنى أعود اليك » ..

وارسلت له الخطاب بالبريد المسجل على عنوان العيادة ..

ولكن هاشم لم يرد على ..

السافل ..

المجرم ..

واشتد عذابى بعد أن ارسلت له هذا الخطاب .. احسست أنه امتص كرامتى .. أنه أذلنى أكثر مما ذللت له .. عذاب تنطلق فيه نار الغيظ .. الغيظ من السافل الأكبر .. دكتور السفالة .

ولكن ..

كان لا يزال فى بقية من كرامة يجب أن أبذلها .. قبل أن أستسلم لليأس ..

اتصلت بصديقه رؤوف ، الذى التقيت مع هاشم فى شقته أكثر من مرة .. وبكيت له فى التليفون .. بكيت بحرقة .. كان يكفى أن أسمع صوتا قريبا من صوت هاشم ، لأستريح من كل دموعى .. وقلت له أن هاشم تركنى لأنى عرفت شابا يريد أن يتزوجنى .. وأنى مستعدة ان اترك هذا الشاب ، بل قلت له انى تركته فعلا .. وانى الآن اريد هاشم .. يجب أن يعود الى .. انه مسئول عنى .. ليس من حقه أن يتركنى فى الحياة وحدى ..

وأشفق رؤوف على ..

كاد يبكى معى .. انى استطيع دائما عندما اروى قصتى ان اثير شفقة الناس على ..

ووعدنى أن يتصل بهاشم ، ويرد على ..

وغاب ثلاثة أيام ، ولم يرد على .. فعدت واتصلت به مرة ثانية ، وقال لى بصوت حزين :

— آسف يا أمينة هانم .. هاشم مصمم على موقفه .. والحقيقة انه أقنعنى بأن ده أحسن لك ..

وصرخت :

— أحسن لى انه يقعد معايا سبع سنين ، وبعدين يرمينى زى الكلبه ..

وقال رؤوف فى حنان :

— انتى عارفه يا أمينه هانم ان هاشم مش حايتجوز .. وانتى استحملتيه كتير من غير فايده .. يبقى أحسن انكم تنتهوا من الحكايه دى ..

وقلت وأنا أشهق بالبكاء :

— طيب من فضلك ادينى نمرة تليفونه الخصوصية ..

وتردد رؤوف ثم قال :

— آسف .. ما اعرفهاش ..

ثم تردد مرة اخرى واستطرد قائلا :

— الحقيقة انى أعرفها بس ما اقدرش اقول لك عليها .. لازم أستأذنه الأول .

قلت :

— بلاش .. مش عايزاها ..

والقيت سماعة التليفون ..

وعدت الى العذاب ..

عذاب قلبى المشروخ .. وعقلى المشروخ .. وجسدى المشروخ .. والشروخ ينزف منها الألم .. وتنزف منها ارادتى .. قوتى .. وتنزف منها كرامتى ..

ومضت أربعة شهور لم أستطع خلالها أن اتصل بهاشم فى التليفون .. ولم أره .. ولا حتى صدفة .. لم أكن أعتقد أن القاهرة واسعة الى هذا الحد .. واسعة الى حد أن يتوه فيها هاشم منى .. ثم رأيته مرة واحدة فى سيارته .. فى طريق مصر الجديدة .. وبجانبه فتاة .. لابد أنها نجوى .. ان الأوصاف التى سمعتها عنها تنطبق على الفتاة التى رأيتها .. انها جميلة .. ولكنى أجمل منها .. هل انا اجمل منها حقيقة .. لا ادرى .. لا ادرى .. فانى فقدت الثقة فى نفسى .. فى جمالى .. وعندما رأيتها انشق قلبى .. أحسست بألسنة النار تنطلق فجأة فى كيانى .. وقضيت يومين أبكى .. واشرد .. وسكين من الألم يمزقنى .. وتمنيت يومها الا أرى هاشم مرة ثانية .. لا اريد ان اراه .. لا أريد .. حتى لا يثير فى كل هذا العذاب ..

وكان يجب ان ايأس ..

ايأس من هاشم ..

ولكى ايأس ، يجب أن اكرهه .. اكرهه بكل طاقتى .. وبدات اقنع نفسى بكراهيته .. كرهت كل يوم من ايامى معه .. ونسبت اليه كل مصيبة حلت بى .. هو الذى ضيع عمرى .. هو الذى تركت من اجله زوجى .. ثم خطيبى .. ثم زوجى الثانى .. هو الذى ضيع منى ابنتى .. هو الذى عرضنى لكل هؤلاء الرجال الذين مروا فى حياتى وعبروا على جسدى .. هو الذى افقدنى عائلتى .. سمعتى .. الناس .. افقدنى كل شىء .. ولم يفقد هو شيئا .. لم يفقد دقيقة واحدة من عمره .. عجزت عن ان افقده شيئا .. لقد تركته فى اخر يوم من ايامه ، كما كان فى اول يوم التقيت به .. هو هو .. بل كبر .. كبر فى عين الناس كطبيب ، واصبح مشهورا اكثر ، ويكسب اكثر .. انا وحدى التى تغيرت .. انا التى دفعت كل الثمن .. انى اكرهه .. اكرهه .. وتستبد بى الكراهية الى حد ان اتمنى موته .. وتتوالى امام عينى صور للانتقام منه ..

ولكنى عاجزة عن الانتقام .. فارفع راسى الى السماء واصرخ من كل قلبى : « يارب انتقم لى منه » .. ثم ادفع محمد ليتحدث عنه حتى يملأ اذنى بشتيمته ، ويصوره لى وحشا ادميا ياكل البنات .. لعلى بذلك اقتنع بكراهيتى له ..

ولكنى اكتشفت ان الكراهية كالحب .. كلاهما ذروة من ذرى العاطفة .. كلاهما يضعك دائما امام الشخص الآخر .. يذكرك به .. ويعذبك بذكراه .. واكتشفت انى اكره هاشم لانى لازلت احبه .. وكلما ازددت كراهية له ، ازددت حبا ..

لا .. لن اكرهه ..

سأنساه ..

وبدات أحبس لسانى عن ذكر اسمه .. واتجاهل الأشياء التى تملأ بيتى وتذكرنى به .. انظر اليها بعينين ميتتين كأنى انظر الى أشياء ليس لها حقيقة فى عمرى .. وبدات ابتعد عن كل صديقة من صديقاتى يمكن أن تحدثنى عن هاشم .. بل كنت اتعمد الا امر فى ميدان سليمان باشا حتى لا تقع عيناى على اليافطة التى تحمل اسمه والمعلقة فوق باب العمارة .. وحتى لا تقع عيناى على سيارته .. وبدات ايضا اتجاهل عواطفى التى تثور فى صدرى ، ولا احاول ان اناقشها .. كأن هذه العواطف عواطف فتاة أخرى ليس لى شأن بها .

انى فى معركة .. معركة مع نفسى .. معركة اشق ما فيها هى الأشياء الصغيرة .. ان هاشم ليس شيئا واحدا .. انه ملايين الأشياء الصغيرة .. أشياء كنت اعتقد أنى نسيتها من زمان ، ولكنها تقفز الآن الى خاطرى واحدة بعد الأخرى .. تقفز ساخنة حية .. كلمة سبق أن قالها لى .. بيجامته المخططة .. الطريقة التى يمشط بها شعره .. دخان سيجارته وهو ينطلق من انفه الكبير .. أصابعه الرفيعة الطويلة .. الخاتم الأخضر الذى يضعه فى أصبع من يده اليمين .. ضحكته .. أسنانه .. الطريقة التى يمضغ بها الطعام .. و .. و .. ذكريات لا تنتهى .. ملايين الأشياء الصغيرة ، كان على أن أحاربها ، حتى اقتلها .. فلا تعود تنغص على عيشتى ..

وكان على حتى اتخلص من تعودى على هاشم ، أن أتعود على محمد وحده ..

انى لم أتعود بعد على محمد وحده .. لم اكن له وحده ابدا .. كان هاشم دائما معه .. بل ان هاشم كان مع كل رجل عرفته

.. ليس فى حياتى رجل تعودت عليه وحده الا هاشم . عنـــدما كنت مخلصة له فى السنوات الأولى من معرفتى به ..

وبدأت أرسم حياتى لأكون لمحمد وحده ، واتعود على هذه الحياة ..

ولكن محمد تغير ..

ربما لأنه احس بأنى ازددت حاجة اليه .. أحس بضـــعفى بعد أن تركت هاشم .. وقد كنت أحاول جهدى أن أخفى ازدياد حاجتى اليه .. اخفى ضعفى .. كنت أحاول أن أظل محتفظة بقدرتى على السيطرة عليه .. ولكنى يوما بعد يوم ، بدأت أكتشف أن محمد ليس ساذجا كما كنت أعتقد .. وليس ضعيفا .. وليس مهذبا ولا مؤدبا .. انه سخيف .. أحيانا يصل فى سخافته الى حد لا يطاق .. سخافة الشـــاب المغرور .. وأنا التى ملأته بالغرور .. لقد أعطيته أكثر مما كان ينتظر ، فاغتر .. وبدأ فى نوبات غروره يحدثنى عن زواجنا بلهجة جديدة .. وبدأ يحاسبنى من جديد على علاقتى بهاشم .. ثم انطلق مـــرة أخرى يعلن لى انه يعلم أنى لم اكن متزوجة بهاشم .. أعلنها كأنه كان يختزنها فى صدره مدة طويلة .. ثم بدأ يبعدنى عن أصدقائه وزوجاتهم بعد أن عودنى على الاندماج فيهم ، حتى يظل محتفظا بأملى فى الزواج به .. حتى يجعلنى اشعر بأننا فى يوم ما سنكون مثـــل هؤلاء .. زوجا وزوجة .. انه يخيفنى الآن .. يبتعد بعلاقتنا عن المجتمع .. كأنها شىء لن يعترف به المجتمع أبدا ..

ولم أكن اسكت على هذه السخافات دائما ، كنت أقاومهـــا بعنف .. وكنت اخاصمه أياما .. ومرتين أو ثلاث مرات جننت .. وفى جنونى عدت أحاول أن أتصل بهاشم كأنى أستغيث به .. أدرت رقم تليفونه .. الرقم القديم الذى أعرفه .. ثم

افقت برهة الأذكر نفسى بأن الرقم قد تغير .. فعدت أتصل به فى البيت .. وصحت فى وجه أخته :

ــ ادينى أخوكى .. خلينى أكلمه .

وردت أخته كأنها لا تعرفنى ، ولا تريد أن تعرفنى :

ــ آسفة يا افندم .. الدكتور مش موجود ..

ثم ألقت السماعة ..

وصرخت ..

صرخت يومها كثيرا ، وأنا اشد شـــعرى .. والطم على خدى .. كنت أصرخ على خيبتى .. على غبائى .. على ضعفى . كنت أصرخ لأنى فقدت هاشم ، ولم أتزوج محمد ..

وأخيرا ..

استسلمت ..

أقنعت نفسى بأنى لن اتزوج محمد .. ما حاجتى الى الزواج من محمد أو من غيره .. كده أحسن .. لا ينقصنى شىء .. عندى بيت ، ورجل .. كل ما ينقصنى ورقة .. ورقة ليس لها قيمة .. انها ورقة .. ورقة تطلق البرودة والجفاف والملل فى حيـــاة كل رجل وامرأة يملكانها .. ورقة لا يمكن أن تزيدنى شيئا ، ولا يمكن أن تحمينى من شىء .. ورقة يستطيع الرجل أن يمزقها فى أى وقت ، ثم يدفع المؤخر والنفقة .. وأنا آخذ المؤخر مقدما .. والنفقة ..

وبدأت آخذ نقودا من محمد .. ولكن محمد لا يدفع بنفس البساطة التى كان يدفع بها هاشم .. انه يحسب حســـاب كل قرش .. ويحس بكل قرش .. ويطالبنى بالبضـــاعة كاملة يطالبنى بكل دقيقة من عمرى ..

وكنت قد اتفقت مع محمد على أن يغير شقته التى تقــع

بجوار شقة هاشم .. حتى أبتعد عن كل ما يثير ذكرياتى .. ويثير احساسى بالأشياء الصغيرة ..

واستأجر محمد شقة فى مصر الجديدة .. وتليفون ..

وبعد مدة ، تركت الشقة التى يستأجرها لى ابى .. قطعت اخر خيط يربطنى بعائلتى .. وانتقلت الى شقة محمد .. عشت فيها .. عدت الى مصر الجديدة .. الحى التى تركته وانا ابنة عائلة كبيرة محترمة ، عدت اليه بلا عائلة .. لا كريمة ولا محترمة ..

وعشت فى وهم نسجته من خيالى .. اوهمت نفسى أن هذا البيت بيتى .. وان هذا الرجل زوجى .. وأن سيارته سيارتى .. وعزبته عزبتى .. ونقوده نقودى .. واشتريت دبلة زواج من الماس نقشت فى داخلها اسم محمد وعلقتها فى أصبعى .. ولم اكن فى كل هذا أحاول أن اقنع الناس بأنى تزوجت محمد .. لا .. لم اعد أهتم بالناس .. ولكنى أحاول أن اقنع نفسى .. كنت احاول أن اضحك على نفسى ..

وليس معنى ذلك انى طمأنت محمد الى انى لن أتزوجه ..

لا ..

كنت لا زلت أطالبه بالزواج .. وكنت اخفى يأسى واستسلامى فى صدرى .. ولكنى بينى وبينه اتمسك بالأمل ، والح فيه .. ولكن هذا الأمل اصبح مفهوما على انه مجرد تبرير لعلاقتنا ..

وما كنت أحرص عليه اكثر من الزواج ، هو الا يتزوج محمد غيرى .. كان هذا الاحتمال يجننى .. وكنت احرص على أن يعرف كل المجتمع الراقى بعلاقتنا ، حتى أسىء الى سمعة محمد بين العائلات الكبيرة ، فترفض العائلات الكبيرة تزويجه من بناتها ..

وكانت امه تسعى فعلا الى أن تخطب له .. كنت أسمع عن

تنقلاتها بين البيوت كأنها تستجدى فتاة تنقذ بها ابنها منى ..

وكنت اقول لمحمد ان امه تخطب له .. فيرد فى برود :

ــ خليها تعمل اللى هى عايزاه .. المهم انا .. وانا مش حاتجوز .. انتى عارفه ان مش ممكن اتجوز غيرك ..

ولكنى لم اكن أسكت ..

كنت اثور .. واطالبه بأن يضمن لى مستقبلى .. وان يتزوجنى رغم ارادة امه وعائلته .. وكنت اغالى فى ثورتى حتى ازهق انفاسه .. ولكنه لم يتزوجنى .. وجد حلا آخر .. كتب لى كمبيالة بخمسمائه جنيه تستحق الدفع عند المطالبة .. حتى اطمئن الى انه لن يتركنى .. واذا تركنى استطيع ان اطالبه بالكمبيالة ..

وكتب كمبيالة اخرى ..

وثالثة ..

اصبحت قيمة الكمبيالات التى كتبها لى الف وخمسمائة جنيه .. اكبر من مؤخر صداق اى فتاة من اى عائلة كبيرة ..

ورغم ذلك كنت خائفة ..

الخوف فى قلبى دائما ..

وكنت فى حالات كثيرة اتمرد على هذا الخوف .. ولكن الخوف يعود ويغلبنى .. كنت اخاف أن أفقد محمد .. وكانت تجربتى السابقة مع هاشم تزيدنى خوفا .. لقد فقدت هاشم وكنت أعتقد انى لن افقده ابدا .. وقد أفقد محمد ايضا .. وكان هذا الخوف يجبرنى على الاخلاص لمحمد .. خصوصا ان محمد ليس كهاشم .. هاشم كان مشغولا عنى .. ولم يكن يعيش معى .. ثم انه كان يقنعنى دائما بأنى حرة استطيع ان افعل ما اريد ، ولا يربطنى بشىء اكثر من رغبتى فى الارتباط به .. ولكن محمد ليس مشغولا عنى .. انا عملة الأساسى .. وهو يعيش معى .. ويحاسبنى

على كل لفتة وكل نظرة .. ويطالبنى بكل نفس من أنفاسى نظير كل مليم ينفقه على ..

مرتين فقط استطعت أن أغلب الخوف .. وأنطلق الى رجل آخر ..

مرة انطلقت مع حسن .. خطيبى السابق .. انه لا يزال الرجل النبيل الذى يذكر تاريخ ميلادى ، وتاريخ اعلان خطوبتنا ، وتاريخ فسخ خطوبتنا .. ويحدثنى فى كل مناسبة بالتليفون .. ويرسل لى هدية .. وهو الوحيد الذى أصبح موضع سرى .. وأشكو له من محمد .. وأثق فى اخلاصه .. ورغم ذلك لم أكن له خلال هذه المدة الا مرة واحدة .. انه صاحب حق على ..

والمرة الثانية كانت صدفة .. كانت مع شاب لبنانى .. التقيت به عندما ذهبت الى زيارة صديقتى سميحة .. واسمها « سمح » .. كنت يومها قد استأذنت محمد لأنزل الى البلد لأطوف بالدكاكين .. ولكنى وجدت نفسى زهقانة ، فمررت على سمح فى بيتها بشارع معروف .. وكان هذا الشاب هناك .. وأخذ يعلمنى رقصة التويست .. و ضحكت كثيرا .. وشجعتنى سمح ، كى أضحك أكثر .. ثم تركتنى له .. وخرجت لتذهب الى مدام ليلى الخياطة لتجرى بروفات على الثوب الذى ستظهر به فى الديفليه .. ان سمح تشتغل مانيكان .. وكنت لازلت فى حاجة لأن أضحك أكثر .. وأرقص أكثر .. واتحرر من الخوف .. وتركت الشاب اللبنانى يحررنى .. انى لا اذكر الآن اسمه .. ولم أره من يومها ..

وأكثر من هذا ، لا شىء .. كنت مخلصة لمحمد .. اخلاصنا دام عامين .. وحب هاشم تقلص وتحجر الى أن أصبح كأنه « كاللو » فى قلبى .. لا يؤلمنى الا كلما ضغطت عليه بالذكريات

.. تماما كما يؤلمنى الكاللو الذى فى أصبع قدمى عندما يضغط عليه الحذاء ..

ثم ..

تزوج محمد ..

قرأت خبر زواجه فى الصحف ..

لقد كان معى فى اليوم السابق على زوجى .. ونام عندى .. وفى الصباح أبلغنى أنه مسافر الى العزبة .. وفى الصباح التالى قرأت خبر زواجه ..

وسقطت باردة كالثلج ..

جننت .. ولكنه جنون من نوع جديد .. جنون بارد .. أخطر وأشد ألما من الجنون الصارخ .. ثم فكرت فى أن اقتل محمد .. ومرت على صور كثيرة للانتحار .. وصور كثيرة للقتل ..

ولكنى لم أنتحر ..

ولم أقتل محمد ..

ظللت ملقاة على ظهرى .. باردة كالثلج .. وعيناى معلقتان فى السقف .. وأنا أشعر بكل شىء يتغير فى .. أشعر ان شيئا فى عقلى يتغير .. وشيئا فى صدرى يتغير .. وشيئا فى معدتى يتغير .. بل أشعر أن دمائى تجرى فى قنوات جديدة .. سرعتها تتغير .. ولونها داخل عروقى يتغير ..

ونوبة الجنون تخف .. يخففها أنى فى كل يوم كنت انتظر اليوم الذى يتزوج فيه محمد ..

ومضى يومان لم أحاول خلالهما أن أتصل بمحمد او ابحث عنه .. وفى اليوم التالى اتصل بى هو بالتليفون .. وسمعت صوته بأعصاب باردة ، وقلت وشفتاى تتحركان كقطعتى خشب :

— مبروك يا محمد ..

وانطلق قائلا كأنه يبكى :

— أعذرينى يا ميتو .. انتى عارفه اد ايه انا قاومت .. لغاية أمى ما جات لها ذبحه وكانت حاتموت .. وكان لازم اسمع كلامها واتجوز ..

وقاطعته فى صوت كالخشب :

— على كل حال .. ده حقك يا محمد ..

قال فى حرارة :

— لأ .. مش من حقى .. انا عملت كده علشان انقذ حياة امى .. أنا ما بحبش الا انتى .. ومش عايز اتجوز .. اللى جوزوهالى مش طايقها .. مش قادر أبص فى خلقتها .. لو عرفتى حالتى حاتعرفى انى متعذب أكتر منك ..

قلت :

— مسكين ..

قال :

— ما تعملنيش كده يا ميتو .. اشتمينى .. العنى ابويا .. بس ما تعملنيش كده ..

قلت :

— انت عارف ان عمرى ما احب اشتم حد ..

قال :

— ميتو .. أنا لازم اشوفك ..

قلت وأنا أهز كتفى بلا مبالاة :

— وماله .. تعالى ..

قال فى حماس :

— مسافة السكة حاكون عندك ..

ولم اهتم بأن اتزين له ..

بقيت فى فراشى كما استيقظت من النوم .. وجاء بعد عشر دقائق .. وانطلق فى البيت يبحث عنى الى أن اصطدم بعينى الباردتين ..

وقلت فى فتور :

— جبت الالف وخمسميت جنيه ..

وبوغت .. كأنه قد نسى الكمبيالات .. وقال وهو يتلعثم :

— هو ده كل اللى يهمك يا ميتو ..

قلت فى بساطة :

— تعتقد ان فيه حاجه تانيه ممكن تهمنى ..

قال وهو يجلس على حافة الفراش :

— حبنا ..

قلت فى وقاحة :

— نتكلم فى الفلوس ..

قال :

— أنا عايز أؤكد لك يا امينة ان ما فيش حاجه حا تتغير بينا .. حانفضل زى ما احنا .. وحافضل مسئول عنك .. مش معنى انى اتجوزت انى سبتك .. أبدا اللى اتجوزتها مش حايكون لها اهمية فى حياتى .. حاجيلك كل يوم .. وحابات عندك .. ونقدر نتجوز .. حتى لو ما طلقتش اللى اتجوزتها .. انما أنا ناوى أطلقها .. من قبل ما اتجوزها وانا ناوى أطلقها .. و ..

قلت فى صوت جديد أنا نفسى لم اتعوده من نفسى :

— ادفع الفلوس الأول وبعدين نتكلم .

ونظر الىّ فى تعجب ، كأنه فوجىء بامرأة جديدة أمامه ، وقال فى تلعثم :

— بس انتى عارفه انى ما عنديش فلوس اليومين دول ..

قلت فى سخرية حادة :

— ما فضليش حاجه بعد المهر والشبكه ؟

قال :

— أنا ما دفعتش مهر ولا شبكه .. أمى اللى دفعت ..

قلت كأنى اهدده :

— أنا ما يهمنيش مين اللى دفع .. المهم انى آخد الفلوس .. ولا ناقص تودينى محكمه ..

قال فى خبث :

— انتى عمرك ما حاتدخلى محكمه يا ميتو .. ثم ان المحكمه مش ممكن نحكم لك فى مسائل زى دى .. دى تبقى فضيحه من غير لازمه ..

قلت فى حدة :

— قصدك ايه ؟ ..

قال وهو يزفر انفاسه :

— انا حادفع لك دلوقتى خمسميت جنيه .. وبعدين نتكلم فى الباقى .. انما مش ده المهم .. المهم اننا نفضل مع بعض .. انا ما اقدرش اعيش من غيرك يا ميتو .. صدقينى .. انا باحبك .. واعذرينى على اللى عملتـــه .. ما كنتش اقدر اسيب أمى تموت ..

قلت فى هدوء :

— حاتجيب الخمسميت جنيه امتى ..

قال وهو يرخى عينيه :

— بكره الصبح ..

ثم رفع عينيه ، ونظر بهما الى وجهى طويلا .. ثم قال فى استجداء :

— أقدر ابوسك ..

وابتسمت ابتسامة لا مبالية ، وقلت :

— بوس ..

وتركته يقبلنى .. وتركته يأخذ ما يريد .. ولم أحس به .. حواسى كلها ميتة .. ربما ماتت الى الأبد .. وكان كل ما أراه فى خيالى ، هو عروسة محمد .. المسكينة .. وينطلق فى صدرى صاروخ من الشماتة .. الشماتة فيها .. انى شريرة .. انى أعلم أنى شريرة .. وأريد أن أكون شريرة ..

ولا لزوم لكل التفاصيل ..

ان محمد لم يدفع الا خمسمائة جنيه .. دفعها خوفا من الفضيحة .. واسترد الكمبيالات الثلاث .. كان هذا أفضل من لا شىء .. وظل يتردد على .. كل يوم .. فى الأوقات التى يتردد فيها الأزواج عادة على عشـــيقاتهم .. ويدفـــع اجـــر البيت ، وينفق علىّ ..

ولاحظت أيامها أنى بدأت أضع السوار الذهبى الذى اهدانيه هاشم فى معصمى .. وتتعلق به عيناى وأنا راقدة فى أحضان محمد .. لم أعد أحس بشىء .. الا بكراهيتى لهاشم .. وبالكالو الذى تركه فى قلبى .. انى لا أكره محمد .. ان محمـــد ليس الا نتيجة لهاشم .. ولكنى أكره هاشم .. الســـافل .. دكتور السفالة أكرهه ..

ولم أحتمل طويلا حياتى مع محمد .. تركت البيت ، وانتقلت لأعيش مع صـــديقتى سمح .. وفـــكرت فى أن أعمـــل مثلها « مانيكان » ، ولكن كان يجب أن أتبع نظاما خاصا حتى أخسس

نفسى ، فقد سمنت فى هذه الفترة قليلا .. قوامى مثير .. ولكنه لا يصلح ليكون قوام مانيكان .. وانا لا طاقة لى على اتباع نظام خاص لأخسر نفسى .. ولا طاقة لى على العمل .. انى أستيقظ من النوم فى الساعة الثالثة بعد الظهر .. وأسهر حتى الصباح فى « الستريو » أرقص ..

ان « مارلو » مترودوتيل الستريو صديقى العزيز الآن .. وهو يعرف رقم تليفونى .. ويقدمنى الى كثير من معارفه .. بينهم أمريكان ، وانجليز ، وفرنسيين ، وسعوديين ، ولبنانيين ، وكويتيين .. انه يعرف كل العالم .. وهو يأخذ من كل منهم مبلغا يتراوح بين عشرين وعشرة جنيهات .. يحتفظ لنفسه بعشرين فى المائة ويعطينى الباقى .. وهذا خير من أن أتعود على وجل واحد .. لم أعد مغفلة حتى أتعود على رجل واحد .. ومحمد لا يزال يتردد على ، انه لا يدفع الآن بالشهر ولكنه يدفع بالليلة .. حسن هو الوحيد الذى لا يدفع .. تكفى هداياه .. وهو انسان نبيل .. انى اخجل من أن أبدو أمامه كامرأة تتقاضى نقودا .. أريد أن أقنعه دائما بأنى لم أصل الى هذا الحد .. وسوار هاشم دائما فى معصمى .. و ..

ولكن ، مالنا وهذه السيرة ..

أنا وصديقتى سمح نضحك كثيرا .. كل أيامنا ضحكات .. وأنا أحب الرقص .. أستطيع أن أقول أنى أصبحت ملكة الستريو .. انى أرقص أحسن من البنات الصغار ، رغم أنى فى الثلاثين من عمرى .. ولكنى أقول أنى فى الخامسة والعشرين .. أنا لا أكذب .. فانى أرقص كأنى بنت الخامسة عشرة .. والعمر يحتسب بالقدرة على الرقص ، لا بالسنين .

التويست الآن رقصة قديمة ، وكذلك الهالى جالى .. الرقصة الجديدة هى « تشكن » أى رقصة « الفراخ » .. ثم رقصة اللمبو ..

انى أحب رقصة الفراخ .. دمها خفيف .. يجمع الراقصون والراقصات فى حلقة .. كل ولد بجانبه بنت .. ويرفعون أيديهم فى حركة دائرية و ..

. . . .
. . . .
. . . .
. . . .

دار مصر للطباعة
٣٧ شارع كامل صدقى
سعيد جودة السحار وشركاه

رقم الايداع ٢٨٦٤
الترقيم الدولى ٤ — ٤٤٥ — ٣١٦ — ٩٩٧٧